الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: طه والانبياء والحج والمؤمنون

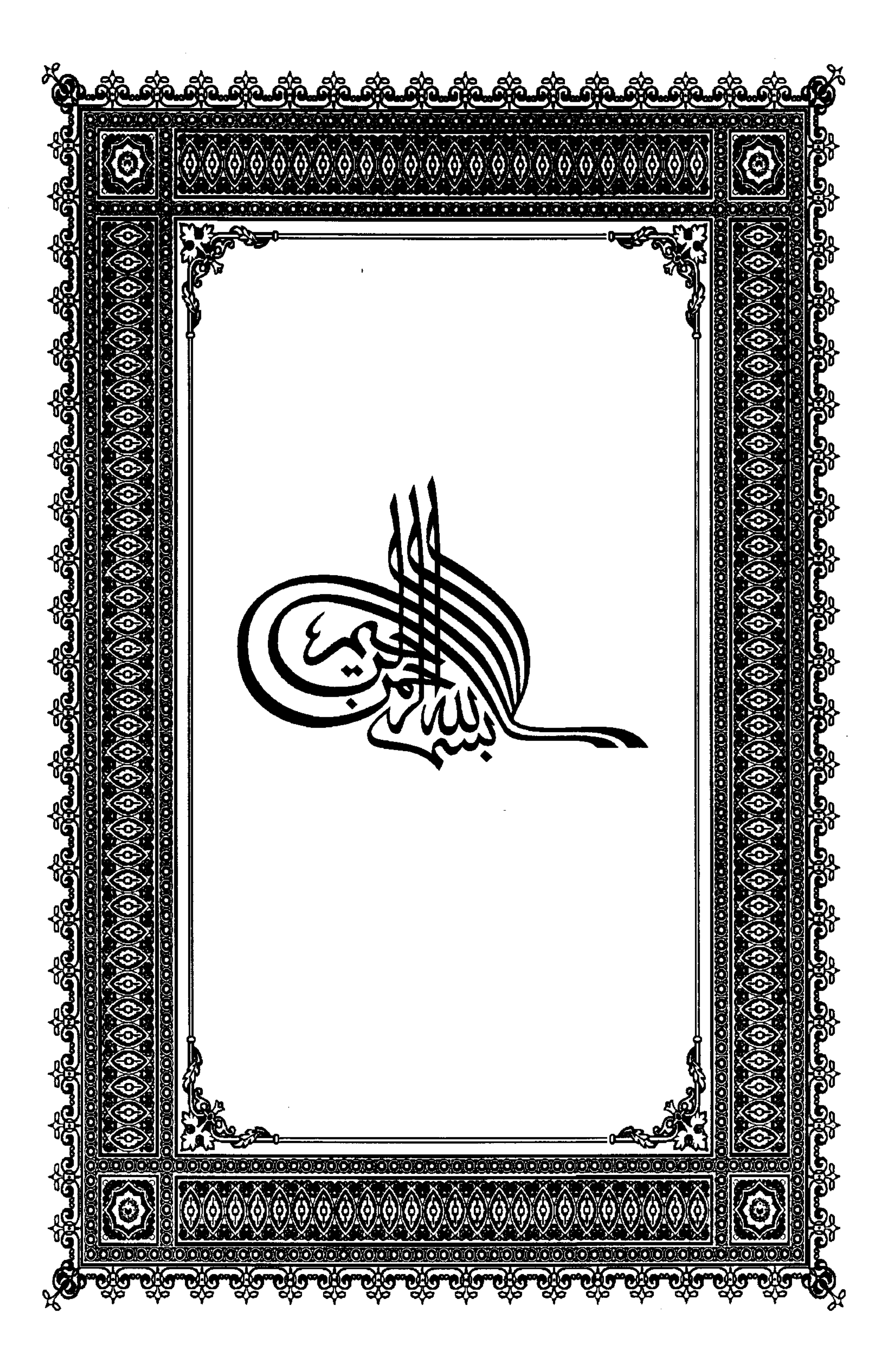
إعداد الباحثة
آمال محمود الفلاح

إشراف
د. زهدي ابو نعمة

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء السابع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأفضل الصلاة والسلام على نبيّه الذي اصطفى من خلقه... أمّا بعد:

في مستهلّ هذه الرسالة أُسجِّل عجز لساني عن إيفاء الله - ﷻ - حقَّه من الشكر والعرفان، وامتثالاً لقوله تعالى ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] وقول الرسول ﷺ: (لا يشكر الله من لا يَشْكُرُ الناس)[1] فإنَّني أسجِّلُ هنا هذا الشكر والتقدير والعرفان...

فأتوجّه بالشكر والعرفان والتقدير إلى معلِّمي الجليل وأستاذي الفاضل:

الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة

المشرف على إعداد هذه الرسالة لقاءَ ما أولاني من الرعاية والعناية خلال فترة البحث، فله مني كلَّ التقدير والاحترام، وجلَّ الشكر والعرفان،

(١) أخرجه البخاري في كتابه: الأدب المفرد ج١/ص٨٥ /ح ٢١٨ كتاب: المعروف، باب: من لم يشكر الناس. وأبو داود في سننه ج٢ /ص٦٧١ /ح ٤٨١١ كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف. وأحمد بن حنبل في مسنده ج٢/ ص٢٩٥، ح ٧٩٢٦ مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة. والطبراني في المعجم الكبير ج١ / ص١٩٥ / ح٥١٩. والبيهقي في شعب الإيمان ج٦ / ص ٥١٦ / ح ٩١١٧. وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ٧/ ص ١٦٥. وآخرون. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل جهوده المضنية في تدقيق بحثي، وإسداء النصح والتوجيهات القيمة لي في ميزان حسناته، وأجزل له الثواب والعطاء.

كما أخص بالشكر والعرفان والتقدير كلًّا من أستاذيَّ الفاضلين:

الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل

والدكتور: وليد محمد العامودي.

الذَّين شرَّفاني بقَبولهما مناقشة هذا البحث، وإثرائه بالنصائح والتوجيهات القيِّمة. فجزاهما الله عنِّي خير الجزاء على ما بذلاه من جهدٍ مشكورٍ لإخراج بحثي هذا في أبهى وأجمل حلَّةٍ، وجعل جهودهما العظيمة في ميزان حسناتهما، وأجزل لهما الثواب والعطاء.

وأثني بالشكر الجزيل، وجُلَّ العرفان والتقدير، إلى جامعتي الحبيبة:

الجامعة الإسلامية بغزة

حاضنة العلم والعلماء، وإلى القائمين عليها من الفضلاء، والعاملين فيها من الأجلّاء، وأخص بالشكر والعرفان الجميل كلية أصول الدين: عمادةً ومدرِّسين وعاملين، كما أخص بشكرٍ أعمق وبعرفان أخص قسم الدراسات العليا: عمادةً ومدرِّسين وعاملين، وأخص منهم بالشكر والعرفان والتقدير من تتلمذت على أيديهم في البكالوريوس أو الماجستير، أو كليهما معاً أمثال: فضيلة الدكتور: عبد السلام اللوح، وفضيلة الدكتور: زكريا الزميلي، وفضيلة الدكتور: عبد الكريم الدهشان، بالإضافة إلى فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل.

كما أُبرِقُ بشكري وعرفاني إلى المكتبة المركزية في الجامعة بجميع العاملين فيها، وأخص منهم بالذكر الأخ الأستاذ إبراهيم الكرد، والأخ الأستاذ أدهم عمّار؛ على ما أمدَّاني به من برامج قيِّمة مفيدة، والأخ الأستاذ هاني الصوص الذي أفادني إفادةً جمَّة في تنسيق هذه الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم.

كما أتقدَّم بعظيم الشكر والعرفان والتقدير إلى أمِّي الحبيبة التي اختصَّتني ببركة دعائها.

وإلى رفيق دربي زوجي الغالي، الذي شجعني على إتمام دراستي الجامعية، وتحمل معي مشاق الدراسة سنوات طويلة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أبنائي الأعزاء، وأخص بالذكر ابنتي الحبيبة شيماء لما تحملت معي لأستطيع إتمام هذه الرسالة، فبارك الله فيها ولها، وجعلها وبنات المسلمين من أهل القرآن العظيم، وإلى أهلي جميعاً، وأخصُّ بالذكر زوج أختي الأستاذ بسام المشهراوي الذي ترجم ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، وابنَي أختيَّ الحبيبين: المهندس عصام نصر، والأستاذ ماهر نايف على مجهوداتهما العظيمة معي من أجل إتمام هذا البحث.

وأخصّ بشكري الجزيل وعرفاني بالجميل، وتقديري فضيلة الأستاذ الكبير: محمد عوض الله على تفضُّله بقبول تدقيق هذا البحث لغوياً، وعلى ما بذله من جهد مشكور في سبيل ذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى أسرتي التعليمية بجميع أفرادها، وأخص بالذكر مديرة المدرسة السيدة سلوى الصيرفي، ووكيلتها السيدة أنسام دردونة على ما قدَّمتاه لي من تسهيلات في أثناء الدراسة.

ولا أنسى من شكري الجزيل أخواتي اللاتي أحببتهن في الله حباً جماً، وقد جمعتني بهنَّ الدراسة في برنامج الماجستير، ثم شاركتهنَّ خدمة كتاب الله العزيز في الدنيا، والله أسألُ أنْ يجمعني بهنَّ على حوض نبيّه ﷺ في الآخرة، وأخص بالذكر الأخت هيفاء رضوان التي أعدت خطة هذا البحث لي وللذين شاركوا في هذه الدراسة بالخطة نفسها، فجزاها الله عني وعنهم خير الجزاء، وجعل جهودها المخلصة لله في ميزان حسناتها يوم القيامة.

وقبل الختام أُقدِّمُ لكلّ من أسدى إليّ أثناء البحث إحساناً، أو ساهم في تسهيل مهمتي، أو جاد عليّ ببعض وقته أو جهده منّي الشكر، وأرجو له من الله الأجر.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

مفتاح مختصرات الرسالة

الإبانة = الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب.

الإتحاف = إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي.

الإتقان = الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.

إتمام الأعلام = إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد المالح.

الأحرف السبعة = الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن عتر.

أحكام القرآن للشافعي = أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي.

الأدوات النحوية = الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور: محمود الصغير.

الأساس = الأساس في التفسير ـ لسعيد حوى.

الإسرائيليات = الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة.

أسماء القبائل = أسماء القبائل وأنسابها ـ للقزويني.

الأصحاب = حمزة والكسائي وخلف.

الإعجاز العلمي = الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لعبد السلام اللوح.

إعجاز القرآن = إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي.

إعراب القراءات السبع	= إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه.
إعراب القرآن	= إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش.
إعراب ثلاثين سورة	= إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه.
الإقناع	= الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري.
إنباه الرواة	= إنباه الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن القفطي.
أيسر التفاسير	= أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري.
البدر الطالع	= البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني.
البدور الزاهرة	= البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة لعبد الفتاح القاضي.
البرهان	= البرهان في علوم القرآن للزركشي.
بصائر ذوي التمييز	= بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزأبادي.
البصريان	= أبو عمرو ويعقوب.
بغية الوعاة	= بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.
بلاغة الكلمة	= بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.
بيان السبب	= بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للمهدوي ضمن كتاب: أربعة كتب في علوم القرآن للمهدوي ولابن برّي وللصفاقُسي ولمجهول.
تاج العروس	= تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.
التبيان	= التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري.
تحبير التيسير	= تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري.

تخريج الظلال = تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) لعلوي السقّاف.

تسمية فقهاء الأمصار = تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ومن بعدهم للنسائي.

التعديل والتجريح = التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.

تفسير البغوي = معالم التنزيل في التفسير والتأويل لأبي محمد البَغَوي.

تفسير الرازي = التفسير الكبير للفخر الرازي.

تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.

تفسير السمرقندي = بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي.

تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

رسالة ماجستير الملاحي = تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) لعبد الله الملاحي.

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي.

تفسير المنير = التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي.

تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.

التفسير الوسيط لطنطاوي = التفسير الوسيط للقرآن الكريم لسيد طنطاوي.

التوجيه اللغوي = التوجيه اللغوي لقراءة عاصم لصبري المتولّي.

التوقيف = التوقيف على مهمّات التعاريف للمناوي.

الجواهر الحسان = الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

الجوهر المصون = الجوهر المصون في رواية قالون للسيِّد هادي السَّقَّافِ.

حاشية الشهاب = حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي لشهاب الدين الخفاجي.

حاشية القونوي = حاشية القونوي على تفسير البيضاوي لإسماعيل بن محمد الحنفي.

حسن المحاضرة = حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي.

حلية الأولياء = حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.

حلية البشر = حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار.

الدر المصون = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.

الدر المنثور = الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

الدرر الكامنة = الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني.

دقائق التفسير = دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيميّة لمحمد السيد الجليند.

دقائق لغة القرآن = دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري لعبد الرحمن عميرة.

دلالات الظاهرة الصوتية = دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد قاسم بن دومي.

ديوان جرير = ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب.

روح البيان = روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلْوَتي.

روح المعاني = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.

الريح والرياح = الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب لعلي محمد العماري.

زاد المسير = زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي.

سراج القارئ المبتدئ = سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المُنتهي لعلي القاصِح.

سنن الترمذي = الجامع الصحيح للترمذي.

شذرات الذهب = شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.

شرح التصريح = شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري.

شرح الرضي = شرح الرضي على الكافية ليوسف حسن عمر.

صحيح ابن حبّان = صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان لأبي حاتم البستي.

صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر للبخاري.

ضعفاء العقيلي = الضعفاء الكبير لمحمد بن عمر بن موسى العقيلي.

طبقات الشافعية = طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي.

طبقات المفسرين = طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

طبقات المفسرين للأدنروي = طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي

طبقات المفسرين للداوودي = طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي.

طبقات النحويين = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد الزبيدي.

طلائع البشر = طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق قمحاوي.

عارضة الأحوذي = عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي.

غاية النهاية = غاية النهاية في طبقات القرّاء لمحمد بن الجزري.

غرائب القرآن = غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد لنظام الدين الحسن القمي.

غريب القرآن = غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن المبارك.

غيث النفع = غيث النفع في القراءات السبع لعلي النّوري الصفاقسي.

فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني.

الفتوحات الإلهية = الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل.

الفريد = الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) للمنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني.

فريدة الدهر = فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر لمحمد إبراهيم محمد سالم.

فضائل القرآن = فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام.

فنون الأفنان = فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لأبي الفرج بن الجوزي.

فهرس الفهارس = فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

القراءات المتواترة = القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية لمحمد الحبش.

القواعد والإشارات = القواعد والإشارات في أصول القراءات لأحمد بن عمر بن محمد الحموي.

الكاشف = الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد الذهبي.

الكشاف = الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري.

الكشف = الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي.

كشف الظنون = كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي القسطنطيني.

كنز العمال = كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي.

الكواكب الدرية = الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف لمحمد بن علي الحداد.

الكواكب السائرة = الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي.

الكوفيون = عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.

لب الألباب = لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي.

اللباب = اللباب في تهذيب الأنساب لعزّ الدين بن الأثير.

لباب النقول = لباب النقول في أسباب النزول لعبد الرحمن السيوطي.

اللغات = اللغات في القرآن لتوفيق محمد شاهين.

ما انفرد به كل من القرّاء السبعة = ما انفرد به كل من القرّاء السبعة وتوجيهه في النحو العربي للدكتور عبد القادر الهَيْتي.

المبصر = المبصر لنور القرآن لنائلة هاشم صبري.

المجتبى = المجتبى من السنن لأبي عبد الرحمن النسائي.

مجمع البيان = مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن للطبرسي.

مجمع الزوائد = مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي.

المحتسب = المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.

المدنيان = نافع وأبو جعفر.

المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

المرشد الوجيز = المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي.

المزهر = المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي.

المستدرك = المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.

المستنير = المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير. لمحمد سالم محيسن.

المسند الصحيح = المسند الصحيح من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي.

المصباح المنير = المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.

المصنف = المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن محمد بن أبي شيبة الكوفي.

المصنف الحديث = المصنف الحديث في أسباب النزول لإسماعيل عمّار.

معاني القراءات = معاني القراءات لأبي منصور محمد الأزهري.

معاني القرآن = معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.

معترك الأقران = معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي.

معجم الأدباء للجبوري = معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سلمان الجبوري.

معجم الشعراء = معجم الشعراء المخضرمين والأمويين لعزيزة فوال بابتي.

المعجم المفصّل = المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم لمحمد ألتونجي.

معجم ما استعجم = معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.

معرفة القرّاء الكبار = معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.

مغني اللبيب = مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري.

المغني للجمل = المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم لعبد الرحمن الجمل.

المغني لمحيسن = المغني في توجيه القراءات العشر لمحمد سالم محيسن.

مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني.

المفردات = مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

المقتطف = المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الحصن المنصوري.

الملخَّص = الملخَّص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.

مناهل العرفان = مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني.

منجد المقرئين = منجد المقرئين ومرشد الطالبين لمحمد بن الجزري.

منهج الإمام الطبري في القراءات = منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره لعبد الرحمن يوسف الجمل.

الموضح = الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم.

النجوم الزاهرة = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف تغري بردي الأتابكي.

النشر = النشر في القراءات العشر لمحمد بن الجزري.

نظم الدرر = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.

نفح الطيب = نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني.

النهاية = النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد الجزري.

همع الهوامع = همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي.

وجوه من الإعجاز الموسيقي = وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن للدكتور محيي الدين رمضان.



الفصل الأول

تفسير سورة (طه) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (طه).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (طه) المتضمنة للقراءات.

المبحث الأول
التعريف بسورة طه

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة طه

أولاً: اسم السورة:

سميت (سورة طه) بهذا الاسم لأنها ابتدأت بالنداء بها ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ وهو اسم من أسماء النبيّ ﷺ.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «سميت سورة (طاها) باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها، ورُسِمَ الحرفان بصورتهما لا بما يَنطق به الناطق من اسميهما تبعا لرسم المصحف»[٢].

ويقول الصابوني[٣]ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عن تسمية السورة: «سميت (سورة طه) وهو اسم من أسمائه الشريفة ﷺ تطييباً لقلبه، وتسلية لفؤاده عمّا يلقاه من صدودٍ وعناد، ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾»[٤].

(٢) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٧٩.

(٣) هو محمد علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة، كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، أكثرها مختصرات، وهو أشعري الاعتقاد مما جعل كتبه واختصاراته عرضة للنقد والرد. انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٤) صفوة التفاسير ج٢/ص١٩٨. وانظر: التفسير المنير ج١٦/ص١٧٤.

ثانياً: نوع السورة:

السورة مكيّة إجماعاً[٥].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات السورة ـ كما ورد في معظم المصاحف المتداولة بين أيدينا ـ مائة وخمس وثلاثون آية، إلا أنّ هناك اختلافاً في عدد آياتها.

يقول الصفاقسي[٦]ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عن سورة (طه): «مكيّة إجماعاً، وآياتها مائة وثلاثون واثنتان بصري، وأربع حجازي، وخمس كوفي، وثمانٍ حمصي، وأربعون دمشقي»[٧].

رابعاً: فضائل السورة:

من فضائل سورة (طه) أنها من أوائل ما نزل من القرآن، فقد أخرج البخاري، وابن مردوية[٨]عن ابن مسعود أنّه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: (إنَّهنَّ منَ العتاق الأُوَل، وهنَّ من تلادي[٩])[١٠]

(٥) انظر: غيث النفع ص١٨٠. وانظر أيضاً: في رحاب التفسير ج١٣/ص٢٣٥٧.

(٦) هو علي النّوري بن محمد، أبو الحسن: فاضل مجاهد، من أهل صفاقس، مولده ووفاته فيها، انتقل إلى تونس، ورحل إلى مصر، ثمّ تصدَّر للتدريس في بلده، وكان يبذل من ماله ما يجهِّز به الغزاة في البحر، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، له تآليف. انظر: الأعلام ج٥/ص٣٠.

(٧) غيث النفع ص١٨٠.

(٨) هو أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني، أبو بكر، من أهل أصبهان، ولد سنة ٣٢٣هـ: حافظ مؤرخ مفسر، له كتاب التاريخ ومسند ومستخرج في الحديث، توفى سنة ٤١٠هـ [انظر: الأعلام ج١/ص٢٦٠].

(٩) (العتاق): جمع عتيق، وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة، والمراد تفضيل هذه السور لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة، كالإسراء، وقصة أصحاب الكهف، وقصة حمل مريم ـ عليها السلام ـ ونحو ذلك. (الأوَل): باعتبار نزولها؛ فإنها نزلت في مكة قبل الهجرة. (تلادي): محفوظاتي القديمة، والتالد والتلاد: كل ما كان قديماً. انظر: صحيح البخاري ج٤/ص١٧٤١.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ج٤/ص١٧٤١، ح ٤٤٣١، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء).

أي فهي مشتركة في قِدَم النزول، وكونها مكيّات، واشتمالها على القصص[١١].

كما أنّ الله تعالى شرح صدر عمر بن الخطاب ﷺ للإسلام حين قرأها في بيت أخته فاطمة بنت الخطّاب بعد أنْ بطش بها وبزوجها سعيد بن زيد ﷺ، لَمَّا علم بإسلامهما. وقد ذكَرت كثيرٌ من كتب التفسير قصةَ إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، وكيف شرح الله صدره للإسلام بفضل سورة (طه) بمشيئة الله ـ تعالى ـ دون غيرها من السور، ليكون إسلامه بعد قراءته لهذه السورة[١٢].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

سورة (طه) هي السورة الأولى من المجموعة الثالثة والأخيرة من قسم المئين الذي هو القسم الثاني من أقسام القرآن الكريم.

وكما أنَّ السورة التي تسبقها في المصحف هي سورة مريمَ، فقد سبقتها أيضاً في النزول حيث إنَّ (سورة طه) نزلت بعد (سورة مريم) كما روى ابن عباس ﷺ، كما أنَّ هناك تناسباً بين نهاية سورة مريم وبداية سورة طه، بالإضافة إلى تفصيل قصص بعض الأنبياء الذين ذكرتهم سورة مريم بإيجاز.

و«تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه هي:

أولاً: أنَّ سورة (طه) نزلت بعد سورة (مريم)، كما روي عن ابن عباس.

ثانياً: أنّه ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء والمرسلين (عشرة) مثل: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وموسى ذكرت قصته

(١١) انظر: التفسير المنير ج١٥/ص٥.

(١٢) للتعرف على تفاصيل قصة إسلام عمر ﷺ انظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٠٣ ـ ٤٢٠٤، والتفسير المنير ج١٦/١٨٢ ـ ١٨٣.

موجزة مجملة، فذُكِرَت في هذه السورة موضَّحة مفصَّلة، كما وضَّحت قصة آدم عليه السلام الذي لم يُذكَر في سورة مريم إلا مجرَّد اسمه فقط.

ثالثاً: أنَّه ذكر في آخر سورة مريم تيسير القرآن باللسان العربي، لسان محمد ﷺ للتبشير والإنذار، وابتُدِئ ذكرُ هذه السورة بتأكيد هذا المعنى»[١٣].

يقول السيوطي - رحمه الله -: «أقول: روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد[١٤] في ترتيب النزول أنَّ طه نزلت بعد سورة مريم، بعد ذكر سورة أصحاب الكهف، وذلك وحده كافٍ في مناسبة الوضع مع التآخي بالافتتاح بالحروف المقطعة. وظهر لي وجهٌ آخر وهو أنه لما ذكرت في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء وهم زكريا ويحيى وعيسى والثلاث مبسوطة، وإبراهيم وهي بين البسط والايجاز، وموسى وهي موجزة بجملة، أشير إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً، وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى التي أجملت هناك، فاستوعبت غاية الاستيعاب، وبسطت أبلغَ بسطٍ، ثم أشير إلى تفصيل قصة آدم الذي ورد مجرد اسمه هناك ثم أورد في سورة الأنبياء بقيةَ قصصِ مَن لم يُذكر في مريم: كنوح، ولوط، وداود، وسليمان وأيوب وذي الكفل وذي النون، وأشير إلى قصة من ذُكرت قصته إشارةً وجيزةً كموسى وهارون وإسماعيل وزكريا ومريم لتكون السورتان كالمتقابلتين، وبُسِطت فيها قصةُ إبراهيم البسطَ التام فيما يتعلقُ به مع قومه، ولم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارة، كما أنه في سورة مريم ذكرت حاله مع قومه إشارةً، ومع أبيه مبسوطاً، فانظر إلى عجيب هذا الأسلوب وبديع هذا

(١٣) التفسير المنير ج١٦/ص١٧٤.

(١٤) هو: «أبو الشعثاء، اسمه: جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، كان مولده بالحرقة ناحية بالقرب من عُمان، فاستوطن بالبصرة، ونزل بها في الأزد، كان من علماء التابعين بالقرآن، وفقهاء أهل البصرة في الدين. مات هو وأنس بن مالك في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين». مشاهير علماء الأمصار ج١/ ص ٨٩، وانظر: التعديل والتجريح ج١ / ص ٤٥٧، الأسامي والكنى ج١/ص ٨٨، و تسمية فقهاء الأمصار ج١/ ص١٢٧.

الترتيب»[١٥].

سادساً: أهداف السورة وغرضها:

تعددت أهداف سورة (طه)، ولكونها من السور المكيَّة، فقد كانت لها أهداف السور المكيَّة نفسها، التي تركِّز على إثبات الوحدانية لله - ﷻ - والنبوة لحبيبه محمد ﷺ بالإضافة إلى إثبات البعث والنشور.

وكان غرضُها - بالإضافة إلى ما سبق - تكريم سيدنا محمد ﷺ، ومؤازرته حتى يستطيع تحمُّل أعباء الرسالة، ومعاندة قومه وتكذيبهم له، وليعلم أنَّه المنتصر عليهم في النهاية، وهذه سنَّة الله في الكون، وهي أنَّه لا بد أنْ ينصرَ رسله، وما على الرسول إلا البلاغ.

يقول الصابوني - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن أهداف السورة ما يلي نصه: «... وهي تبحث عن نفس الأهداف للسور المكية، وغرضها تركيز أصول الدين (التوحيد، والنبوة، والبعث، والنشور)، في هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول ﷺ في شد أزره، وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يُلقى إليه من الكيد، والعناد، والإستهزاء، والتكذيب، ولإرشاده إلى وظيفته الأساسية، وهي التبليغ، والتذكير، والإنذار، والتبشير، وليس عليه أنْ يجبر الناس على الإيمان»[١٦].

سابعاً: محور السورة:

تتركز موضوعات السورة حول محور أساسيّ فيه، ألا وهو تفصيل صفات المؤمنين، وإننا نلحظ ذلك من خلال كون القرآن تذكرة لمن يخشى، وتثبيت شخصية النبي ﷺ في قيامه بواجب الدعوة إلى الله، ثم من خلال قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون أولاً، ثم مع بني إسرائيل ثانياً، والحساب العادل يوم القيامة وفوز المؤمنين وهلاك المشركين الذين يعرضون عن القرآن الكريم ومن خلال كل ذلك وغيره مما احتوته السورة تتبين

(١٥) أسرار ترتيب القرآن ص ١٠٨ - ١٠٩(بتصرف بسيط).

(١٦) صفوة التفاسير ج٢/ص١٩٨.

صفات المؤمنين الذين يفوزون بالدار الآخرة.

يقول الأستاذ سعيد حوى[17]**ـ** رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فإننا لم نبعد إذا قلنا إنَّ محور سورة (طه) هو الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة... وقد رأينا حتى الآن أنَّ الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة فصلتها سورة آل عمران نوع تفصيل، والآن تأتي سورة (طه) لينصبَّ تفصيلها على الآية الرابعة، والخامسة بشكل مباشر، أي على قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٤ ـ ٥]»[18].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

تحدثت (سورة طه) عن حكمة إنزال القرآن الكريم، وركزت على تعريفنا على مُنْزِله وهو الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ومن ثم تحدثت عن قصة موسى مع قومه ومع فرعون من قبل ثم تحدثت عن القرآن وبعض خصائصه، وعن جزاء المعرضين عنه من آية (٩٩ إلى ١٠١)، و بعد ذلك تعرضت السورة لحالة الحشر الرهيبة، وإبادة الجبال، وأوصاف المجرمين يوم القيامة، والحساب العادل من آية (١٠٢ إلى ١١٢)، ثم تحدثت عن عربية القرآن ووعيده، وعصمة رسوله من نسيانه وذلك من آية (١١٣ إلى ١١٤)، ثم أوردت قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إبليس في الجنة من آية (١١٥ إلى ١٢٢)، ثم تعرضت لموضوع جزاء الإعراض عن كتاب الله تعالى وكانت تناقش المعرضين، وتأمر المستجيبين، وتقيم الحجة على المعاندين من آية (١٢٣ إلى ١٣٥)[19].

---

(١٧) هو سعيد بن محمد ديب حوى، عالم من رجال الدعوة السوريين، ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م لوالدٍ كان من المجاهدين ضدَّ الاحتلال الفرنسي، ولما نشأ انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، تخرج بجامعة دمشق، وسجن، فألّف في سجنه كتاب (الأساس في التفسير) من اثني عشر مجلداً، توفى سنة (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ودفن في عمّان. انظر: إتمام الأعلام ص١٧٠.

(١٨) انظر: الأساس ج٧/ص٣٣٣٩.

(١٩) انظر: المرجع السابق ج٧/ص٣٣٤٠، والتفسير المنير ج١٦/ص ١٦٥، ١٧٦.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (طه)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة: ﴿لِأَهلِهُ ٱمْكُثُوا﴾ بضمّ الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون: ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ بكسر الهاء[٢٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿لِأَهْلِهِ﴾: الأَهْل: أَهلُ الرَّجُلِ وأَهْلُ الدَّار[٢١].

يقول الطاهرُ بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الأهلُ: الزوجُ والأولاد»[٢٢].

﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾: المُكْثُ: ثباتٌ مع انتظارٍ طويل[٢٣].

---

(٢٠) انظر: النشر ج٢ /ص٣١٩.

(٢١) لسان العرب ج١١ / ص ٢٨.

(٢٢) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٩٤. وانظر: مختار الصحاح ص ٢٠.

(٢٣) التوقيف ص٦٧٣.

ثالثاً: التفسير:

تتحدث هذه الآياتُ الكريمةُ عن قصةِ موسى عليه السلام وهو في طريق عودته من مدين إلى مصر ـ بعد أن قضَى أكملَ الأَجلين، وأذن له شعيبٌ بزيارة أمِّه وأخته ـ حيث كان معه أهله في ظروف صعبة، ولم يستطِع إشعالَ نارٍ لأهله، فرأى عليه السلام ناراً من بعيد وطلب من أهله الانتظار وعدم اللحاق به، وذهب ليبحث عن جذوةٍ[٢٤] من النار، أو أحدٍ يدلُّه على الطريق.

يقول أبو حيان[٢٥] ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى: «فكان من حديثه أنه عليه السلام لمَّا قضى أكمل الأجلين استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له، وقد طالت مدةَ جنايته بمصر، ورجا خفاءَ أمره، فخرجَ بأهلهِ ومالهِ، و كان في فصلِ الشتاء، وأخذَ على غيرِ الطريقِ مخافةَ ملوكِ الشام، وامرأتُه حامل، فلا يدري أليلاً تضعُ أم نهاراً، فسار في البرية لا يعرف طرُقَها، فألجأهُ المسيرُ إلى جانبِ الطورِ الغربيِّ الأيمن، في ليلةٍ مظلمةٍ مُثلجةٍ شديدةِ البرد، وأخذَ امرأتَه الطلقُ، فقَدَح زنده فلم يُور[٢٦]، قيل: كان رجلاً غيوراً يصحَبُ الرِّفقةَ ليلاً ويفارقهُم نهاراً لئلَّا تُرَى امرأتُه؛ فأضلَّ الطريق، قال وهب[٢٧]:

---

(٢٤) «الجِذْوَة والجَذْوة والجُذوة القَبَسة من النار وقيل هي الجَمْرة». لسان العرب ج١٤/ ص١٣٦.

(٢٥) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النّفزي، الأثري، الغرناطي، شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية. توفي في القاهرة بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة. انظر: نفح الطيب ج٣ / ص١٤١ ـ ١٦٣. فهرس الفهارس ج٢/ ص ١٥٥. النجوم الزاهرة ج١٠/ ص ٩١. والدرر الكامنة ج٤/ ص٣٠٢.

(٢٦) «وري الزند يري ورياً: خرجت ناره، وأصله أنْ يخرج النار من وراء المقدح». مفردات القرآن ص ١٥٧٣.

(٢٧) وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني، صاحب القصص، كان من خيار التابعين، ثقةً صدوقاً، كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، مات وهو على قضاء صنعاء سنة أربع عشر ومائة. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي مج ١٠ /ج١٩/ ص٢٥٩.

وُلِدَ له ابنٌ في الطريق، ولما صَلَد زنده[٢٨] (رأى ناراً)، ... (امكثوا) أي أقيموا مكانكم، وخاطب امرأته، وولديه، والخادم»[٢٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

وردت في ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ قراءتان: أولاهما بضم الهاء، والأخرى بكسرها، وكل واحدة أفادت معنىً جديداً للآيةِ سأذكُره بعدَ سردِ المعلوماتِ التالية:

يقول السيوطي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «... هاء الغائب أصلُها الضَّمُّ كضربهُ ولهُ، وتُكسرُ بعد الكسرةِ نحو مرَّ بهِ ولم يعطهِ... أما الحجازيون فلغتُهم ضمُّ هاء الغائبِ مطلقاً وبها قرأ حمزةُ ﴿لِأَهْلِهُ ٱمْكُثُوا﴾»[٣٠].

وبهذه الحقيقة اللغوية وجَّه **الإمام مكِّي بن أبي طالب** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قراءتي الضم والكسر فقال: «وحجةُ من ضمَّ أنَّه أتى بالهاءِ على أصلِها، موصولةً بواوٍ، للتقويةِ على ما قدَّمنا من العِلَلِ، فلقيت الواو وهي ساكنة الميم من ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ وهي ساكنة، فحُذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمةُ تدلُّ عليها. وحجّةُ من كسرَ أنَّه أبدلَ من ضمَّةِ الهاءِ كسرةً للكسرةِ التي قبلها، فانقلبت الواوُ ياءً، ثمَّ حُذِفَت لسكونها وسكون الميم بعدها، وبقيت الكسرة تدلُّ عليها»[٣١].

لكن هناك حقيقةٌ لغويةٌ معلومةٌ اتفقَ عليها علماءُ اللغةِ قديماً وحديثاً وهي: «أنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات، إنَّ النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عَضَلِيٍّ أكثرَ من الكسرة والفتحة، وذلك لأنهَّا لا تُنطَقُ إلا بانضمام الشَّفتين، وارتفاعهما،

(٢٨) صلد الزند: لا يخرج ناره. انظر: مفردات القرآن ص ٨٤٥.

(٢٩) البحر المحيط ج٦ /ص٢١٥ .

(٣٠) همع الهوامع ج١/ص٥٨ ـ ٥٩ (بتصرف).

(٣١) الكشف ج٢ / ص ٩٥. وانظر: شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى للدكتور يحيى القاسم ـ مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ـ جامعة مؤتة ـ رجب (١٤١٤هـ) ـ المجلد ٨/ العدد٦/ ص١٦٤.

ولا تحتاج الكسرةُ ولا الفتحةُ إلى ذلك، كما هو ظاهرٌ ومعلوم»[٣٢].

ويقول ابن جني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «فجعلوا الضمةَ لقوَّتها فيما يكثُرُ حَجمُه، والكسرةَ لضعفِها فيما يقلُّ بل يُعدَم ارتفاعُه»[٣٣].

واستئناساً بما سبق ذكره يتبين أنَّ قراءة ﴿لِأَهۡلِهُ ٱمۡكُثُوا﴾ بضمِّ الهاء أفادت ثِقَل الظرف الذي كان يعيشه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع أهله في تلك الليلة المظلمة المثلجة شديدة البرد، وصعوبة ذلك عليه، حيث أضل الطريق وتفرقت ماشيته، ولم ينقدح زنده، وامرأته في الطلق؛ وذلك لأنَّ الضمّةَ هي أقوى الحركاتِ وأثقلُها، فناسبت الحركةُ القويةُ الثقيلةُ ذلك الموقفَ العصيبَ الذي يتطلب: عظيمَ صبرٍ، وقوةَ تحمُّلٍ، ورباطةَ جأشٍ، وهو ثقيلٌ على النفسِ ثِقلَ الحركةِ التي استخدمت له.

أما القراءة الثانية ﴿لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ بكسر الهاء فقد أفادت تخفيف الأمر وتهوينه عليهم، حيث ذكر موسى لأهله أنّه آنس ناراً، وسيجد لهم جذوةً من النار لعلّهم يصطلون، ولهذا طلب من أهله المكثَ، ولم يطلب منهم الإقامة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري[٣٤]- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «امكثوا: أي أقيموا مكانكم، أمرهم بذلك لئلاَّ يتبعوه فيما عزم عليه»[٣٥].

يقول الطبرسي[٣٦]- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «والفرق بين المكث والإقامة أنَّ الإقامة

---

(٣٢) بلاغة الكلمة ص١١٤.

(٣٣) المحتسب ج٢/ص١٩.

(٣٤) هو مصطفى الحصن المنصوري بن ميمن بن الحسين، ولد في مدينة حصن المنصور - واسمها الآن (آدي يامان) - مركز الولاية في الأناضول سنة ١٣٠٧هـ، له كتاب (المقتطف في الفقه) و(لغة الطب): كان عالماً فاضلاً، ومرجعاً في علم الفقه، يتكلم ثلاث لغات: التركية والعربية والفارسية. انظر: مقدمة تفسيره ص٧ - ٨ حيث لم أجد له ترجمة غيرها.

(٣٥) المقتطف ج٣ / ص٣٢٨.

(٣٦) هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، المشهدي، من أجلَّاء الطائفة الشيعية، ثقة، فاضل، دين، توفى في سبزوار سنة ٥٥٢هـ وقيل سنة ٥٤٨. انظر: كشف الظنون ج٤/ص٢٩٠، ومقدمة تفسيره.

تدوم والمكث لا يدوم»[٣٧].

وهكذا يخفِّف موسى عليه السلام عن أهله من صعوبة الموقف؛ فيطلب منهم الانتظار، وعدم اللحاق به، ويبشرهم بفرجٍ من الله قريبٍ بسبب رؤيته للنار، لذا ناسبت هذه الحركةُ الخفيفةُ الضعيفةُ تهوينَ الأمرِ وتخفيفِه عليهم رحمةً بهم.

يقول الأستاذ سعيد حوّى ـ رحمه الله ـ: «... وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ في أشدِّ حالات الضيق يكون أقرب ما يكون إلى الرحمة، وفي قوله لأهله (امكُثوا) درسٌ في كمال رحمته وشفقته، وغيرته، وشجاعته، وخدمته لأهله»[٣٨].

هكذا وبالجمع بين القراءات يتبيّنُ أنَّ موسى عليه السلام في هذا الظرف الصعب والثقيلِ على النَّفسِ، والذي يعيشُهُ مع أهله إلاّ أنَّه برحمته بهم وشفقته عليهم يتعاملُ معهم بكلِّ شجاعةٍ، ويحاولُ أن يخفِّفَ الأمر عليهم، وأنْ يجعَلَهُ هيِّناً، على رغم ما يلقونه من مشقَّة، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ⑫﴾ [طه: ١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿أَنّي أنا رَبُّكَ﴾، بفتح همزة (أنَّ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ بكسرها[٣٩].

القراءات في ﴿طُوٗى﴾:

(٣٧) مجمع البيان ج١٣/ص٨٩.

(٣٨) الأساس ج٧/ص٣٣٥٣.

(٣٩) انظر: النشر ج٢/ص٣١٩.

١ ـ وقرأ ابن عامر والكوفيون ﴿طُوًى﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُوَى﴾ بدون تنوين[٤٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إنَّ): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي: التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿...إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس: ١٦]

(أَنَّ): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيها: أن تكون حرف تأكيد، والأصحّ أنها فرع المكسورة، وأنّها موصول حرفي[٤١].

طوى[٤٢]: «طُوى و(طِوى) جبل بالشام، وقيل هو واد في أصل الطور، وفي التنزيل:

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢] قال أبو اسحق[٤٣]: طُوى اسم الوادي»[٤٤].

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينادي الله ـ ﷻ ـ موسى عليه السلام حين ذهب للبقعة المباركة من الشجرة يلتمس ناراً، وأعلَمه أنّه هو الله ربُّه، وأمره بخلع

---

(٤٠) انظر: النشر ج٢ /ص٣١٩، والإقناع ٤٢٧.

(٤١) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤٢) طوى: هو اسم أعجمي للواد المذكور في القرآن الكريم، وهو موضع بالشام عند الطور. انظر: معجم البلدان ج٤/ص٥٠ ـ ٥١، ومعجم ما استعجم ج٣/ص٨٩٦.

(٤٣) أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان يحترف خراطة الزجاج، وكان نديماً للمكتفي، أخذ عن ثعلب والمبرد، عاش في بغداد وتوفى بها سنة ٣١١ وقيل: ٣١٦هـ وقد أناف على الثمانين. انظر: طبقات النحويين واللغويين ص١١١، ١١٢، والبداية والنهاية ج١١/ ص١٥٩، والأعلام ج١م ص٤٠.

(٤٤) انظر: لسان العرب ج١٥/ص٢١.

نعليه؛ أدباً وتواضعاً لله تعالى فهو في الواد المُقدس المُسمَّى طوى.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «رُوِيَ أنه لمّا نودِيَ يا موسى، قال: من المتكلم؟ فقال: أنا ربُّك، فعرف أنَّه كلام الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأنَّه سمعه من جميع جهاته الست، سمعه بجميع أعضائه، وذلك ليس إلاّ من آثار قدرة الخلّاق العليم، ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمره الله سبحانه بذلك، لأنَّ الحفوة تواضعٌ وأدبٌ؛ ولذلك كان السلفُ يطوفون بالكعبة حُفاة، وقيلَ ليباشرَ الوادي بقدميه تبرُّكاً به. ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ...﴾ تعليلٌ لوجوب الخلع المأمور به، وبيانٌ لشرف البقعة وقدسيتها، ورويَ أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ خلعهما، وألقاهما وراء الوادي. ﴿طُوًى﴾ وهو اسم علم للوادي ومعناه: بالواد المقدّس المسمى طوى، أي جبل الطور»[٤٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (أنِّي) بفتح همزة (أنَّ) تفيد تأكيد الخبر بأنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نودِيَ بأنِّي أنا ربُّك، أو اعلم بأنِّي أنا ربُّك، أو لأجل أنِّي أنا ربُّك.

يقول الألوسي[٤٦]ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتحِها على تقديرِ حرفِ الجرّ، أي: بأنِّي والجار والمجرور متعلق بنوديَ، والنداء قد يوصل بحرف الجر ... وقيل: على تقدير حرف التعليل وتعلقه بفعلِ الأمر بعد وهو كما ترى، واختير أن الكلام على تقدير العلم، أي أعلم أنِّي أنا ربُّك»[٤٧].

---

(٤٥) المقتطف ج٣/ص٣٢٨، ٣٢٩.

(٤٦) هو محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو الثناء الألوسي نسبة إلى (ألوس) قرية على الفرات: طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة، وأمير البيان، وعين الأعيان، مفسّر محدِّث أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفيّ الاعتقاد، له روح المعاني في التفسير. توفى سنة ١٢٧٠م. انظر: حلية البشر ج٣/ ص١٤٥٠، والأعلام ج٧/ص١٧٦.

(٤٧) روح المعاني ج١٦/ص١٦٨ (بتصرف).

أمّا القراءة الثانية (إنّي) بالكسر والتشديد، فقد أفادت التحقيقَ والتأكيد على الاستئناف.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وتأكيد الخبر بحرف (إنَّ) لتحقيقه لأجل غرابته دفعاً لتَطَرُّق الشكّ عن موسى في مصدر الكلام»[48].

وعن التأكيد بحرف (إنَّ) يقول السيوطي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ نقلاً عن عبد القاهر الجرجاني[49] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام، وأكثر مواقعها ـ بحسب الاستقراء ـ الجواب لسؤالٍ ظاهرٍ أو مُقَدَّرٍ، إذا كان للسائلِ فيه ظن»[50].

كما أكّد الخبر بتكرير الضمير، يقول الزمخشري[51] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «تكرير الضمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفةِ وإماطة الشبهة»[52].

وَعَدَا أنّها أفادت تأكيد الخبر فإنّها أفادت أنَّ الخبَرَ على معنى الحكاية.

يقول ابن أبي مريم[53] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ الباقون (إنِّي أَنا رَبُّكَ) بكسر

(48) التحرير والتنوير ج16/ص196.

(49) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، من أهل جرجان. من كتبه: (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز). توفى سنة471هـ. انظر: طبقات الشافعية ج1/ص 252.

(50) الإتقان ج1/ص203.

(51) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد بزمخشر، وهي قرية من قرى خوارم، ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص104.

(52) الكشاف ج2/ص531.

(53) هو الإمام نصر بن علي بن محمد، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي، المعروف بابن أبي مريم: أستاذٌ عارف، له كتاب في القراءات الثمان سمّاه الموضَح يدلُّ على تمكنه في الفن، جعله بأحرفٍ مرموزة دالة على أسماء الرواة، وذكر ناسخه أنه استملاه من لفظه في رمضان سنة 562هـ. انظر: غاية النهاية ج2/ص337.

الألف، والوجه أنَّه على الحكاية؛ لأنَّ النداء يتضمَّنُ معنى القول، والتقدير في نوديَ: وقيلَ له إنّي أنا رَبُّكَ، فهو حكاية»[٥٤].

ويقول الخطيب التبريزي[٥٥]- رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون بالكسر على معنى نوديَ يا موسى فقال الله له، إني أنا ربك»[٥٦].

بالجمع بين القراءتين يَتَّضِحُ أنَّ الله - سبحانه وتعالى - في حكاية موسى التي يَذْكُرُها للنبيِّ ﷺ قد أخبرَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه ربُّه الذي يُكلِّمه، وقد أكَّد الخبرَ وحَقَّقَه لأجلِ غرابته دفعاً لتَطَرُّقِ الشكِّ عن موسى في مصدرِ هذا الكلام، وطلبَ منه أن يخلعَ نعليه تواضعاً لِعِظَمِ الحالِ التي حصل فيها، والله أعلم.

أما فيما يختصُّ بقراءة (طُوَى) مصروفةً وغير مصروفة، فنقول بعون الله تعالى: إنَّ قراءةَ (طُوىً) بالتنوين على تأويلِ المكان، أي إنَّ (طُوىً) اسم الوادي المذكور في القرآن وهو نكرة، وقراءة (طُوَى) بغير تنوين على تأويل البقعة التي كلَّم الله تعالى فيها موسى بالتحديد وهي معرفة بهذا المعنى، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني النار ﴿نُودِيَ﴾ أي من الشجرة، أي من جهتها وناحيتها ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

كما **أضاف القرطبي** - رَحِمَهُ اللهُ - معانيَ أخرى، منها ما نقله عن الجوهري[٥٧]- رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول «(طُوَى) اسم موضع بالشام تكسر طاؤه

---

(٥٤) الموضَح ج٢/ص٨٣٠.

(٥٥) هو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن، أبو زكريا المعروف بالخطيب التبريزي، ولد في تبريز بإقليم أذربيجان سنة ٤٢١هـ، ونشأ في بغداد، وتوفى فيها سنة ٥٠٢هـ. انظر: الأعلام ج٨ /ص١٥٧، والمزهر ج٢/ص٣٩٦.

(٥٦) الملخص ص٢٦٠.

(٥٧) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاءً، وفطنةً، وعلماً، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخَطُّه يُضرب به المثل في الجودة له كتاب الصحاح، توفى بعد سنة ٣٩٦هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت، مج٣/ ج٦/ص١٥١ - ١٦٥. والأعلام ج ١ / ص٣١٣.

وتُضَم، ويُصرَفُ ولا يُصْرَف، فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان، وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدةً وبقعةً، وجعله معرفة، وقال بعضهم: (طُوىً) مثل (طِوىً) وهو الشيء المثني، وقالوا في قوله: (المُقَدَّسِ طُوَى): طُوِيَ مرتين أي قُدِّسَ، وقال الحسن: ثُنِّيَت فيه البركةُ والتقديسُ مرَّتَين . . . وعن ابن عباس ﷺ: أنه قيل له طُوَى لأن موسى طواه بالليل إذ مرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادي، فهو مصدرٌ عمل فيه ما ليس من لفظه، فكأنه قال: (إنَّكَ بالوادِ المُقَدَّسِ) الذي طَويته طوى؛ أي تجاوزته فطويته بسيرك»[٥٨].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ (طُوَى) هو الموضع المُقَدَّس المذكور في القرآن والذي مرَّ به موسى عليه السلام وتجاوزه قد ثُنِّيت فيه البركة والتقديس مرَّتين، وهو إمَّا أن يكون اسماً للوادي كلِّه، أي شملت البركةُ والتقديس الواديَ بكامِله، أو تكون خاصة بالبقعة التي كلَّمَ الله تعالى موسى فيها وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿. . .فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ. . .﴾ [القصص: ٣٠]، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿وَأَنَّا﴾ بتشديد النون، ﴿ٱخْتَرناك﴾ بالنون المفتوحة وألف بعدها على لفظ الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَنَا﴾ بتخفيف النون، ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ الواحد[٥٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ : «الاختيار: طلب ما هو خير وفعله»[٦٠].

(٥٨) تفسير القرطبي ج١١/ص١٥٧.

(٥٩) النشر ج٢/ص٣٢٠.

(٦٠) المفردات ص ٣٠١.

يقول الطاهر بن عاشور: «الاختيار: تكلُّف طلب ما هو خير، واستعملت صيغة التكلف في معنى إجادة طلب الخيّر»[٦١].

وقال الألوسي ـ رحمه الله ـ في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾: «أي اصطفيتك من الناس أو من قومك للنبوة والرسالة»[٦٢].

ثالثاً: التفسير:

يُخْبِرُ الله تعالى موسى عليه السلام وهو يكلِّمه في تلك الليلة أنَّه اصطفاه على الناس، واختاره رسولاً من بين قومه، ويطلب منه الاستماعَ لما سيوحيه إليه.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ كقوله: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه... وقوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: استمع الآن ما أقولُ لك، وأوحيه إليك»[٦٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ ـ على لفظ الجمع في الكلمتين ـ التعظيم لله تعالى.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب: «قرأ حمزة ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ على لفظ الجمع في الكلمتين، للتعظيم لله، والمبالغة في الإجلال له»[٦٤].

أما القراءة الثانية ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ فقد أفادت أنَّ الله ـ تعالى ـ اختار موسى عليه السلام للرسالة وحده، دون أن يُشركَ أحداً في اختياره.

---

(٦١) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٩٨.

(٦٢) روح المعاني ج١٦/ص١٧٠، وانظر: الكشاف ج٢/ص٥٣١، زاد المسير ج٣/ص١٥٣، التفسير المنير ج١٦/ص١٨٧، وصفوة التفاسير ج٢/ص٢٠١.

(٦٣) تفسير ابن كثير ج٣/ص١٩٤.

(٦٤) الكشف ج٢/ص٩٧.

يقول أبو منصور[٦٥] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ومن قرأ ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ فالاختيارُ لله وحده، لم يُشركْ في اختياره أحداً»[٦٦].

ويقول الرازي[٦٧] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وهذه الآية تدلُّ على أنَّ النبوة لا تحصُل بالاستحقاق، لأنَّ قوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ يدلُّ على أنَّ ذلك المنصب العليّ إنَّما حصلَ لأنَّ الله تعالى اختارَه له ابتداءً لا لأنَّه استحقَّه على الله تعالى»[٦٨].

بالجمع بين القراءتين نعلمُ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته وجلاله اختار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبوة والرسالة، وكان هذا الاختيار منه ابتداءً وحده سبحانه دون أن يُشرِكَ في اختياره أحداً من خلقه.

٤ ـ قال تعالى: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٣٠ ـ ٣٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر بقطع همزة ﴿أَشْدُدْ﴾ وفتحها وبضم همزة ﴿أُشرِكه﴾ مع القطع.

٢ ـ وقرأ الباقون بوصل همزة ﴿اشْدُدْ﴾ وابتدائها بالضم وبفتح همزة ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾[٦٩].

---

(٦٥) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور الأزهري: أحد الأئمة في اللغة والأدب. مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده الأزهر، ولد سنة ٢٨٢هـ، عُني بالفقه أولاً، ثمَّ غلب عليه التبحر في العربية، توفى سنة ٣٧٠هـ. انظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ج/٥ص١٠٠.

(٦٦) معاني القراءات ص٢٩١.

(٦٧) هو محمد بن عمر بن الحسين ابن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف، وقال ابن الاثير في الكامل: كان إمام الدنيا في عصره. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج١٣/ص٥٥.

(٦٨) تفسير الرازي ج١٢/ص١٩.

(٦٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

ثانيا: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أَشْدُدْ﴾: «الشَّدُّ: العَقْدُ القَوِيُّ، يُقالُ: شددتُ الشَّيءَ: قَوَّيت عَقْدَهُ»(٧٠).

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: «الشِّرْكَةُ والمُشاركة،: خَلْطُ الملكين، وقيل هو أن يوجد شيءٌ لاثنين فصاعداً؛ عيناً كان ذلك الشيء أو معنى»(٧١).

ثالثاً: التفسير:

يُكلِّم الله ـ تعالى ـ موسى عليه السلام ويريه من آياته الكبرى، ويُكلِّفه بالذهاب إلى فرعون، فيدعو موسى ربَّه ـ عز وجل ـ ببعض الأدعية، فيدعوه أن يشدَّ أزرهُ بأخيه هارون عليه السلام ويُشركه معه في النبوة.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «لمّا كلَّف الله ـ تعالى ـ سيدنا موسى عليه السلام بالرسالة سأل ربَّه أنْ يشدَّ أزره بأخيه هارون عليه السلام، وأن يُشركه معه في النبوة، وتبليغ الرسالة»(٧٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى بقطع همزة ﴿أَشْدُدْ﴾ وفتحها، وبضم همزة ﴿أُشْرِكْه﴾ مع القطع أنَّ موسى عليه السلام يُخْبرُ الله تعالى أنَّه سيشُدُّ أزرَه بأخيه هارون ويُشْركه في أمره على الجواب والمجازاة بدعائه عليه السلام الله ـ عز وجل ـ أن يجعلَ له وزيراً من أهله وهو أخوه هارون عليه السلام.

قال الإمام أبو علي الفارسي(٧٣) ـ رحمه الله ـ: «وقرأ ابن عامر وحده

(٧٠) المفردات ص ٤٤٧، وانظر: التوقيف ص٤٢٥. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦٤.

(٧١) المفردات ص ٤٥١، وانظر: التوقيف ص٤٢٩.

(٧٢) المستنير ج٢/ص٢٧.

(٧٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أصله من (فسا) من عمل شيراز، روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، توفى سنة ٣٧٧هـ، أوصى بثلث ماله لنحاة بغداد، فكان ثلاثين ألف دينار. انظر: غاية النهاية ج١/ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ أَشْدُدْ بِهِۦٓ﴾ مقطوعةً مفتوحة، والياء ساكنة و﴿أُشْرِكْه﴾ الألف مضمومة، على الجواب والمجازاة»[٧٤].

وقال ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي قراءة ابن عامر يكون المعنى: أُشرِكْهُ أنا في أمري بإشراكك إياه في النبوة»[٧٥].

أمّا القراءة الأخرى فقد أفادت أنَّ الكلام المذكور هو تتمّة دعاء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الله تعالى بأن يجعلَ هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزيراً له، يشُدُّ أزرَه، ويجعله شريكاً له في النبوّة.

يقول الفراء[٧٦] في قوله تعالى ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ...﴾: «دعاء: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ﴾ يا ربّ ﴿أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ﴾ يا ربّ في أمري. دعاء من موسى...»[٧٧].

بالجمع بين القراءتين يتّضح أنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا الله ـ تعالى ـ أنْ يجعل له وزيراً من أهله هو أخاه هارون، يشدُّ به أزره، ويشركه معه في النّبوة، فإن استجابَ الله ـ تعالى ـ دعاءَ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجَعَلَ هارونَ وزيراً له، فسَيَشُدُّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ به أزرَه، ويقوى به ظَهرُه، وسَيُشْرِكهُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أمرِه؛ ليكونَ عوناً له على أداءِ ما كلّفه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ به من أُمورِ الرسالة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَى﴾ بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها.

(٧٤) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص ٢٢١.

(٧٥) الموضح ج٢/ص٨٣٣.

(٧٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور، أبو زكريا الأسلمي، النحوي، الكوفي، المعروف بالفرّاء، شيخ النحاة، توفي في رجوعه من طريق مكة سنة سبع ومائتين للهجرة. انظر: غاية النهاية ج٢/ص ٣٧١.

(٧٧) معاني القرآن ج٢/ص١٧٨.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ﴾ بكسر اللام والنصب[٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الصُّنْعُ: إجادةُ الفعل، وكل صُنْعٍ فعل، ولا عكس وهو مستعارٌ للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيءٍ مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحدٌ نعمةً عظيمةً: هو صنيعة فلان[٧٩].

(وَلِتُصْنَعَ): أي لِتُحَبَّ ولِتُصْنَعَ، ولِتُغَذَّى وتُطْعَمَ وتُرَبَّى، ويُقرأ على لفظ الأمر؛ أي لِيَصْنَعَكَ غَيْرُكَ بأمري[٨٠].

ثالثاً: التفسير:

يوحي الله - ﷻ - لأم موسى أن تضعه في التابوت وتلقي بالتابوت في اليمِّ، وقد أمر الله تعالى اليمَّ بأن يلقي بالتابوت في بيت فرعون، وبفضل حبِّ الله - تبارك وتعالى - لموسى ﵇ أحبه كلُّ من رآه حتَّى فرعون، وبمشيئة الله - ﷻ - يتربَّى موسى ﵇ في حضن أمِّه ويتغذَّى على عين الله - ﷻ - وبحفظه ورعايته، في بيت عدوِّ الله وعدوِّه فرعون.

يقول ابن كثير - ﵀ -: «هذه إجابةٌ من الله لرسوله موسى ﵇ فيما سأل من ربه - ﷻ - وتذكيرٌ له بِنِعَمِهِ السالفةِ عليه فيما كان من أمرِ أمِّه حين كانت ترضعُه، وتحذَرُ عليه من فرعون ومَلَئِهِ أن يقتلوه؛ لأنه كان قد وُلِدَ في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذَت له تابوتاً فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وتُرسلُه في البحر، وهو النيل، وتمسكُه إلى منزلها بحبل، فذهبت مرةً لتربطَ الحبل فانفلت منها وذهبَ به البحرُ فحصلَ لها من الغَمِّ والهَم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ١٠] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾

(٧٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

(٧٩) انظر: التحرير والتنوير ج١٦/ص٢١٨ والتوقيف ص٤٦٣.

(٨٠) انظر: التبيان ج٢/ص ١٨٣ والمحرر الوجيز ج٤/ص٤٤.

[القصص: ٨] أي قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذراً من وجودِ موسى، فحكم الله وله السلطانُ العظيمُ والقدرةُ التامةُ أن لا يُرَبَّى إلا على فراشِ فرعون، ويُغَذَّى بطعامِه وشرابِه مع محبته وزوجته له، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك... ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾... وقال قتادة[٨١] تغذى على عيني، **وقال معمر بن المثنى**[٨٢]: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ بحيث أرى»[٨٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَى﴾ معنى الأمر من الله سبحانه وتعالى لمأمورٍ غائبٍ غير مخاطب، وقد خرج الفعل في صيغة الأمر، حيث إن الأمرَ أقطعُ الأفعال وأوجبُها، وقد اقترن الفعل بحرف (على) الذي يفيد المصاحبة، كما وجبَ له إدغامُ العين، ولا يخفى ما في إدغامُ المتماثلين من السرعةِ في النطقِ مما يدلُّ على السرعة في الفعل ومباشرته بمجرد حدوثه، والله أعلم.

يقول القرطبي: «وقرأ ابن القعقاع ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ بإسكان اللام على الأمرِ وظاهرُه للمخاطبِ والمأمورُ غائب»[٨٤].

ويؤازره كلام **ابن جني** - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حيث يقول:

«وأما ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ فإنَّ المأمورَ غائبٌ غيرُ مُخاطب، فإنّما هو كقولنا:

---

(٨١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب الدوسي البصري الأعمى المفسّر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، ولد سنة ٦١هـ، وتوفى سنة ١١٧هـ. انظر: غاية النهاية ج٢/ص٢٥.

(٨٢) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيد النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده سنة١١٠هـ بالبصرة، ووفاته بها سنة ٢٠٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ج٥/ص٢٣٥.

(٨٣) تفسير ابن كثير ج٣/ص١٩٩.

(٨٤) تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٣٧ .

وَلْتُغْنَ بحاجتي، ولْتوضَع في تجارتك؛ لأنَّ العانيَ بها والواضع فيها غيرهما، وهما المخاطبان، فهذا كقولك: لِيُضرَب زيدٌ، ولْتُضْرَب هند»(٨٥).

ويقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ: «إِذ الأمرُ أقطعُ الأفعالِ وأوجبها»(٨٦).

وهكذا يكون قد وَجَبَ تحقيقُ أمر الله تعالى بأن يُصنَعَ موسى عليه السلام على عينه وبرعايته وبأمرٍ منه تعالى.

أمّا القراءة الأخرى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ﴾ بكسر اللام فقد أفادت التعليل، وهي متعلقةٌ إمّا بألقيتُ أو بمحذوفٍ تقديره: فعلت ذلك لِتُصْنَعَ.

يقول أبو السعود(٨٧)ـ رحمه الله ـ: «﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ ظرف ﴿لِتُصْنَعَ﴾ على أنَّ المرادَ به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون، وما ترتبَ عليه من القولِ والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو، وهو المصداق لقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ إذ لا شفقةَ أعظم من شفقة الأمِّ وصُنعِها على موجبِ مراعاتِه تعالى»(٨٨).

ويقول الشيخ محيي الدين الدرويش(٨٩) ـ رحمه الله ـ: «واللام متعلقة بمحذوف، أي: فعلت ذلك لتصنعَ، وقيل: متعلقة بألقيت»(٩٠).

ويقول الصابوني ـ رحمه الله ـ: «الاستعارة التمثيلية ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾

---

(٨٥) المحتسب ج٢/ص٥١.

(٨٦) المحرر الوجيز ج٤/ص٤٤.

(٨٧) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسِّر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، كان حاضر الذهن سريع البديهة. توفي سنة ٩٨٢هـ وهو مدفون بقرب مرقد أبي أيوب الأنصاري. انظر: الأعلام ج٧/ ص٥٩.

(٨٨) تفسير أبي السعود ج٦/ص١٥، وانظر: روح المعاني ج١٦ /ص١٨٧.

(٨٩) هو محيي الدين الدرويش من علماء العربية في سورية وصحفييها، ولد في حمص سنة١٣٢٦هـ، وتعلم بها، ثم غادرها لدمشق. له كتاب «إعراب القرآن الكريم وبيانه». انظر: إتمام الأعلام ص٤٣٤.

(٩٠) إعراب القرآن للدرويش ج٤/ص٦٨٢.

تمثيلٌ لشدةِ الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة بمن يُصنع بمرأى من الناظر؛ لأنَّ الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمَثَّلَ لذلك بمن يُصنع على عين الآخر»[٩١].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أنفَذَ أمره المقدَّس بأن يُرَبَّى موسى عليه السلام ويُغذَّى في بيت فرعون، وأن تربيه أُمّه على موجبِ رعايته تعالى، ولذلك ألقى الله محبَّته في قلب كلِّ من رآه وحرَّمَ عليه المراضع، وهيَّأ لأخته أن تدُلَّهم على أمِّها فترضعه ويعود إلى حضنها، ويُصنع بيدها في بيت فرعون، وعلى عين الله عز وجل وبحفظه ورعايته.

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: ٤٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ السوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (جِيْتَ) بياء ساكنة مبدلة عن الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (جِئْتَ) بهمزة ساكنة وسط الكلمة[٩٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(جئت): «جيأ: المجيء: الإتيان، جاء يجيء جيئاً ومجيئاً. وحكى سيبويه[٩٣] عن بعض العرب: هو يَجِيكَ بحذف الهمزة»[٩٤].

---

(٩١) صفوة التفاسير ج٢/ص٢٠٣.

(٩٢) انظر: النشر ج١/ ص٣٩٠.

(٩٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدِم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنَّف كتابه المسمى: (كتاب سيبويه) في النحو، لم يُصنع قبله ولا بعده مثله. سيبويه بالفارسية: رائحة التفاح، كان شاباً أنيقاً جميلاً، توفي شاباً، وفي مكان وسنة وفاته خلاف، توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ. انظر: الأعلام ج٥/ص٨١.

(٩٤) لسان العرب ج١/ص ٦٢.

وقال الأصفهاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «جاء يجيء جَيْأَةً ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكنّ المجيء أعمّ؛ لأنّ الإتيان مجيءٌ بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقالُ اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولمَا يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»[٩٥].

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ اللهُ - عَجَلَ - موسى بما حدث له حين رفضَ المراضعَ بقدرِ الله تعالى ليكون ذلك سبباً في رجوعه لأمّه كي تقرّ عينُها، ثمّ ذَكَّرهُ كيف نجّاه من الغمّ ومن فرعون، حين قتل القبطيَّ وهربَ إلى أرضِ مدين، فمكثَ فيها إلى أن حان موعده مع النبوّة فجاء بقدر الله تعالى.

يقول العلاّمة محمد الصابوني - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ...﴾ أي حين تمشي أختك وتتبّع أثرك فتقول لآل فرعون حين طلبوا لك المراضع: هل أدلكم على من يضمن لكم حضانته ورضاعته؟ ... فطلبوا منها إحضارها فأتت بأمّ موسى، فلمّا أخرجت ثديها التقمه، ففرحت زوجة فرعون فرحاً شديداً، وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت: لا أستطيع أنْ أترك بيتي وأولادي ولكن آخذه معي وآتي لك به كل حين، فقالت: نعم، وأحسنت إليها غاية الإحسان، ... ثمّ قتلت القبطيّ حين أصبحت شاباً، فنجّيناك من غمّ القتل وصرفنا عنك شرّ فرعون وزبانيته، وفي صحيح مسلم: (وكانَ قَتلُهُ خَطَأً)[٩٦]، وابتليناك ابتلاءً عظيماً بأنواع من المحن، فمكثت سنين عديدة عند شعيب في أرض مدين، ثمّ جئت على موعدٍ ووقتٍ مُقَدَّرٍ للرسالة والنبوّة»[٩٧].

---

(٩٥) المفردات ص ٢١٢.

(٩٦) أخرجه مسلم بمعناه في صحيحه ج٤ / ص٢٢٢٨ / ح٥١٣٧، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الفتنة من المشرق حيث يطلع قرنا الشيطان.

(٩٧) صفوة التفاسير ج٢/ص٢٠٢، ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاء في شرح المفَصَّل: الهمزة حرف شديدٌ مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخلَ الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجُه كالتهوّع[٩٨] فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوعُ استحسانٍ لثقل الهمزة... وتخفيفها كما ذُكِرَ بالإبدال والحذف وأن تُجعَلَ بَيْن بَيْن[٩٩].

وقال سيبويه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «... وذلك الذِّئْبُ والمِئْرة: ذيبٌ وميرةٌ[١٠٠]، فإنّما تُبدِل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنّه ليس شيء أقرب منه، ولا أولَى به منها»[١٠١]. وبناءً على ذلك:

فقد أفادت القراءة (جيت) عناية الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بتدبير إجراء أحوال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتسهيلها له على ما يُسفر عن عاقبة الخير، إلى أنْ بلغ الموضع الذي كلمه منه.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فقوله : ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ يفيد أنّ ما حصل لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الأحوال كان مقدّراً من الله مناسباً متدرجاً، بحيث تكون أعماله، وأحواله قد قدّرها الله، وحدَّدها تحديداً مُنَظَّماً؛ لأجل اصطفائه، وما أراد الله من إرساله، فالقدر هنا كناية عن العناية بتدبير إجراء أحواله على ما يسفر عن عاقبة الخير، فهذا تقدير خاص، وهو العناية بتدرج أحواله إلى أنْ بلغ الموضع الذي كلّمه الله منه، وليس المراد القَدَر الذي قدّره الله لتكوين جميع الكائنات؛ فإن ذلك لا يُشعر بمزية لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

---

(٩٨) هاع يَهُوع ويَهاع هَوْعاً وهُواعاً: تَهَوّع وقاءَ وقيل قاء بلا كُلْفة، وإذا تكلف ذلك قيل تَهَوَّعَ ... ويقال تهوَّع نفسَه إذا قاءَ بنفسه كأنه يخرجها ... قال بعضهم تَهَوَّع أي قاءَ الدم. انظر: لسان العرب ج٨/ص٣٧٧.

(٩٩) انظر: شرح المفصل ج٩/ص١٠٧.

(١٠٠) مير: «المِيرَةُ الطعامُ يَمْتارُه الإنسان». لسان العرب ج٥/ص ١٨٨.

(١٠١) كتاب سيبويه ج٣/ص٥٤٤.

وقد انتبه إلى هذا جرير[١٠٢] بذوقه السليم، فقال في مدح عمر بن عبد العزيز:

أتى الخلافة إذ كانت له قَدراً   كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَر[١٠٣]»[١٠٤]

أمّا القراءة (جِئتَ) فقد أفادت ندرةَ ذلك الموقف، وصعوبةَ ذلك الظرف الذي حدث لموسى عليه السلام حين عودته من مدين إلى أرض مصر وشدّته عليه وعلى أهله، حيث إنّ الهمزة حرفٌ ثقيل.

وفي هذا المعنى **يقول الدكتور فاضل السامرّائي**[١٠٥]: **«فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة»**[١٠٦].

ويبيّن أبو السعود ـ رحمه الله ـ ذلك بقوله: «(ثمَّ جِئتَ) إلى المكان الذي أونس فيه النارُ ووقع فيه النداءُ والجؤار[١٠٧]، وفي كلمة التراخي إيذان بأنّ مجيئَه عليه السلام كان بعد اللّتيّا[١٠٨]، والتي من ضلال الطريق وتفرُّقِ الغنم في الليلة المظلمة الشاتية، وغير ذلك»[١٠٩].

---

(١٠٢) هو جَرِيرُ بنُ عَطِيَّةَ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرِ بنِ سَلَمَةَ بنِ عَوْفِ بنِ كُلَيْبِ بنِ يَرْبُوعِ، شاعر مشهور بالهجاء لم يثبت أمامه إلا الأخطل والفرزدق، ولد سنة ٢٨، وقيل سنة ٣٥هـ، ومات سنة١٠٠ وقيل ١١١هـ. انظر: معجم الشعراء ص ٨٠.

(١٠٣) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب مج١/ص٤١٦.

(١٠٤) التحرير والتنوير ج١٦/ص٢٢٢، وتفسير الطبري ج١٦/ص١٨٥.

(١٠٥) هو «فاضل صالح مهدي السامرّائي: نحوي، لغوي، باحث، ولد في سامرّاء بالعراق، وتخرج في كلية التربية، وهو أول طالب حاز على شهادة الماجستير من جامعة بغداد في اللغة العربية سنة ١٩٦٥م، ثم التحق في كلية الآداب بجامعة عين شمس، فحصل على الدكتوراة سنة ١٩٦٨م». معجم الأدباء للجبوري ج٤/ ص٤١٤.

(١٠٦) بلاغة الكلمة ص٥٧.

(١٠٧) جَأَرَ إلى الله: «تضرع بالدعاء». مختار الصحاح ص١١٩.

(١٠٨) «يقال وقع فلان في اللّتيّا والّتي وهما اسمان من أسماء الداهية». مختار الصحاح ص٦١٢.

(١٠٩) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٨١.

ويقول الماوردي[110] - رَحِمَهُ اللَّهُ -: _«جئت على مقدار في الشدّة وتقدير المدة»[111].

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى جانب الطور الأيمن في ظروف ثقيلة ونادرة الحدوث، لكنّها كانت على وفق ما سبق في قضاء الله وقدره، فكانت العناية منه تعالى بتدبير إجراء أحواله وتدرُّجها إلى أن بلغ ذلك الموضع الذي كلَّمه الله منه، فهو المسيِّرُ عبادَهُ وخلقَه فيما يشاء، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه: ٥٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِهَٰدًا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[112].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْدُ: الفرش، وهو الموضعُ يُهَيَّأُ للصبيّ ويوطَّأ، والأرض كالمهاد، أي كالفراش، والجمع: مُهود، وبالضم: النَّشَزُ من الأرض، أو ما انخفض منها في سهولةٍ واستواء، من المجاز: مَهَّدَ الأمرَ: وَطَّأَهُ وسَوَّاه. والمَهدُ والمِهادُ: المكان المُمَهَّدُ المُوَطَّأ.

والمهاد أجمعُ من المَهْد، كالأَرضِ جعلها اللهُ مِهاداً للعبادِ، وأَصلُ

---

(١١٠) هو علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (أبو الحسن) ولد سنة ٣٦٤هـ ولقبه بسبب عمل والده ببيع ماء الورد كان حليماً وقوراً أديباً، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه. توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٨/ص٦٧، والبداية والنهاية ج١٢/ص٨٠.

(١١١) تفسير الماوردي ج٣/ص٤٠٤.

(١١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

المَهْدِ التَّوْثِيرُ؛ يقال مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت: أَي جعلت لها مكاناً وَطيئاً سهلاً[113].

ثالثاً: التفسير:

يَصِفُ موسى عليه السلام ربَّهُ لفرعون ـ حين سأله عنه تعجيزاً ـ بأنَّه الذي جعل الأرض ممهَّدة؛ يستقرُّ عليها الخلائق، وسلك بين الجبال طرقاً؛ يسير عليها الناس في تنقلاتهم من مكان لآخر، كما أنزل لكم من السماء ماءً عذباً فراتاً، وأخرج من الأرض أنواعاً شتَّى من النباتات، مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع.

جاء في تفسير الجلالين: «هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملةِ الخلقِ ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ سهَّلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طُرُقاً، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً، ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتَّى جمعُ شَتيت كمريض ومرضَى من شتَّ الأمرُ: تَفرَّق»[114].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قيل: إنَّ المهدَ والمِهاد بمعنى واحد، وقيل: هما لغتان، حيث جاء في كتاب طلائع البشر ما نصُّه: «وقُرِئَ بفتح الميم وسكون الهاء، وحذف الألف لغةٌ في المهاد، يُقالُ: مَهدٌ ومهادٌ لما يُمْهَد»[115].

إلاَّ أنَّ كثيراً من المفسرين ذكروا فَرْقاً بين اللفظين فقالوا: إنَّ المهدَ اسم فعلٍ أو مصدر، والمهادُ اسم، وقد ورد في التفسير الكبير قول أبي عبيد بأنَّ المهاد اسم، والمهدُ اسم فعل، كما أنَّ الفراشَ اسمٌ، والفرشَ

---

(113) انظر: القاموس المحيط ص٤٠٩. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٨٥٢. وأساس البلاغة ص٤٣٨. وزاد المسير ج٣/ص١٦٢.

(114) تفسير الجلالين ص٤١٠.

(115) طلائع البشر ص١٢٦.

فعل[116].

مما سبق يتَّضح أنَّ القراءة الأولى ﴿مَهْدًا﴾ تبيِّن أن الله ـ تعالى ـ مهد الأرض وبسطها لتكون صالحة لحياة الإنسان عليها.

يقول الأستاذ سعيد حوَّى ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: «أي: بساطاً وفراشاً، أي: صالحة للقرارِ والاستقرار، والنوم والراحة»[117].

ويقول أبو حيان: «ومعنى ذلك أنَّه تعالى جعلها يتصرَّفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم»[118].

ويقول البقاعي[119] **ـ رحمه الله ـ:** «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ أيها الخلائق ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أي أكثرها ﴿مَهْدًا﴾ تَفْتَرِشونها، وجعل بعضَها جبالاً، لا يمكن القرار عليها، وبعضَها رخواً تسرحُ فيه الأقدام، وبعضَها جَلداً، إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من الاختلاف»[120].

وأمَّا القراءة الثانية ﴿مِهَٰدًا﴾ فهي اسمٌ والاسمُ يدلُّ على الثبوت والاستقرار، أي إنَّ الأرضَ مكانٌ للقرار والاستقرار عليها.

يقول القرطبي[121]: «ومعنى ﴿مِهَٰدًا﴾ أي: فراشاً، وقراراً تستقرُّون

---

(116) انظر: تفسير الرازي ج22 /ص68، جامع البيان ج16 / ص192، البحر المحيط ج6 /ص234. والدر المصون ج5 /ص28.

(117) الأساس ج7 /ص3364.

(118) البحر المحيط ج6 /ص234.

(119) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرِّخ أديب، أصله من البقاع في سورية، له نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. توفي بدمشق سنة 885. انظر: الأعلام ج1/ ص56.

(120) نظم الدرر ج5 /ص 23.

(121) هو محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله. مات سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج1/ص79.

عليها»[١٢٢].

ويقول ابن خالويه[١٢٣] ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «... فالحجة لمن أثبتَ الألفَ ها هنا وفي (الزخرف): أنَّه جعله اسماً للأرض، أي: جعلها لهم فراشاً»[١٢٤].

وبالجمع بين القراءتين لا يمكن للمؤمن إلاَّ أنْ يقِفَ وقفةَ إجلالٍ وتعظيم أمامَ عظيم قدرة الله الخلَّاق العليم، وهو يتفكَّرُ في خلق الأرض بكلِّ ماَ عليها من مخلوقات، فقد بسطها الله تعالى وجعلها ممهدة فأصبحت كالفِراشِ لتكون الأرضُ للإنسان قراراً وفراشاً، يستقرُّ عليها إلى أنْ يرثَ الله ـ تعالى ـ الأرضَ وما عليها، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: ٥٨].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿لَا نُخْلِفْهُ﴾ بإسكان الفاء جزماً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ بالرفع.

القراءات في ﴿سِوًى﴾:

١ ـ وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وعاصم، وحمزة، وخلف ﴿سُوًى﴾ بضمِّ السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِوًى﴾ بكسر السين[١٢٥].

---

(١٢٢) تفسير القرطبي ج٦ /ص٤٢٥٤٩.

(١٢٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي، أصله من همذان لكنه دخل بغداد، وأدرك جُلّة العلماء، كانت وفاته سنة ٣٧٠هـ بحلب. انظر: وفيات الأعيان ج٢ /ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٢٤) الحجة في القراءات السبع ص٢٤١.

(١٢٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أخلفه: الوَعْدَ: قال ولم يفعَلْهُ»[126].

«والإخلاف: أن يَعِدَ شيئاً ولا يُنجِزه»[127].

«ومكانٌ سُوىً وسواء: وسَط (مَكَاناً سُوىً) و(مكانٌ سِوى): بالكسر والضمّ: مَعْلَمٌ أي أثر يستدل به على الطريق، وتقديره: ذو معلم يُهتدى به إليه»[128].

«ومكان سوي وسي: مستو، وأرض سي: مستوية»[129].

«وقد يُقال في سواء بمعنى عدل: سِوَى وسُوَى كما قال ـ جلّ ثناؤه ـ: (مَكَاناً سُوىً) و(سِوى) يرادُ به: عدلٌ ونصفٌ بيننا وبينك. وقد رُوِيَ أنَّ ابن مسعود ﷺ كان يقرأ ذلك (إلى كلمةٍ عدلٍ بيننا وبينكم)»[130].

ثالثاً: التفسير:

اتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه ساحر ـ وذلك بعد أن أفحمه عليه السلام بالحجة والبرهان ـ وطلبَ فرعونُ من موسى عليه السلام أن يُحددَ موعداً يتبارَى فيه مع السحرة، وذلك ليخفي فشله وضعفه أمام موسى عليه السلام.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: «(فلنأتينك بسحر مثله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينَّك بسحرٍ مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعداً، أي: وعداً كما يُنَبِّىءُ عنه وصفُه بقوله تعالى (لا نُخلِفه) فإنه المناسب لا المكان والزمان، أي: لا نخلفُ ذلك الوعدَ نحن ولا أنت، وإنما فوَّضَ

(١٢٦) القاموس المحيط ص١٠٤٤.

(١٢٧) البحر المحيط ج٦/ص٣٣٥.

(١٢٨) القاموس المحيط ص١٦٧٣.

(١٢٩) لسان العرب ج١٤/ص٤١٤.

(١٣٠) دقائق لغة القرآن ج١/ص٧٣. وانظر: مختار الصحاح ص ١٣٦.

اللعينُ أَمْرَ الوعدِ إلى موسى عليه السلام للاحترازِ عن نسبته إلى ضعفِ القلبِ، وضيقِ المجالِ، وإظهارِ الجلادةِ»[١٣١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لاَ نُخْلِفُهُ) بالرفع أنّه صفةٌ لـ(موعداً) باعتبار معناه المصدري، أي: لا نُخلفُ ذلك الوعدُ، أو هو موعدٌ غيرُ مُخْلَفٍ[١٣٢].

أمّا قراءة الجزم (لاَ نُخْلِفْهُ) على أنّ لا ناهية، والجزمُ جوابٌ للأمر أي: إن جعلتَ ذلك لا نُخْلِفْهُ، والنهيُ تحذيرٌ من إخلافه[١٣٣].

جاء في كتاب أضواء البيان: «قوله تعالى: (لاَ نُخْلِفُهُ) أي الوعد الكامن في مفهوم اسم المكان الذي هو الموعد، لأنه مكان الوعد، فمعناه مركّبٌ إضافيّ، وآخر جزأيه لفظ الوعد وهو مرجع الضمير في (لاَ نُخْلِفُهُ). فإذا عرفت معنى هذا الكلام الذي أخبر اللهُ أنّ فرعون قاله لموسى، فاعلم أنّ قوله عن موسى (قالَ موعدُكُم يوم الزِّينةِ) يدلُّ على أنّه وافق على طلب فرعون ضمناً، وزاد تعيين زمان الوعد بقوله (موعدُكُم يوم الزِّينة)، ولا إشكالَ في ذلك»[١٣٤].

بالجمع بين القراءتين يُعلَم أنّ فرعون طلب من موسى عليه السلام أنْ يُحَدِّدَ موعداً صفته أنّه غيرُ مُخلَفٍ، فإن جعله هكذا فلن يُخلِفه فرعون وأعوانه، وقد حذَّرَ من إخلافه، ونهَى عن إخلافه؛ وذلك ليوهم قوَّته، ويحترزَ عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال، وليظهرَ جلادته أمام الناس.

أما بالنسبة لقراءة (سوَى) بالضم والكسر، فيقول الإمام الطبري:

---

(١٣١) تفسير أبي السعود ج ٤/ ص٢٨٩.

(١٣٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٥، مجمع البيان ج١٣ ص١١٠، وروح المعاني ج١٥/ص٣١٦.

(١٣٣) انظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٥٢، مجمع البيان ج١٣ ص١١٠، روح المعاني ج١٥/ص٣١٦، الدر المصون ج٥/ص٣١، والتحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٥.

(١٣٤) أضواء البيان ج٣/ص٢٤.

«والصواب من القول في ذلك عندنا أنّهما لغتان ـ أعني الكسر والضم من (سوى) ـ مشهورتان في العرب»[١٣٥].

«(سِوَى) و(سُوَى): هو المكان النصف بين الفريقين»[١٣٦].

حيث إنَّ (سِوى) و(سُوى) هو فِعلٌ من التسوية، فكأنَّ المعنى مكانٌ تستوي فيه المسافة على الفريقين فتكون مسافة كلّ فريق كمسافة الآخر.

وهي أيضاً مكانٌ وسطٌ بيننا وبينك، وهو من الاستواء؛ لأنَّ المسافةَ من الوسط إلى الطرفين مستوية، أي مكاناً وسطاً مستوياً حتى يشاهده كلّ الحاضرين.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ في المعاني السابقة: «وذكروا في معناه وجوهاً:

(أحدها) **قال أبو علي**: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين وهو المراد من قول مجاهد، قال قتادة: منصفاً بيننا.

(ثانيها)... (سوى) أي مستوياً لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض. فتكون (سُوى) على التقديرِ الأولِ صفةُ المسافة، وعلى هذا التقدير صفةُ المكان، والمقصود أنَّهم طلبوا موضعاً مستوياً لا يكون فيه ارتفاعٌ ولا انخفاض حتى يشاهِدُ كلُّ الحاضرين كلَّ ما يجري.

(وثالثها) مكاناً يستوي حالنا في الرِّضاء به...»[١٣٧].

---

(١٣٥) تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٥.

(١٣٦) معاني القراءات ج٢/ص١٤٧. وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٤٩، الكشاف ج٢/ص٥٤٢، تفسير القرطبي ج٦ /ص٤٢٥٢، زاد المسير ج٣/ص ١٦٣، تفسير البيضاوي ص٤٢٩، ومجمع البيان ج١٣/ص١١٠.

(١٣٧) تفسير الرازي ج٢٢/ص٧٢ (بتصرف)، وانظر: تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٥، الملخص ص ٢٦٦، الحجة في القراءات السبع ص٢٤١، الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٢٤، مفاتيح الأغاني ص٢٩٣، روح المعاني ج١٥/ص٣١٧، والتحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٦.

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتَّضِحُ أنَّ المكان المراد تحديده يتَّصفُ بأنَّه مكانٌ تستوي مسافته بين الفريقين، ويوصفُ بأنَّه مُستَوٍ مُنْكَشِفٌ للناظرين ليشهدوا أعمال موسى عليه السلام وأعمال السحرة، كما تستوي فيه حالُ الجميع؛ فتكون المنازل فيه واحدة: يتَّحدُ الرئيسُ والمرؤوس والسائسُ والمَسُوس، وهذا هو المراد بالعدل، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، ورويس (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَيَسْحَتَكُمْ) بفتحهما(١٣٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السَّحت: الاستئصال. يقال: سَحَته وأسحَتَه»(١٣٩).

يُسْحِتَكُمْ: يَسْتَأصِلكم. ويَسْحَتَكُمْ: يقْشِرْكُم. والسحت في اللغة أصله الهلاك والشدة، سحت: السُّحْتُ والسُّحُتُ: كل حرام قبيح الذكر. وسَحَتَ الشيءَ يَسْحَتُهُ سَحْتاً: قشره قليلاً قليلاً، والسَّحْتُ: العذاب(١٤٠).

ثالثاً: التفسير:

يؤدِّي موسى عليه السلام واجبه كداعية إلى الله تعالى؛ فلا يتركُ فرصةً دون أنْ يستغلَّها في الدعوة إلى الله؛ فها هو ذا ينتهزُ فرصةَ اجتماع السحرةِ فيُنذرهم بالهلاك والاستئصال إن كذبوا على الله بادعائهم أن ما جاء به موسى عليه السلام هو السحر.

---

(١٣٨) انظر النشر ج٢/ص ٣٢٠.

(١٣٩) الاشتقاق ص٥٠٩. وانظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٩.

(١٤٠) انظر: لسان العرب ج٢/ص ٤٦.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ في هذا المعنى: «أي قال موسى لفرعون والسحرة: الهلاك والعذاب لكم إنْ اختلقتم على الله كذباً وزوراً، بأنْ تزعموا أنَّ الذي جئتُ به ليس بحقٍ، وأنّه سحر، فيستأصِلُكم الله بعذابٍ شديدٍ من عنده، وقد خسر وهلك من افترى على الله أيَّ كذبٍ كان»(١٤١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول السمين الحلبي(١٤٢)ـ رحمه الله ـ: «قرأ الأخوان وحفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما، وقراءة الأخوين من أسحتَ رباعيًا، وهي لغةُ نجدٍ وتميم.

قال الفرزدق(١٤٣):

وعَضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لَمْ يَدَعْ من المالِ إلاَّ مُسْحتاً أو مُجَلَّفُ(١٤٤)(١٤٥)

وقراءة الباقين من سَحَتُّهُ ثلاثياً وهي لغة الحجاز. وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد، ومنه: سَحَتَ الحالقُ الشعرَ أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويُسْتَعملُ في الإهلاكِ والإذهاب»(١٤٦).

---

(١٤١) التفسير المنير ج١٦/ص٢٣٥.

(١٤٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي من أهل حلب، استقر واشتهر بالقاهرة، من كتبه الدر المصون. انظر: الأعلام ج١/ ص٢٧٤.

(١٤٣) هو همام بن غالب بن صعصعة، أبو فراس المعروف بالفرزدق، الشاعر المشهور، كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، مات سنة عشر ومائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء مج١٠/ج١٩/ص٢٩٧ ـ ٣٠٣ .

(١٤٤) المُجَلَّفُ: الذي أتَى عليه الدهر فأذهب ماله. انظر: لسان العرب ج٩/ص٣٧.

(١٤٥) البيتُ من قصيدة للفرزدق يخاطب بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. انظر: شرح ديوان الفرزدق ج٢/ص١١٧.

(١٤٦) الدر المصون ج٥/ص٣٣، وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٥٠، زاد المسير ج٣/ص١٦٤، تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٥٥، مجمع البيان ج١٣/ص١١٢.

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن: «ونحن إذا ما نظرنا إلى هاتين القراءتين وجدناهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق، حيث إنَّ القراءة الأولى مضارع (أسحته من الثلاثي المزيد بالهمزة، والقراءة الثانية مضارع (سحته) من الثلاثي المجرد، يقال: (سحته وأسحته) بمعنى (سحقته وأهلكته)»(١٤٧).

ويقول النسفي(١٤٨) - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «السحتُ والإسحاتُ بمعنى الإعدام»(١٤٩).

إذا تأملنا النصوص السابقة نستنتج **أنَّ الآراء** اجتمعت على أنَّ القراءتين من قبيل اللغات، وأنَّهما بمعنى واحد، ولكن إذا نُقِّبَ عن الفرق بينهما فإنّه - استئناساً بما قاله الدكتور فاضل السامرائي - قد يتبيَّن فرقاً، حيث يقول: «ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراقُ وقتٍ أطول، وأنَّه يُفيدُ تَلبُّثاً ومُكثاً»(١٥٠).

إنَّ النُّطق بالقراءة الأولى - والتي هي مضارع (أسحت) - تدلُّ على المبالغة في الاستئصال والإهلاك بما يزيدُ على القراءة الثانية - والتي هي مضارع (سحت) حيث إنَّ النطق بأصل اشتقاق القراءة الأولى (أسحت) يستغرق وقتاً أطولَ في النطق بها عمّا يحتاجه أصل اشتقاق القراءة الثانية (سحت)، كما أنَّ القراءة الثانية تدلُّ على سرعة الحدث وهو الاستئصال وأنَّه يستغرق وقتاً أقصر في حدوثه، ويعاضده ما قاله **الطبري** - رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى: ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ حيث يقول:

---

(١٤٧) القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٢٧٤. وانظر: الفتوحات الإلهية ج٣/ ص ٩٨.

(١٤٨) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي، ثم السمرقندي، كان إماماً فاضلاً، مبرزاً متفنناً، صنف في كل نوع من العلم: في التفسير والحديث والشروط، وبلغت تصانيفه المائة، وله شعر حسن. مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج١/ص٧٥.

(١٤٩) تفسير النسفي ج٣/ص٨٩.

(١٥٠) بلاغة الكلمة ص٦٢.

«فيستأصلكم بهلاكٍ فيبيدَكم، وللعربِ فيه لغتان: سحتَ وأسحتَ، وسحتَ أكثرُ من أسحتَ، يقالُ منه: سحتَ الدهرُ، وأسحتَ مالُ فلان: إذا أهلكه، فهو يسحته سحتاً وأسحته يسحته إسحاتاً»(١٥١).

بالجمع بين القراءتين يصبح المعنى أنَّ من افترى على الله كذباً عذَّبه الله تعالى بالاستئصال في الدنيا وكان استئصاله مُبالَغاً فيه، ويكون بسرعة وبهذه الشِّدَّة حيثُ لا يُبقِي لكم في الدنيا بقيةً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (قَالُوا إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف وتشديد النون من (هَذَانِّ) مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأ أبو عمرو (قَالُوا إِنَّ هذين) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالياء من (هذين).

٣ ـ وقرأ حفص (قَالُوا إِنْ هَذَانِ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف من (هذان).

٤ ـ وقرأ الباقون (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هذانِ)(١٥٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنْ): بالكسر والتخفيف، على أوجه منها ما ذكره السيوطي حيث يقول: «الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين، ثمَّ الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها نحو: (إنْ هذانِ لساحران) في قراءة

---

(١٥١) تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٦.

(١٥٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠، ٣٢١.

حفص وابن كثير»[١٥٣].

(إنَّ) بالكسر والتشديد على أوجه منها: أنها بمعنى (نعم)[١٥٤].

ثالثاً: التفسير:

وافق السحرة قولَ بَعضهم لبعض إنَّ موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلاّ ساحران عالمان خبيران يريدان أن يَتَفَرَّدا بكلِّ ما ملكتموه من مال ومكانةٍ، كما يريدان إخراجكم من أرضكم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان قوله تعالى: (قالوا إنْ هذان لساحِران): «وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ومنهم من قرأ (إنَّ هذانِ لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أنَّ هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك وتَمَحَّضَت لهما الرِّياسة بها دونكم»[١٥٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى (قَالُوا إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف وتشديد النون من (هَذَانِّ) مع المد المشبع التأكيد على قولهم بأنَّ

(١٥٣) الإتقان ج١/ص٢٠١ (بتصرف).

(١٥٤) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٤.

(١٥٥) تفسير ابن كثير ج٣/ص٢٨٠.

موسى وأخاه ـ عليهما السلام ـ ساحران، وهذا الرأي يستمدُّ قوَّةً وتأكيداً من هذه النون القوية التي لا تسقط بحالٍ من الأحوال، والذي يزيد الكلام تأكيداً المد المشبع الذي يوحي بالإطالة في الحديث حول هذا الرأي وكذلك تشديد النون من (هَذَانِّ).

يقول أبو العلاء الكرماني[١٥٦]ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ ابن كثير (إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف (إنْ) على معنى: ما هذان إلاّ ساحران. و(إنْ) إذا خففت كان الوجه أن تَرْفع الاسم بعدها»[١٥٧].

«ورد في قوله تعالى: (هذانِ) قراءتان هما:

أولاً: قراءة ابن كثير لهما بتشديد النون.

ثانياً: قراءة بقية السبعة لهما بنون خفيفة.

ولقد وجّه النحاةُ قراءةَ ابن كثيرٍ هذه على أنّه قد شدّد عوضاً عن الألف والياء المحذوفتين فيه، إذ إنَّ أصله (هذانِ) فحذفت الياء والألف منه، وشُدِّدت النون فيه عوضاً عن الحرف المحذوف فيه.

وهنا ربما يُثار سؤالٌ مفادُه: لماذا عُوِّض الحرف المحذوف هنا ولم يُعَوَّض المحذوف في المثنَّى كما في غلامان و(بُرْهَـنَانِ) [القصص: ٣٢]؟ وللإجابة عن ذلك وجهان، أحدهما:

أنَّ نون (هذانِ) ثابتة في كلِّ الأحوال، ولا تسقط بالإضافة كما تسقط نون المثنى، وذلك لكون هذه الأسماء لا تقبل الإضافة، لذلك فرقوا بين هذه النون القوية التي لا تسقط في حال من الأحوال وبين نون التثنية الضعيفة»[١٥٨].

---

(١٥٦) هو «محمد بن أبي المحاسن بن أبي الفتح الكرماني، أبو العلاء، مقرئ من آثاره مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني فرغ منها سنة ٥٦٣هـ». معجم المؤلفين ج٦/ ص١٧٣. وانظر: كشف الظنون ج٢/ ص ٦١١.

(١٥٧) مفاتيح الأغاني ص٢٧٤.

(١٥٨) ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ٤٤ ـ ٤٥.

وأمّا القراءة الثانية (قَالُوا إِنَّ هذين) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالياء من (هذين) على إعمال (إِنَّ) تفيدُ معنى: نعم هذان ساحران، أو أجل هذان ساحران على معنى تأكيد كلامٍ مقَدَّرٍ تحدَّثوا به حين أسرّوا النجوى، يقول أبو الحسن الفارسي: فيكون نعَم منصرفاً على تصديق أنفسهم فيما ادّعوه من السحر و(إِنَّ) بمنزلة نعم، وقال سيبويه: نعم عدةٌ وتصديق، وأن تُصرَف إلى الناصبة للاسم أولى[١٥٩].

كما أفادت القراءة الثالثة (قَالُوا إِنْ هَذَانِ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف من (هذان) تأكيد كونهما ساحرين على المعنى في القراءة الأولى: ما هذان إلاّ ساحران.

في حين أفادت القراءة الرابعة (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هذان) معنى: نعم هذان ساحران، تأكيداً لكلامهم حين أسرّوا النجوى بأنّ موسى وهارون عليهما السلام ساحران و(إنّ) هنا تكون عاملة وهي على لغة من يرفعون الاثنين في كلّ موضع.

يقول أبو علي الفارسي ـ رحمه الله ـ: «(إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) بتخفيف (إِنْ) لأن الكتاب: (هَذَانِ) فيحملها على لغة من يخفف (إنّ) فيرفع بها، وإن ثقلت فهي لغةٌ لبني الحارث بن كعب[١٦٠] يرفعون الاثنين في كلّ موضع»[١٦١].

ويقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «قالوا: أي بطريق التناجي والإسرار (إِنْ هَذانِ لَساحِران) الخ، فإنه تفسيرٌ له، ونتيجة لتنازعهم، وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور، و(إِنْ) مُخَفَّفَةٌ من (إِنَّ) قد أُهمِلت عن

(١٥٩) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣٠.

(١٦٠) هذه النسبة إلى قبائل، منها إلى بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ومنها إلى بني الحارث بن كعب بن علة بن جَلْد بن مالك بن أدد بن زيد بن يَشْجب بن يَعْرب بن قحطان، منهم شريح بن هانيء الحارثي صاحب علي رضي الله عنه. انظر: لب الألباب ج١/ص ٢٣١، واللباب ج١/ ص ٣٨١.

(١٦١) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣١.

العمل، واللام فارقة، وقُرِىءَ بتشديد نون (هذانِّ) وقيل: هي نافيةٌ واللام بمعنى إلا، أي: ما هذان إلا ساحران، وقرئ (إنَّ) بالتشديد، و(هذان) اسمها على لغة بلحارث بن كعب، فإنهم يعربون التثنية تقديراً، وقيل: اسمها ضميرُ الشأن المحذوف، و(هذان لساحران) خبرها، وقيل: (إن) بمعنى (نعم)، وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر، وفيهما أن اللام لا تَدخُل خبر المبتدأ، وقيل أصله أنه هذان لهما ساحران، فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقُرِىءَ (إِنَّ هذين لساحران) وهي قراءة واضحة»[١٦٢].

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ السحرةَ حين تنازعوا أمرهم، وأسرّوا النجوى أجمعوا على قولهم إنّ موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلاّ ساحران، وأكّدوا قولهم بهذا الرأي، ووافقوا عليه فقالوا: أجل هذان ساحران يريدان أنْ يخرجاكم من أرضكم، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤﴾ [طه: ٦٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿فأجمَعوا﴾ بوصل الهمزة وفتح الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾ بالقطع وكسر الميم[١٦٣].

ثانيا: المعنى اللغوي للقراءات:

الجمعُ: أن تجمعَ شيئاً إلى شيء، والإجماعُ: أن تجمعَ الشيء المُتفرِّق جميعاً، فإذا جعلته جميعاً بقيَ جميعاً ولم يكد يتفرَّق، كالرأي المعزوم عليه الممضى.

---

(١٦٢) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩٠.

(١٦٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ .

قال الفراء: الإجماعُ: الإعداد والعزيمة على الأمر(١٦٤).

ثالثاً: التفسير:

قال السحرةُ لبعضهم وهم يتناجون في أمر مغالبة موسى عليه السلام: أزمِعوا كيدكم واجعلوه مُجمعاً عليه، ثم ائتوا صفًّاً ليهابكم الناظرون، وقد فاز اليوم من كانت له الغلبة.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: «تصريحٌ بالمطلوب إثرَ تمهيدِ المقدماتِ، والفاءُ فصيحةٌ، أي: إذا كان الأمر كما ذُكرَ من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذُكرَ من الإخراج والإذهابِ فأزمِعوا كيدَكُم واجعلوه مُجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وارموا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُرِىءَ ﴿فأجمَعوا﴾ من الجمع، ويعضده قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] أي: فاجمعوا أدواتَ سِحركم ورتِّبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفاً، أي: مُصْطَفِّين، أُمِروا بذلك لأنه أهيبُ في صدورِ الرائين، وأدخلُ في استجلابِ الرهبةِ من المشاهدين، قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كلٍّ منهم حبلٌ وعصا، وأقبَلوا عليه إقبالةً واحدةً»(١٦٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد سالم محيسن في الفرق بين (جَمَعَ) و(أجمعَ): «واعلم أنَّ (جَمَعَ) الثلاثي يتعدَّى للحسِّيّ والمعنويّ، تقول: جمعتُ القوم، وجمعتُ أمري، وأنَّ (أجمعَ) الرباعي لا يتعدى إلا للمعنوي، تقولُ: أجمعتُ أمري، ولا تقولُ: أجمعتُ القوم»(١٦٦).

استئناساً بما سبق فإنَّ القراءة الأولى تُفيدُ جمع السحرةِ الكيدَ وما يستطيعون من الأمور الحسية وغيرها ليبالغوا في سحرهم.

(١٦٤) انظر: لسان العرب ج٨ /ص٦٧ ـ ٦٨.

(١٦٥) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩١.

(١٦٦) المغني لمحيسن ج٢/ص٢٥، وانظر: المستنير ج٢/ص٣٣، وروح المعاني ج١٥/ص٣٢٨.

أمَّا القراءة الثانية فإنَّها تُفيدُ إحكامَ أمرهم وكيدهم وأن يجعلوه مُجمعاً عليه بحيثُ لا يتخلَّف عنه منهم أحد؛ «وأجمعتُ كذا: أكثر ما يُقالُ فيما يكون جمعاً يُتوَصَّلُ إليه بالفكر»[١٦٧].

وفي الموازنة بين القراءتين **يقول الإمام الطبري** ـ رحمه الله ـ: «والصواب في قراءة ذلك عندنا همزُ الألفِ من (أجْمَعَ) لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنَّ السحرةَ هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجهَ لأن يقال لهم: (اجمَعوا) ما دُعيتُم له ممَّا أنتم به عالمون؛ لأنَّ المرءَ إنما يَجمعُ ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يومٌ يزيد[١٦٨] في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده بعضه إلى بعض، ولم يكن السحرُ متفرقاً عندهم فيجمعونه، وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] فغيرُ شبيهِ المعنى بقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ وذلك أنَّ فرعونَ كان هو الذي يجمعُ ويحتفلُ بما يغلبُ به موسى عليه السلام مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾[طه: ٦٠]»[١٦٩].

مستعينةً بالله ـ تعالى ـ أقول: إنَّ قولَ الطبريِّ هذا مأخذٌ عليه ـ رحمه الله ـ حيث لا يجوزُ ردّ قراءة صحيحةٍ أو تضعيفها، ولعلَّ المُسَوِّغَ له كَون زمانه قبلَ تحديد القراءات العشر الصحيحة، والقراءة الأولى (فاجْمَعوا) بالوصلِ وفتحِ الميم صحيحةٌ ولها مُسَوِّغٌ مقبولٌ يذكره أبو الحسن الفارسي ـ رحمه الله ـ حيثُ يقول:

«وإنما يقولون بالقطع إذا قالوا: أجمعنا على كذا وكذا، وأما إذا قالوا: اجمعوا أمركم، أو اجَمعوا كيدكم، فلا يقولون إلاَّ بالوصل، قال: والقطعُ أكثرُ القراءة.

قال: فإمّا أن يكونَ لغةً في ذا المعنى؛ لأنَّ بابُ فعلتُ وأفعلتُ كثيرٌ.

---

(١٦٧) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص١٨٩.

(١٦٨) جاء في تفسير الطبري لفظة (تزيد) بالتاء بدلاً من (يزيد) بالياء.

(١٦٩) تفسير الطبري ج١٦/ص٢٠٢.

أو يكونُ (اجمَعوا) أي: أجمِعوا على كذا وكذا، ثم قال: (كيدَكم) على أمرٍ مُستأنَفٍ. فإن قيل: فقد تقدَّمَ ذكرُ قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]، فإذا قالوا: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ كان تكريراً، قيل: لا يكون كذلك، ذاك إخبارٌ عن فرعون في جمعه كيده وسحره، وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم، وما يستظهرون في المبالغة في سحرهم»[١٧٠].

ويقول الخطيب التبريزي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فمن قرأ بالوصل فعلى أنَّ المعنى جيئوا بكلِّ كيدٍ تقدرون عليه، لا تُبقوا منه شيئاً، وشاهده ﴿...فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾، ومن قرأ بالقطع فعلى أنَّ المعنى، ليكن عزمكم مُجمَعاً عليه ثمَّ لا تختلفوا فتختلُّوا»[١٧١].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ السحرةَ أسَرُّوا لبعضهم بعضاً بأن يجمعوا كيدهم فلا يَدَعوا منه شيئاً إلاَّ جاءوا به، وأن يُحكِموا أمرهم وكيدهم ورأيهم، وأنْ يرموا عن قوسٍ واحدةٍ؛ ليكون لهم الفوزُ والفلاح، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان وروح (تُخَيَّلُ) بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُخَيَّلُ) بالياء على التذكير[١٧٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خيل: خال الشيءَ يخالُ خيلاً، وخِيلة، وخَيْلة، وخالاً، وخِيَلاً،

(١٧٠) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣٢.

(١٧١) الملخص ص٢٦٩.

(١٧٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

وخَيَلاناً، ومخالة، مَخِيلة، وخيلُولة: ظَنَّهُ»[173]. و«تَخيَّل الشيءُ له: تَشَبَّهَ»[174].

قال الفيروزأبادي[175] ـ رحمه الله ـ: «الخيال والخَيَالة بمعنى: وأصله الصُّورة المجرّدة كالصورة المتصوّرة في المنام وفي المرآة وفي القلب بُعَيد غيبوبة المرئيّ... ثمّ يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ شخص دقيق يجري مجرَى الخيال. والتَّخييل: تصوير خَيال الشيء في النفس، والتَّخيُّل: تصور ذلك»[176].

ثالثاً: التفسير:

لمّا اجتمع موسى عليه السلام والسحرة في الميقات المعلوم أمام الناس، وشاور السَّحَرةُ موسى عليه السلام تأدُباً معه فيمن يلقي أولاً، قال لهم موسى بأن يبدءوا هم بالإلقاء، وقد كانوا أودعوا عصيَّهم وحبالَهم من الزئبق ما جعلها تبدو وكأنها تتحرك وذلك بتأثير حركة الزئبق الذي تمدد مع حرارة الشمس في وقت الضحى، حتى إنّ موسى عليه السلام فَزِع واضطرب من عظمة سحر السحرة[177].

يقول الصابوني في بيان قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦]: «في الكلام حذفٌ دلَّ عليه المعنى: أي فألقوا فإذا تلك الحبال والعصيّ التي ألقوها يتخيلها موسى ويظنُّها ـ من عظمة السحر ـ أنّها حيّات تتحرك وتسعى على بطونها، والتعبير يوحي

(١٧٣) لسان العرب ج١١/ص٢٧٢.

(١٧٤) القاموس المحيط ص١٢٨٨.

(١٧٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزأبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكازارين من أعمال شيراز، وانتقل إلى العراق، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. مات سنة ٨١٧هـ. انظر: الأعلام ج٧/ ص١٤٦.

(١٧٦) بصائر ذوي التمييز ج٢/ص٥٨٠ (بتصرف).

(١٧٧) انظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩٢.

بعظمة السحر حتى إنّ موسى فزع منها واضطرب»[178].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

القراءتان على البناء للمفعول ولكن القراءة (تُخَيَّلُ) بتاء التأنيث حملاً على معنى تخيل الحبال والعصي، في حين أنّ القراءة (يُخَيَّلُ) بياء التذكير حملاً على معنى يُخيل لهم السحر.

والتذكير يحمل معاني عدة منها: القوة والقلة، والتأنيث يحمل معاني عدة: منها الكثرة والضعف[179].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنّ الله تعالى ـ بمشيئته القدرية الكونية ـ خيّل للحاضرين ـ للامتحان والابتلاء ـ أنّ الحبال والعصيّ على كثرتها أو قلّتها تسعى، حتى تخيّلوها من عظمة السحر أنّها تسير وتعدو مثل الحيّات، ورغم تمكن السحرة من السحر وإتقانهم له فكيدهم وإن ظهر قوياً فهو في حقيقته ضعيف، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في (تَلَقَّفُ):

١ ـ قرأ ابن ذكوان (تَلَقَّفُ) برفع الفاء.

٢ ـ وقرأ حفص (تَلْقَفُ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف.

٣ ـ وقرأ البزي (يَمِينِكَ تَّلَقَّفْ) بالجزم والتشديد وعلى أصله في تشديد التاء وصلا.

---

(١٧٨) صفوة التفاسير ج٢/ص ٢٠٧. وانظر: تفسير البغوي ج٣/ص١٨٨.

(١٧٩) انظر: التأنيث في اللغة ص٢٧.

٤ ـ وقرأ الباقون (تَلَقَّفْ) بالجزم والتشديد[١٨٠].

القراءات في (سِحْر):

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سِحْر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون (سَاحِر) بالألف وفتح السين وكسر الحاء[١٨١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(تَلْقَفْ): لقف: اللَّقْفُ: تناوُل الشيء يرمي به إليك. تقول: لَقَّفَني تَلْقِيفاً فلَقِفْته. واللَّقْفُ: سرعة الأخذ لما يُرمى إليك باليد أو باللسان. (وفي حديث الحج: تلقَّفْتُ التلبية مِن فيّ رسول الله ﷺ)[١٨٢] أي: تلقَّيتها وحفِظتها بسرعة. والتَّلَقُّف: الابتلاع[١٨٣].

سِحْر: السّحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى. السِّحْر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار وسحور، سحره يسحره سحراً. ورجل ساحر: من قوم سحرة، سحَّار: من قوم سحَّارين[١٨٤].

«وقد (سَحَرَه) بالفتح، (سِحْراً) بالكسر. و(الساحِرُ): العالِم»[١٨٥].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله ـ تعالى ـ نبيَّه موسى عليه السلام قائلاً: ألقِ ما في يمينك ـ وهي

---

(١٨٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

(١٨١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

(١٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ج٢/ص ٨٤١/ ح١١٨٤، كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها.

(١٨٣) انظر: لسان العرب ج٩/ص٣٨٢. وانظر: التفسير الوسيط للطنطاوي ج٩ / ص ٦١.

(١٨٤) انظر: المرجع السابق ج٤/ص ٣٤٨.

(١٨٥) مختار الصحاح ص٣٢٦.

العصا ـ تبتلعُ بفمها كلَّ ما صنعوا من السحر، فقد اخترعوه وافتعلوه من باب الشعوذة والسحر؛ لذا فإن الساحر لا يفوز بمطلوبه فهو كاذبٌ مضلِّل.

يقول الأستاذ محيي الدين الدرويش ـ رحمه الله ـ: «قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له، وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أنْ يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة»[186].

ويقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري ـ رحمه الله ـ: «﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أي ألقِ عصاك التي بيمينك، وإنما أوثر الإبهام تهويلاً لأمرها، وتفخيماً لشأنها، وإيذاناً بأنها ليست من جنس العصيّ المعهودة ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بالجزم جواباً للأمر، أي تبتلع ما صنعوه من السحر، من لَقفه إذا ابتلعه بسرعة، والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير، والعربُ تقول في الكذب كلام مصنوع ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ أي إنما افتعلوه هو من باب الشعوذة والسحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنس، لأن السحر صنعة خسيسة، ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ أي حيث كان، وأين أقبل»[187].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة (تَلَقَّفُ) سرعة التلقف وكثرته: حيث تلتهم ما صنعوا بسرعة، وتقتلع مادة الخوف من نفس موسى عليه السلام بالكلية.

فمعنى (تَلَقَّفُ) أي: «تبتلع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك»[188].

يقول الألوسي: «رفع الفعل على أنَّ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو

(١٨٦) إعراب القرآن للدرويش ج٤/ص٧٠٢.

(١٨٧) المقتطف ج٣/ص٣٤٧، ٣٤٨، وانظر: روح المعاني ج١٥/ص٣٣٤.

(١٨٨) السراج المنير ج٢ / ص ٤٧٢. وانظر: التبيان ج١/ ص ٢٠٧.

حال مقدَّرة من فاعل ألقِ بناءً على تسببه أو من مفعوله، أي متلقفاً أو متلقفة؛ وجملة الأمر معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية علوه وغلبه عليه السلام، فإنَّ ابتلاع عصاه عليه السلام لأباطيلهم التي منها أوجس في نفسه خيفة، يقلع مادة الخوف بالكلية»(١٨٩).

أما فيما يتعلّق بالقراءة (تَلْقَفُ) فقد أفادت إثبات أصل الحدث، واستحضار حقيقة الصورة دون مبالغة فيها.

جاء في **كتاب التوجيه اللغوي لقراءة عاصم** ما يلي: «قرأ حفص: (تَلْقَفُ) مضارع من الثلاثي المجرّد (لَقِفَ يلْقَف لَقْفاً) والمعنى: تَلْقم أي: تأخذه فتأكله وتبتلعه، وهذه القراءة إثباتٌ لأصل الحدث، واستحضار لحقيقة الصورة دون مبالغة فيها وقرأ شعبة: (تَلَقَّفُ) وهو مضارع حُذفت إحدى تاءيه تخفيفاً، والأصل: (تتَلَقَّفُ) من (تَلَقَّف) الماضي المزيد بالتاء وتضعيف العين، وهما . . . صوتان لهما معنى في البناء الصرفي. ولا شك أنّ المعنى ـ بفضلهما ـ زاد قوة، وتعبيراً عن الإمعان في الالتهام»(١٩٠).

أمّا القراءة الثالثة (يَمِينِكَ تَّلَقَّفْ) فقد ورد فيها الآتي: «وقوله بتشديد التاء أي إدغام التاء الأولى في الثانية في حالة الوصل، لئلاّ يلزم الابتداء بالساكن على ما بُيِّنَ في علم النحو»(١٩١).

ولا يخفى ما في هذه القراءة من الشدة والسرعة في النطق ممّا يُوحي بالشدَّة والسرعة في الحدث.

في حين أفادت القراءة (تَلْقَفْ) بالجزم على أنه جوابٌ للأمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ﴾، وما كان جواباً للأمر كان مجزوماً؛ لأنه على تقدير جواب الشرط، كأنه قال: وألقِ ما في يمينك فإنَّكَ إن تُلْقِهِ تَلْقَفْ(١٩٢).

---

(١٨٩) روح المعاني ج١٥/ص٣٣٤، وانظر: أضواء البيان ج٣/ص٢٧.

(١٩٠) التوجيه اللغوي ص ١٨٧.

(١٩١) حاشية الشهاب ج٦/ص٣٧٠.

(١٩٢) انظر: الموضح ج٢/ص٨٤٣.

أمّا القراءة (كيد سحر) فقد أفادت توغُّلَ السحرة في السحر كأنّهم السحر بعينه، كما بيَّنت الكيد، وفي ذلك **يقول الزمخشري** ـ رحمه الله ـ: «وقُرِىءَ (كيدُ سحر) بمعنى كيد ذي سحر، أو ذوي سحر، أو هم لتوغُّلهم في سحرهم كأنّهم السحر بعينه وبذاته، أو بيَّنَ الكيد لأنّه يكون سحراً، وغير سحر، كما تُبَيَّنُ المائة بدرهم، ونحوه: علم فقهٍ، وعلمُ نحو»(١٩٣).

بينما أفادت القراءة ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ تحقير كيد السحرة.

قال أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ بالرفع على أنّه خبرٌ؛ أي: كيدُ جنس الساحر، وتنكيرُهُ للتوسُّل به إلى تنكير ما أُضيفَ إليه للتحقير. وقُرِئ ﴿كيدُ سحر﴾ على أنَّ الإضافة للبيان كما في علمُ فقهٍ، أو على معنى ذي سحر، أو على تسمية الساحر سحراً مبالغة»(١٩٤).

وبالجمع بين القراءات الستّ يتبيّن أنّ الله ـ تعالى ـ أوحى إلى موسى عليه السلام حين أوجسَ في نفسه خيفةً أنْ يُلقيَ عصاه، وبمجرَّد إلقائه لها إذا هي تبتلعُ، وتلتهم كلَّ ما صنعوه من السحر بسرعةٍ، وحذقٍ، ولم تُبْقِ مِمّا صنعوا شيئاً، وقد كانت مُسْتَحْضِرَةً لحقيقة الصورة، مثبِّتةً لأصل الحدث.

كما بيَّنَ الله ـ عز وجل ـ لموسى أنّهم رغم توغُّلِهم في السحر ـ حتّى لكأنَّ الساحر منهم أصبح جنسَ السِّحر نفسه ـ إلاّ أنّ ما صنعوا هو كيدٌ حقيرٌ تلتهمُهُ هذه العصا رغم صِغَرِ حجمها، فهيَ أعظمُ ممّا صنعوه جميعاً، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

(١٩٣) الكشاف ج٢/ص٥٤٥.

(١٩٤) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٢٩٣. وانظر: الملخص ص٢٧١. والفتوحات الإلهية ج٣/ص ١٠٠.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص، ورويس: (ءامَنتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر.

٢ ـ وقرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، (أءامَنتُم لَهُ) على الاستفهام بهمزتين الأولى مُحَقَّقَةٌ والثانية بين بين.

٣ ـ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح (أءامَنتُم لَهُ) على الاستفهام بهمزتين مُحَقَّقَتين[(١٩٥)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«آمَنَ به إيماناً: صدَّقَهُ، والإيمانُ: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة»[(١٩٦)].

ثالثاً: التفسير:

يستنكر فرعون على السحرة أنهم آمنوا برب موسى عليه السلام دون إذنٍ منه، ويتَّهمهم أنَّهم تآمروا مع موسى عليه السلام عليه وعلى قومه، وأنَّ موسى عليه السلام هو كبيرهم الذي تعلَّموا السحر على يديه، وهدَّدهم بقتلهم وإشهارهم.

فقد «كان فرعون قد ادّعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وادّعى الألوهية وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وفوجئ فرعون بإيمان السحرة، وسجودهم لله رب العالمين؛ وخشي أنْ يمتد الإيمان إلى سائر الشعب؛ فادّعى: أنَّها مؤامرة، وادَّعى: أنَّ موسى هو المعلِّم الذي تعلَّموا على يديه السحر، وأنَّهم بيَّتوا هذا الأمر؛ ليتظاهروا أمام الناس بأنَّهم غُلِبوا، وهدَّد السحرة بالغضب والانتقام، والعذاب الأليم.

وقال: آمنتم بموسى قبل أن أعطيكم الإذن بذلك؛ لأقطِّعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى من خلاف، أي: لا يكون القطع لليد والرجل عن وفاق؛ فيقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى؛ فيكون للإنسان نصف كامل، بل

(١٩٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١، والبدور الزاهرة ص١٢٠.

(١٩٦) القاموس المحيط ص١٥١٨.

يريد أن ينتشر النقص في الجسم كلّه. ولأصلّبنّكم على جذوع النخل من باب التشهير والتنكيل ـ قال ابن عباس: فكان أوّل من عذّب بهذا العذاب ـ ولتعلمنّ أيُّها السحرة أيُّنا أشدُّ تعذيباً لكم، وأبقى في إنزال الهلاك بكم؛ أنا أمْ موسى وربّه؟»[197].

«فإنَّ حرف الجر (في) جيء به قصداً ولا يسد غيره مسدّه؛ ذلك لأنَّ الحرف يصوّر لنا ما في نفس فرعون من حقد وغيظ على أولئك السحرة المؤمنين. فهو لا يريد فقط تصليبهم على الجذوع، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها»[198].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

ناسبت القراءة الأولى (آمَنْتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر، إخبار فرعون للسحرة على جهة التوبيخ أنَّ إيمانهم كان بدون إذنٍ منه، فبهذا يكون إيمانهم في نظره إيمانٌ لا يُعْتَدُّ به، وهو غير مُعْتَبَرٍ.

كما ناسبت القراءة الثانية (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين الأولى مُحَقَّقَةٌ والثانية بين بين، استنكار فرعون إيمان السحرة بغير إذنه، ففي الآية استفهامٌ توبيخي، واستنكارٌ لفعلِ الإيمان من قِبَلِ السحرة بسهولةٍ وبلا تردُّد من السحرة، وأنَّ هذا الإيمان لا يُعْتَدُّ به لكونه بغير إذنٍ منه؛ إذ لا يحقُّ لهم إلا تبعية فرعون. وهذا ما يوحي به وضع الهمزتين في هذه الكلمة حيث إنَّه إذا اجتمع في كلمة همزتان وجب التخفيف إن لم يكونا في موضع العين[199]، وهذا ما حدث في القراءتين السابقتين.

وناسبت القراءة الثالثة (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين مُحَقَّقَتين، استنكار فرعون إيمانَ السحرة بدون إذنه، واستثقاله هذا الفعل، فهو الذي جاء بهم ليقضيَ على موسى ويُبطلَ أمرَه، فإذا به يُفاجأُ بهم يؤمنون بدعوته،

---

(١٩٧) تفسير القرآن الكريم ج١٥/ ص ٣١٧٧.

(١٩٨) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٣٨.

(١٩٩) انظر: شرح ابن عقيل ج٢/ ص ٢١٦.

فكان تحقيق الهمزة الثانية إلى جانب تحقيق الهمزة الأولى ثقيلاً على النطقِ ليدلَّ على أنَّ هذا الأمر ثقيلٌ على نفس فرعون، ويوجِبُ للسحرة أشدَّ العقاب.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «إن مرادهم فرعون قال أي فرعون للسحرة: (آمنتم له) أي لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع، وقرئ على الاستفهام التوبيخي (قبل أنْ آذنَ لكم) أي: من غير أنْ آذن لكم في الإيمان له كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أنَّ إذنه لهم في ذلك واقعٌ بعده أو متوقع، إنه يعني موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لكبيركم أي: في فَنِّكم، وأعلمكم به وأستاذُكم الذي علَّمكُم السِّحر، فتواطأتم على ما فعلتم، أو فعَلَّمكُم شيئاً دون شيء؛ فلذلك غلَبكم، وهذه شبهةٌ زَوَّرها اللعين، وألقاها على قومه، وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه، فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن مُعْتَدًّا به، وأنهم من تلامذته عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا عبرةَ بما أظهره، كما لا عبرةَ بما أظهروه؛ وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداءِ الناس بالسحرةِ في الإيمان بالله تعالى»[٢٠٠].

ويقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقرأ الأكثر (ءآمنتم) على الاستفهام التوبيخي، والتوبيخ هو المراد من الجملةِ على القراءةِ الأولى أيضاً لا فائدةُ الخبر أو لازمُها، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غير إذني لكم في الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أنَّ إذنه لهم في ذلك واقعٌ بَعْدُ أو مُتَوَقَّعٌ، وفَرَّقَ الطبرسى بين الإذن والأمر بأن الأمرَ يدلُّ على إرادةِ الآمرِ الفعلَ المأمورَ به، وليس في الإذن ذلك»[٢٠١].

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ فرعون يخبرُ السحرةَ باستفهامه التوبيخي استنكارَهُ لإيمانهم بربِّ موسى بهذه السهولة وبدون إذنه، وأنَّ هذا الإيمان لا

(٢٠٠) تفسير أبي السعود ج٤ / ص ٢٩٤.

(٢٠١) روح المعاني ج١٥/ص٣٣٨.

يُعْتَدُّ به، ولذلك ففعلتهم شديدةٌ مُسْتَثْقَلةٌ ويستحقُّون - في نظره - العِقابَ الشديد؛ لذا فسينتقم منهم انتقاماً لم يُسبَق إليه بعد، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها، والله أعلم.

١٥ - قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (نُوْثِرَك).

٢ - وقرأ الباقون (نؤْثِرَك)[٢٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

آثَرَه: أكرمه، استأثر بالشيء: استبدَّ به وخصَّ به نفسه، رجلٌ يسْتأثِرُ على أصحابه أي: يختارُ لنفسه أشياء حسنة. وآثَرْتُك إيثاراً أي: فَضَّلْتُك. لن نؤثرك: لن نفضلك ونختارك[٢٠٣].

ثالثاً: التفسير:

يردُّ السحرة على وعيد فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل بأنَّهم لن يُفَضِّلوه على ما جاءهم من الله - عز وجل - على يد موسى عليه السلام من المعجزات الظاهرة، وأنَّهم غير مبالين بوعيده.

وفي هذا المعنى **يقول الشيخ مصطفى المنصوري** - رحمه الله -: «﴿قَالُوا﴾ غير مكترثين بوعيده ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: لن نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾: من الله تعالى على يد موسى عليه السلام، ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ من المعجزات الظاهرة، فإنَّ ما ظهر من العصا، كان مشتملاً على معجزات جمَّة، فإنَّهم عارفون بجلائلها،

(٢٠٢) انظر: النشر ج١/ ص ٣٩٠.

(٢٠٣) انظر: القاموس المحيط ص ٤٣٦. ولسان العرب ج٤/ص٨. وأيسر التفاسير ج٣/ص٣٦٣.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: لن نؤثرك وحقّ الذي فطرنا، وهو قسم بعزّة الله وجلاله، ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾: جواب عن تهديده، أي: فاصنع ما أنت صانعه بنا، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾: تعليل لعدم المبالاة بوعيده، أي: إنّما ينفذ حكمك في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي إنّما تصنع ما تهواه في هذه الحياة الدنيا فحسب، وهي فانية زائلة، ورغبتنا في النعيم الدائم»[٢٠٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنّ الهمزة حرف ثقيل يوحي بثقل الأمر الذي تعبِّر عنه الكلمة التي يشتمل عليها، في حين أنّه يجوز في اللغة تخفيف الهمزة بإبدالها بحرف مد مجانس لحركتها[٢٠٥].

ولذا فقد أفادت القراءة الأولى ﴿نُوْثِرَكَ﴾ تخفيف أمر فرعون وتهوين وعيده بتعذيب السحرة وذلك أنّ الحياة الدنيا مهما طالت فهي فانية زائلة لذا فإنّ ضررها هيِّنٌ.

يقول الطبرسي ـ رحمه الله ـ على لسان السحرة في ردّهم على وعيد فرعون لهم بالعذاب: «إنّما تصنع بسلطانك أو تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم، وقيل معناه إنّما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الآخرة»[٢٠٦].

أمّا القراءة الثانية ﴿نُؤْثِرَكَ﴾ فقد أفادت شدة الوعيد من فرعون بتعذيبهم بكيفية لم يسبقه إليها أحد، وعلى رغم ذلك فإنَّ تفضيل فرعون واتباع أوامره وترك ما جاء به موسى أمر ثقيل صعب، وهو أمرٌ مُسْتَبْعَدٌ لديهم على رغم علمهم بشدة العذاب الذي يتوعَّدهم به فرعون.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «اعلم أنّه تعالى لمّا حكى تهديد فرعون لأولئك حكى جوابهم عن ذلك بما يدل على حصول اليقين والبصيرة

---

(٢٠٤) المقتطف ج٣/ص٣٤٩.

(٢٠٥) انظر: الموضع رقم (٦) من هذه السورة ص٤٦ ـ ٤٨.

(٢٠٦) مجمع البيان ج١٣/ص١٢٣.

الكاملة لهم في أصول الدين، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان وإلا فعل بهم ما أوعدهم فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ جواباً لما قاله وبيَّنوا العلَّة وهي أن الذي جاءهم بيِّنات وأدلة، والذي يذكره فرعون محض الدنيا، ومنافع الدنيا ومضارّها لا تعارض منافع الآخرة ومضارّها... واعلم أنّهم لمّا علموا أنّهم متى أصرّوا على الإيمان فعل فرعون ما أوعدهم به فقالوا: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ لا على معنى أنّهم أمروه بذلك لكن أظهروا أنَّ ذلك الوعيد لا يزيلهم البتّة عن إيمانهم وعمّا عرفوه من الحقِّ علماً وعملاً، ثمَّ بيَّنوا ما لأجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا: إنّ قضاءك وحكمك إنّما يكون في هذه الحياة الدنيا وهي كيف كانت فانية وإنّما مطلبنا سعادة الآخرة وهي باقية، والعقل يقتضي تحمُّل الضرر الفاني المُتَوَصَّل به إلى السعادة الباقية»(٢٠٧).

بالجمع بين القراءتين يتّضحُ أنّ السحرةَ فضَّلوا اتباع موسى عليه السلام والإيمان بالله بالرغم ممَّا سيلاقونه من التعذيب الشديد على يد فرعون، وقد استهانوا بما سيفعله بهم لأنَّ قضاءَه وحكمَه منحصِرٌ في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس، وقالون بخلف عنه ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ من غير صلة.

٢ ـ وقرأ السوسي ﴿وَمَنْ يَاْتِهْ﴾ بالسكون وإبدال الهمزة ألفاً.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة، وهو الوجه الثاني لقالون(٢٠٨).

---

(٢٠٧) تفسير الرازي ج٢٢/ص٨٩ (بتصرف).

(٢٠٨) انظر: النشر ج١/ ص٣٩٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أتي: الإتيانُ: المجيء[٢٠٩].

الأَتْوُ: الاستقامةُ في السير، والسرعة، والطريقةُ، أَتَيْتُه أتْياً وإتياناً وإتيانةً: جئته[٢١٠].

ثالثاً: التفسير:

يقول الله ـ تعالى ـ مخبراً عن قول السحرة لفرعون أنّه من يجيء إلى ربِّه يوم القيامة مؤمناً بالله، فأولئك لهم درجات الجنة العلاَ.

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: «﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً﴾ موحداً لا يُشرك به ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: قد عمل ما أمره به ربُّه، وانتهى عمّا نهاه عنه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلاَ﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العُلاَ»[٢١١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ أنَّ من يأتِ ربَّه مؤمناً وقد عمل الصالحات فهو المستحق للدرجات العليا في الجنة، وقد جعلها الله جزاء صبره على أداء الطاعات، ومجاهدة النفس حتَّى لا تقع في المعاصي وهذا ما دلَّت عليه الهمزة بما فيها من ثِقَل في النطق بها وفيما تدلُّ عليه من المعاني[٢١٢].

يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «أي ومن يأتِ ربَّهُ مصدِّقاً به قد عمل الصالحات أي الطاعات»[٢١٣].

---

(٢٠٩) مختار الصحاح ص٥.
(٢١٠) انظر: القاموس المحيط ص١٦٢٣، ١٦٢٤.
(٢١١) تفسير الطبري ج١٦/ص٢٠٩.
(٢١٢) للاطلاع على مفهوم الهمزة وما يدل عليه النطق بها، انظر: ص٤٦ ـ ٤٨.
(٢١٣) فتح القدير ص١١٠٩.

أمّا القراءة الثانية ﴿وَمَنْ يَأْتِهْ﴾ ففيها خُفِّفَت الهمزة وأُبدِلَت بألف، كما خُفِّفَت الكسرة وأُبدِلَت بالسكون، وفي هذا دلالة على التخفيف عن المؤمنين الذين زَلَّت أقدامهم وهم في طريق الإيمان فارتكبوا المعاصي، بأن الله تعالى جعل لهم في الجنة درجات دون الدرجات العلاَ، وأنَّهم لن يُحْرَموا الجنة بإذن الله تعالى.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر؛ لأنّه تعالى جعل الدرجات العُلَى من الجنة لمن أَتَى ربَّه بالإيمان، والأعمال الصالحة، فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بدَّ وأن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان»(٢١٤).

أمّا القراءة الثالثة ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة وذلك يكون بإشباع الكسرة حتَّى تصبح ياءً، فقد أفادت أنَّ السحرة كانوا في حالة التجاء، وخوف، وخشية، جعلتهم يلتصقون بمن يحميهم، ويلتجئون إلى من ينصرهم.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز الياء، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يَلْصَق الإنسان بمن يحميه ويلقي بنفسه كلِّها عليه، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً. . . لذا فإنَّ إظهار الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلها أمام خالقه(٢١٥).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ السحرة وهم في كمال التجائهم إلَى خالقهم واحتمائهم به؛ بسبب خشيتهم وخوفهم من فرعون، يخبرون فرعون بمآلهم عند خالقهم، حيث إنَّ من يأتِ ربَّه مؤمناً وقد عمل الصالحات فإنّ له الدرجات العلاَ في الجنة، وأما ما دونها من الدرجات فهي لمن آمن وخلط الطاعات بالمعاصي، حيث يدخله الله تعالى الجنَّة برحمته،

---

(٢١٤) تفسير الرازي ج٢٢/ص٩١.

(٢١٥) انظر: التعبير القرآني ص ٨٤.

لمجرَّد إيمانه بالله ﷻ، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (أَنْ أَسْرِ):

١ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أنْ) للساكنين وصلاً، ويبتدئون بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَنْ أَسْرِ) بقطع الهمزة مفتوحة.

القراءات في(لاَ تخَافُ):

١ ـ قرأ حمزة (لاَ تَخَفْ) بالجزم.

٢ ـ وقرأ الباقون (لاَ تَخَافُ) بالرفع(٢١٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّرَى: سَيْرُ الليل: يُقالُ: سَرَى وأَسْرَى، قال تعالى: (فأسْرِ بأهلك) [هود: ٨١]»(٢١٧).

«سَرَى الرَّجُلُ يسري سُرىً، وسُرْيةً، وسَرْيةً، وسِرايةً، وسَرْياناً، ومسرىً: سار الليلَ كلَّهُ، فهو سارٍ.

أسرَى الرجلُ إسراءً مثل سرَى، وقيل: أسرَى لأول الليل، وسرَى لآخر الليل، أسراهُ وأَسرَى بهِ: سيَّرَهُ ليلاً»(٢١٨).

الخَوْفُ: انفعالٌ في النفسِ يَحْدُثُ لتَوَقُّعِ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوتُ من المحبوب، وهذا يعني أنَّهُ توقُّعُ مكروهٍ عن أمارَةٍ مَظْنونَةٍ أو معلومة،

(٢١٦) انظر: النشر ج٢/ص٢٩٠، ٣٢١.

(٢١٧) المفردات ص٤٠٨.

(٢١٨) الوافي ص٢٨٠.

ويضاد الخوف الأمن[219].

ثالثاً: التفسير:

يوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يسير ببني إسرائيل ليلاً، فيتّخذ لهم طريقاً يابساً في البحر، ولا يخاف من فرعون أن يلحق به فيمسكه، ولا يخشى الغرق في أثناء سيره في البحر.

وفي ذلك يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى) نبينا (مُوسَى) إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبَى أنْ يستجيب لأمر ربّه، وطغَى وتمادَى في طغيانه، ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ ليلاً ﴿بِعِبَادِى﴾ يعني: بعبادي من بني إسرائيل، ﴿فَاَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً. واليَبَس واليَبْس: يُجمَع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض. واليبْس المخفف: يجمع يبوس. . .، وأما قوله: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أنْ يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووحلا[220].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن ـ حفظه الله ـ: «يقال: سَرَى وأسْرَى للسَّيْرِ ليلاً، وقيل أسرَى لأول الليل، وسَرَى لآخره، أما سار فمختصّ بالنهار»[221].

واستئناساً بما سبق تكون القراءة الأولى ﴿أَنِ اسْرِ﴾ قد ناسبت الأمر من الله تعالى لموسى عليه السلام بسرعة السير ببني إسرائيل[222] ليلاً وهذا ما تشيرُ إليه سرعة النطق بهمزة الوصل.

---

(٢١٩) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(٢٢٠) انظر: تفسير الطبري مج ٩ /ج١٦/ص٢١٠٩.

(٢٢١) المستنير ج٢/ص٣٦.

(٢٢٢) وقد شرف الله بني إسرائيل بإضافتهم إليه بقوله: بعبادي. انظر: دلالات الظاهرة الصوتية ص٢١٠ ـ ٢١٢.

في حين ناسبت القراءة الثانية ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ الأمر من الله ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام بالسير ببني إسرائيل ليلاً في أول الليل، ولا يخفَى على أحدٍ ما في ذلك من الخطورة على موسى عليه السلام وبني إسرائيل، حيث يكون احتمال أنْ يراهم فرعون أو ملؤه ما زال قائماً، وهذا ما تشير إليه الهمزة بثقلها.

يقول الدكتور فاضل السامرائي ـ حفظه الله ـ: «فاستعمل الهمزة لثقلها في الحالات الثقيلة النادرة»(٢٢٣).

أمّا القراءة (لاَ تَخَفْ) فقد أفادت النهي عن الخوف، والجزم على جواب الأمر.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والوجه أنّ (لاَ تَخَفْ) جزم على جواب الأمر، وهو قوله (فاضْرِبْ)، والتقدير: فاضربْ لهم طَريقاً فإنّك إن تضْرِبْ لا تَخَفْ» (٢٢٤).

ولقراءة النّهي توجيهٌ في النحو العربي مفاده: «وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)؛ ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى، ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّبَ عليه عدم الخوفِ من وقوعِ الظّلم عليه، أو هضم أعماله في الحياة الدنيا»(٢٢٥).

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (تَخَفْ) تخفيف أمر الخوف، وتهوينه على نفس موسى عليه السلام، حتى لا يبقى في نفسه شيءٌ منه.

يقول الدكتور فاضل السامرائي في هذا المعنى: «فخفَّف الفعل بالحذف إشارةً إلى تخفيف الأمر على النفس»(٢٢٦).

---

(٢٢٣) بلاغة الكلمة ص ٥٧.

(٢٢٤) الموضح ج٢/ص٨٤٦.

(٢٢٥) ما انفرد به كل من القرّاء السبعة ص٥٣.

(٢٢٦) التعبير القرآني ص ٧٧.

وقد أفادت القراءة (لاَ تَخافُ) أنّ موسى عليه السلام وهو يَضْرِبُ لهم طريقاً يبساً في البحر، حالُه غير خائفٍ من فرعون، ولا خاشٍ من الغرق.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والوجه أنّه فعلٌ مضارع وقعَ موقعَ الحالِ من الفاعلِ والتقدير: اضربْ لهم طريقاً غَيْرَ خائفٍ ولا خاشٍ، ويجوز أنْ يكونَ على القَطْعِ ممّا قبله، والتقدير: أنت لا تخافُ دركاً ممّن خلفك ولا تخشَى غرقاً من بين يديك»(٢٢٧).

وبالجمع بين القراءات الأربعِ يتّضح أنّ الله ـ تعالى ـ يأمرُ موسى عليه السلام بالإسراع بالسير ببني إسرائيلَ الذين شرفهم بعبوديتهم له ـ سبحانه ـ في أولِ الليلِ في مُتَّسَعٍ من الوقت مع الحذَرِ والحيطَة حتى لا يراهم أحدٌ من الأعداء، ويأمره اللهُ ـ عز وجل ـ أنْ يكونَ حاله عدم الخوفِ من فرعون أنْ يدْرِكَهُ، وعدم الخشية من الغرق في البحر، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨٠ ـ ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (أَنْجَيْتُكُم وَواعَدتُكم وَرزَقْتُكُم) بالتاء مضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَنْجَيْناكم، وواعَدْناكُم، ورزَقْناكُم) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنّ.

٣ ـ وقرأ أبو جعفر والبصريّان (وَعَدْناكم) بحذف الألف من (وَاعَدْناكُم)(٢٢٨).

---

(٢٢٧) الموضح ج٢/ص ٨٤٧.

(٢٢٨) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَجَى من الهلاك وينجو نجاةً: خَلَصَ، والاسم النَّجاء بالمد وقد يقصر فهو ناجٍ، والمرأةُ ناجية... ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال أنجيته ونجَّيتُه(229).

وَعَدَ: «في الخير: وَعَد، وفي الشر: أوعَد، وقالوا: أوعَدَ الخيرَ وبالشَّرِّ، والميعاد: وَقْتُهُ، موضِعُهُ، المواعَدَةُ. وتواعَدوا واتَّعَدوا، أو الأولى: في الخير، والثانية: في الشر، وواعده الوقت والموضع فوَعَدَه: كان أكثرَ وَعْداً منه»(230).

رَزَقَ: «رَزَقَ الله الخلق يرزقهم، والرِّزق بالكسر اسم المرزوق، والجمع الأرزاق مثل حمل وأحمال، وارتزق القوم أخذوا أرزاقَهُم فهم مُرْتَزِقة»(231).

ثالثاً: التفسير:

يذكر الله - ﷻ - لبني إسرائيل بعضاً من نعمه عليهم كالنجاة من فرعون وإنزال التوراة والمنّ والسلوى.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في هذا المعنى: «اعلم أنه تعالى لما أنعم على قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنواع النعم، ذكَّرهم إياها، ولا شك أنَّ إزالة المضرة يجب أنْ تكون متقدّمة على إيصال المنفعة، ولا شكَّ أن إيصال المنفعة الدينية أعظم في كونه نعمة من إيصال المنفعة الدنيوية، فلهذا بدأ الله تعالى بقوله (أنجيناكُم من عدوِّكم) وهو إشارة إلى إزالة الضرر فإنَّ فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال، والإخراج، والإتعاب في الأعمال، ثمَّ ثنّى بذكر المنفعة الدينية وهي قوله ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾، ووَجه المنفعة فيه أنَّه أنزل في ذلك الوقت عليهم كتاباً فيه

(229) انظر: المصباح المنير ص ٣٥٣.

(230) القاموس المحيط ص ٤١٦.

(231) المصباح المنير ص ١٣٧.

بيان دينهم، وشرح شريعتهم، ثمّ ثلَّث بذكر المنفعة الدنيوية، وهي قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠ - ٨١] ثمَّ زجرهم عن العصيان بقوله ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الأنبياء: ٨١]»[٢٣٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أنْجَيْتُكم وَواعَدتُكم وَرزَقْتُكم) إخبار الله تعالى عن نفسه، قال ابن خالويه: «فمن قرأه بالتاء. فالحجة له: أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه؛ لأنَّ التاء اسم الفاعل المنفرد بفعله»[٢٣٣].

وقد أفادت القراءة الثانية (أَنْجَيْناكم، وواعَدْناكُم، ورزَقْناكُم) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنّ إخبار الله تعالى عن نفسه بلفظ التعظيم.

يقول الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «والوجه أنّه إخبارٌ عن النفس أيضاً على سبيل التعظيم»[٢٣٤].

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن - حفظه الله -: «وقرأ الباقون ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بألف بعد الواو، من المواعدة، فالله سبحانه وتعالى وعد موسى الوحي على الطور، وموسى وعد الله المسير لما أمره به»[٢٣٥].

ويقول ابن خالويه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «وإن كان الله هو المخبر عن نفسه، إلا أنَّ الملك والرأس، والرئيس، والعالم يخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة، والله تعالى ملك الأملاك. ألا ترى أنَّ العبدَ لمّا سأل ربّه فقال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ولم يقل ربِّ ارجعني»[٢٣٦].

أما القراءة الثالثة ﴿وَعَدْناكم﴾ بحذف الألف من ﴿وَاعَدْناكُم﴾ فإنّها قد

(٢٣٢) تفسير الرازي ج٢٢/ص٩٥.
(٢٣٣) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٥، وانظر: إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٧.
(٢٣٤) الموضح ج٢/ص٨٤٧، وانظر: المغني لمحيسن ج٢/ص٢٩.
(٢٣٥) القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٥٦٠.
(٢٣٦) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٧.

أفادت أنَّ الوعد كان من الله تعالى لموسى عليه السلام. وأنه تعالى وحده المنفرد بالوعد والوعيد.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله -: وعلة من قرأ بغير ألف إجماعهم على قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]، ولم يقل ﴿يواعدكم﴾، فالوعد من الله - عز وجل - وعَدَه لموسى عليه السلام. وأيضاً فإنّ المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر، والوعد من الله وحده كان لموسى، فهو منفرد بالوعد والوعيد، وعلى ذلك جاء القرآن، قال تعالى ذكره: ﴿وَعَدَكُمْ...﴾ [ابراهيم: ٢٢]، و﴿إذ يعِدكم...﴾ [الأنفال: ٧]، و﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا...﴾ [الحج: ٧٢] و﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]. وأيضاً فإنّ ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسى عليه السلام، فوجب حملُه على الواحد بظاهر النص، لأنّ الفعل مضاف إلى الله وحده، ... قال أبو حاتم[٢٣٧]: قراءة العامة عندنا ﴿وعدنا﴾ بغير ألف. وقال: إنَّ المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كلٌّ يَعِدُ صاحبه[٢٣٨].

ويقول الدكتور فضل حسن عباس[٢٣٩] - حفظه الله -: «وقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة، فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعدٌ من الله لموسى بإعطائه التوراة ووعدٌ من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور، أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أنَّ الوعد كان من الله - تبارك وتعالى - لموسى عليه السلام، فهو من جهة واحد، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله - تبارك وتعالى - من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها

---

(٢٣٧) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد أئمة الحفاظ الأثبات، العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبي زرعة - رحمهما الله - كانت وفاته في شعبان من سنة ٢٧٧هـ. انظر: البداية والنهاية ج١١/ص٥٩.

(٢٣٨) انظر: الكشف ج١/ص٢٣٩.

(٢٣٩) هو فضل حسن عباس، نال الدكتوراه من جامة الأزهر بمصر سنة ١٩٧٣م، وهو أستاذ مساعد في قسم أصول الدين بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، أشرف على العديد من الرسائل العلمية لأساتذة مرموقين أمثال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الجمل، وله أبحاث في القراءات القرآنية، وفي بلاغة القرآن وإعجازه.

من قبل وهو عائدٌ من مدين حينما خوطب: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ...﴾ [طه: ١٢] وحين سُئلَ: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ [طه: ١٧] فأطال القول: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه: ١٨]، أقول إذا كانت قراءة الجمهور دالَّةً على ذلك كله فإنَّ قراءة أبي عمرو تدلُّ على أنَّ الوعدَ كان فيه إكرامٌ وتكليفٌ لموسى عليه السلام»[٢٤٠].

بالجمع بين القراءات يتبين أنّ الله تعالى بعظمته وجلاله هو وحده الذي أنجى بني إسرائيل، وهو وحده الذي وعد موسى جانب الطور، وكان من موسى عليه السلام قبول الوعد والتَّحرِّي لإنجازه، وقد وَعَدَ ربَّهُ المسيرَ لما أمره به، كذلك فالله وحده بعظمته هو الرزاق سبحانه وتعالى، والله أعلم.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (فَيَحُلَّ) بضم الحاء، و(يَحْلُلْ) بضم اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَيَحِلَّ) بكسر الحاء، و(يَحْلِلْ) بكسر اللام[٢٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حل: «أصل الحَلِّ: حَلُّ العقدة ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧].

وحلَلْتُ: نزلت، أصلُه من حَلِّ الأحمال عند النزول، ثم جُرِّدَ استعماله للنزول، فقيل: حَلَّ حلولاً، وأحلَّهُ غيره»[٢٤٢].

---

(٢٤٠) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٣.
(٢٤١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.
(٢٤٢) المفردات ص ٢٥١.

«(حَلَّ) العذاب يَحِلُّ بالكسر (حَلالاً) أي وَجَب، ويَحُلُّ بالضم (حُلولاً) أي نزل»[٢٤٣].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى بني إسرائيل بأكل ما أُحِلَّ لهم، ويحذرهم من الطغيان فيه. فيقول تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ «أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، ولا تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالفوا ما أمرتكم به؛ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾، أي: أغضب عليكم، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: فقد شقي»[٢٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَيَحُلَّ) بضم الحاء، و(يَحْلُلْ) بضم اللام نزول العذاب وحلوله ووقوعه.

وفي ذلك يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: ﴿فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ﴾ ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه: فيقع ويَنزل عليكم غضبي»[٢٤٥].

في حين أنَّ القراءة الثانية (فَيَحِلَّ) بكسر الحاء، و(يَحْلِلْ) بكسر اللام قد أفادت وجوب العذاب.

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ الجمهور ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ ـ بكسر الحاء ـ، وقرءوا ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ بكسر اللام الأولى على أنهما فعلا حَلَّ الدَّين إذا آن أجل أدائه»[٢٤٦].

---

(٢٤٣) مختار الصحاح ص١٥١، وانظر: معاني القرآن للأخفش ج٢/ص٦٣٠، والجواهر الحسان ج٢/ ص٣٥٥.

(٢٤٤) مختصر ابن كثير ج٢/ص٤٨٩.

(٢٤٥) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢١٢.

(٢٤٦) التحرير والتنوير ج٤/ص٢٧٥.

ويقول الماوردي - رحمه الله -: «(فَيَحِلَّ عليكم غضبي) قُرئ بضم الحاء وبكسرها ومعناه بالضم ينزل، وبالكسر يجب»(٢٤٧).

كما يقول ابن خالويه - رحمه الله -: «والعرب تفرق بين الضَمِّ والكَسْرِ. حَلَّ يحُلُّ: نزل ووقع، وحَلَّ يحِلُّ: وَجَبَ عليه العَذَابُ، والأمر بينهما قريبٌ»(٢٤٨).

وقال الطبري - رحمه الله -: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم إن هم عصوه، وخوّفهم وجوبه لهم، فسواء أقُرئ ذلك بالوقوع أم بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوِّفوا المعنيين كليهما. . . يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تردّى فشقي»(٢٤٩).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله تعالى يحذِّر من يخاطبهم في هذه الآية إنْ خالفوا ما أمرهم به بأنّه يجب عليهم غضب الله - عز وجل - فينزل بهم، والله أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس ﴿إِثْرِي﴾ بكسر الهمزة وإسكان الثاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَثَرِي﴾ بفتحهما(٢٥٠).

---

(٢٤٧) تفسير الماوردي ج٣/ص٤١٦.

(٢٤٨) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٨.

(٢٤٩) تفسير الطبري مج٩ / ج١٦/ص٢١٢. وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أَثَرُ الشيء: حصول ما يدُلُّ علَى وجوده، يقال: أَثَرٌ وإِثْرٌ والجمع الآثار، ومن هذا يُقال للطريق المُسْتَدَلُّ به على ما تقَدَّم: آثار، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾[٢٥١].

قال ابن منظور: «أثر: الأَثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور. وخرجت في إِثْره وفي أَثَره: أي بعده»[٢٥٢].

ثالثاً: التفسير:

يجيب موسى عليه السلام ربَّهُ حين سأله عن قومه، بأنَّهم قريبون منه، وهم يأتون بعده، وقد سبقهم في القدوم إلى ربِّه؛ لينال رضاه عز وجل.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «المعنى: لما ذهب نبيّ الله موسى إلى مناجاة ربه، وكان معه النّقباء، تعَجّل نبيّ الله موسى عليه السلام، وأسرع في المشي حتّى سبق النقباء، وهذا الأمر وإن كان في ظاهره البراءة، إلا أنّ الله تعالى أراد أنْ يلفت نظر سيدنا موسى عليه السلام بأنّ مثل هذه الأُمور لا ينبغي أنْ تحدث بين أفراد الجماعة الواحدة؛ لأنّها قد تُحدِث بينهم التفرقة والبغضاء»[٢٥٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذكر المفسرون أنّ القراءتين (عَلَى أَثَرِي) و(عَلَى إِثْرِي) هما لغتان، بمعنى بعدي، وفي ذلك المعنى **يقول الدكتور محمد سالم محيسن:**

«وقرأ رويس (عَلَى إِثْرِي) بكسر الهمزة وسكون الثاء، والباقون بفتحهما وهما لغتان. بمعنى بعدي، يقال جاء على أَثَرِه وعلى إِثْرِه بمعنى جاء بعده. ولم يتخلَّف عنه طويلاً»[٢٥٤].

---

(٢٥١) انظر: المفردات ص ٣٦.

(٢٥٢) لسان العرب ج٤/ص٦.

(٢٥٣) المستنير ج٢/ص٤٠.

(٢٥٤) انظر: المستنير ج٢/ص٤٠، وفتح القدير ص١١١٢.

وهكذا تفيد القراءتان معنىً واحداً وهو أنّ قوم موسى عليه السلام قريبون منه وهم يأتون بعده ويتبعونه وليس بينهم وبينه إلا مسافة قصيرة[٢٥٥]، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه: ٨٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (بِمَلْكِنَا):

١ ـ قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] وعاصم (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم.

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف (بِمُلْكِنَا) بضمها.

٣ ـ وقرأ الباقون (بِمِلْكِنَا) بكسرها[٢٥٦].

القراءات في (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً):

١ ـ وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، وروح (حَمَلْنَا أَوْزَاراً) بفتح الحاء والميم مخَفَّفة.

٢ ـ وقرأ الباقون (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً) بضم الحاء وكسر الميم مشدَّدَة[٢٥٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المُلْكُ: هو التَّصرُّفُ بالأَمْر والنَّهْي في الجمهُور، وذلك يَخْتَصُّ بسياسة الناطقين، ولهذا يُقال مَلِكُ الناس، ولا يقالُ: مَلِكُ الأشياء... والمِلْكُ ضربان: مِلْكٌ هو التملكُ والتَّوَلِّي، ومِلْكٌ هو القُوَّةُ على ذلك، تَوَلَّى أو لم يَتَوَلَّ، فمن الأوَّل قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] ومن الثاني قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة:

(٢٥٥) انظر: المبصر ج٦/ص١٧٧.

(٢٥٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٢٥٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

٢٠] فجعل النُّبُوَّةَ مخصوصَةً والمُلْكَ عاماً، فإنَّ معنَى المُلْكِ هَهُنا هو القوَّة التي بها يَتَرَشَّحُ للسياسة، لا أنه جَعَلَهم كُلَّهُم مُتَوَلِّينَ للأمْر... المَلِكُ اسمٌ لكلِّ من يَمْلِكُ السياسة؛ إمّا في نفسه وذلك بالتمكين من زِمام قُواهُ وصَرْفِها عن هواها؛ وإمّا في غيره، سَواءٌ أتولّى ذلك، أم لم يتَوَلَّ على ما تقدَّم(٢٥٨).

حَمَلَ: الحَمْلُ ما يُحمَلُ على الظَّهْر. ويُقرأُ (حُمِّلْنا) بالتشديد على ما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ أي حَمَلَنا قَوْمُنا(٢٥٩).

ثانياً: التفسير:

لمّا أخبر الله تعالى موسى عليه السلام بما فعله قومه من بعده رجع إليهم غضبانَ أسِفاً يستَنْكرُ عليهم ما فَعَلوه، فأجابوه بأنهم ما أخْلَفوا موعده بأمرهم، وقُدْرَتِهم، وسُلْطانِهم، وإنَّما كانوا مُكْرَهين، حيثُ كانوا يحملون حُلِيَّ القِبْطِ، فأوْهَمَهُم السامريّ أنَّ موسى عليه السلام أخلف موعدهم بسَبَبِ هذه الحُلِيّ، وأمرهم أنْ يتَخَلَّصوا منها بإلقائها في حفرة فيها نار، فألقى السَّامِريُّ، وفعَلَ القومُ مِثْلَما فعَلَ السّامِريّ.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رحمه الله -: «﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ أي ما أخلفنا وعدنا إيّاك ﴿بِمَلْكِنَا﴾ أي بإرادتنا واختيارنا بأن مَلَكْنا أمورنا، يعنون أنّا لو خُلِّينا وأمورنا ولم يُسَوِّلْ لنا السّامِريُّ ما سوَّلَهُ لما أخلفناه، فقد كُنَّا مُكْرَهين، والمرءُ إذا وقَعَ في فِتْنَةٍ لم يمْلِك نَفْسَه ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ اعْتِذارٌ عمَّا فَعَلوا بِبَيان مَنْشأ الخطأ ﴿أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي حُمِّلْنا أحمالاً من حُلِيّ القِبْط، التي اسْتَعَرْناها منهم، حينَ هَمَمْنا بالخروج من مصر، وقيلَ كانوا استعاروها لِعيدٍ كان لهم، ثُمَّ لم يَرُدُّوها عنْدَ الخروج، ولعلَّ تسْميتهم لها أوزاراً، لأنَّها آثامٌ وتَبِعات، لأنهم كانوا في حُكْم المُسْتَأمَنين، وليس للمُسْتَأمَنِ أن يأخُذَ مالَ الحَرْبِيّ، على أنَّ الغنائِم لم

(٢٥٨) انظر: المفردات ص٧٧٤ ـ ٧٧٥.

(٢٥٩) انظر: مختار الصحاح ص١٦٧. والتبيان ج٢/ص١٩١.

تكن تَحِلُّ حينئذٍ ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي في النارِ رَجاءً للخَلاص من ذنبِها ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي ما كان منها معه، رُوِيَ أنّهم لمّا حسِبوا أنَّ العدَّةَ قد كَملَت، قال لهم السّامريّ: إنّما أخلَفَ موسى ميعادكم لِما معَكم من حُلِيِّ القوم، وهو حرامٌ عليكم، فالرأيُ أنْ نَحْفُرَ حُفْرَةً، ونَسْجُرَ فيها ناراً، ونَقْذِف كلَّ ما مَعَنا فيها فَفَعَلوا»[٢٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم أنهم ما أخلفوا موعد موسى عليه السلام بِمَلْكِهِم الصوابَ لكن بالخطأ.

يقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ: «وأمّا فتح الميم فهو مَصْدَرٌ من ملَكَ، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنّا ملكنا الصواب، ولا وُفِّقْنا له بل غَلَبَتْنا أنفسُنا»[٢٦١].

في حين أفادت القراءة الثانية (بِمُلْكِنَا) بضم الميم أنَّ القوم كانوا مُسْتَضْعَفين في إخلافِهم موعد موسى عليه السلام ولم يكن لهم مُلْكٌ وسلطانٌ في ذلك.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والمعنى في الضَّمِّ أنّه لم يَكُن لنا مُلْكٌ فَنُخْلِفَ موعِدَكَ لِمكان مُلْكِنا، بل كُنّا مُسْتَضْعَفين»[٢٦٢].

أمّا القراءة الثالثة (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم فقد أفادت أنّهم لم تكن لهم قوّة، وما أخلَفوا موعِدَه بما ملَكت أيديهم.

يقولُ ابن زنجلة: «(بِمِلْكِنَا) بكسر الميم، أي ما أخلَفنا بقوَّتِنا، أي بما ملَكْناه»[٢٦٣].

---

(٢٦٠) المقتطف ج٣/ص٣٥٤، ٣٥٥.
(٢٦١) المحرر الوجيز ج٤/ص٥٩. وانظر: الجوهر المصون ص١٣٨.
(٢٦٢) الموضح ج٢/ص٤٨٩ وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٤٤.
(٢٦٣) حجة القراءات ص٤٦١، وانظر: المعنى اللغوي لهذا الموضع، والملخص ص٢٧٥.

كما أفادت القراءة (حَمَلْنَا أَوْزَاراً) بالتخفيف أنَّ القوم حَمَلوا ما كان معهم من الحُلِيّ بإرادتهم.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب: «وحجة من فَتَح الحاء وخَفَّف أنَّه أضاف الحمل إلى المُخْبِرين عن أنفُسِهم، وأخْبَرَ عنهم أنَّهم هم حَمَلوا أنفُسَهم على ما صاغوا منه العِجْل. قَوَّى ذلك أنَّ الفعل بعده مضاف إليهم في قوله: (فَقَذَفْناها)»[٢٦٤].

أمّا القراءة (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً) فقد أفادت أنَّ القوم أُمِروا بحمل الحليّ وحَمَلَهم غيرهم على حملها.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «والحُجَّةُ لمن شَدَّدَ: أنَّه جعل الفعل لما لم يسمَّ فاعله، ودَلَّ عليه بِضَمِّ أوَّلِه وكان أصْلُه ولكنّا حَمَلَنا السّامريّ»[٢٦٥].

بالجمع بين القراءات الخمس يتبيّنُ العذر الذي ذكره قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ له حيث إنَّ القوم قالوا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهم لم يُخْلِفوا موعدَهُ بِقوَّتِهم وسُلْطانِهم وقُدرَتِهم، وإنَّما بما سَوَّلَتْه لهم أنفسهم حين أُمِروا بحمل أوزارِ من زينة القوم، فحملوها، فلمّا صارت عجلاً له خُوار عَبَدَه غالبيَّتهم، وقد أُجبروا على ذلك واضطُرُّوا له؛ لأنَّهم وقَعوا في الخطأ، أمّا هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ والبقِيَّة القليلة التي لم تَعْبُد العجل فقد كانوا مُسْتَضْعَفين.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۦ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣﴾ [طه: ٩٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو عمرو (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المتكلم ساكنةً وصلاً.

٢ ـ وقرأ ابن كثير ويعقوب (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنةً وصلاً ووقفاً.

---

(٢٦٤) الكشف ج٢/ص١٠٥.

(٢٦٥) الحجة في القراءات السبع ص٢٤٧.

٣ ـ وقرأ أبو جعفر (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنة وقفاً، و(تَتَّبِعَنِيَ) مفتوحة وصلاً.

٤ ـ وقرأ الباقون (تَتَّبِعَنِ) بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً[(٢٦٦)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«تبعَ: تَبِعَ الشَّيءَ تَبَعاً وتَباعاً في الأفعال، وتَبِعْتُ الشَّيءَ تُبُوعاً: سِرْتُ في إثْرِه. واتَّبَعَه وأتْبَعَه وتَتَبَّعَه: قَفاهُ وتَطَلَّبَهُ مُتَّبِعاً له، وكذلك تَتَبَّعْته تَتَبُّعاً»[(٢٦٧)].

ثالثاً: التفسير:

يسأل موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام وهو في حالةِ من الحزنِ والغضب؛ بسبب عبادةِ قومه العجلَ قائلاً له: ما الذي منعك من مُقاتَلةِ الذين كفروا بالله غضَباً له، هل عصَيْتَ أمري فتهاونت في الدين، وفي القيام بمصالحهم؟

يقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري ـ رحمه الله ـ: «﴿ألاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ أي أيَّ شيءٍ منَعك، حينَ رأيتَ ضلالَهم، من أن تَتَّبِعَني، في الغضبِ لله تعالى، ومُقاتلةَ من كفَر به؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾؟ بالصلابة في الدين، وبالقيامِ لمَصالحهم»[(٢٦٨)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكلِّم ساكنةً أنَّ موسى عليه السلام أراد من أخيه هارون أن يذكر له تفاصيلَ ما حدثَ منه، وسبب عدم اتِّباعه في الغضب لله تعالى ومقاتلةِ الكفارِ عَبَدَةِ العجل.

في حين أفادت قراءة (تَتَّبِعَنِيَ) بفتح ياء المتكلم أنَّ موسى عليه السلام

---

(٢٦٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

(٢٦٧) انظر: لسان العرب ج٨/ص٣٢.

(٢٦٨) المقتطف ج٣/ص٣٥٧.

يستنكرُ على أخيه هارون عليه السلام عدم الإسراع في الغضبِ لله تعالى، ومُقاتلة الذين كفروا باتباعهم العجل، وذلك أَنَّ الحركة القصيرة فوقَ الياء تفيدُ السرعةَ لأنَّها أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الحركةِ الطويلة، والتي هي هنا الياءُ الساكنةُ المدِّية.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»(٢٦٩).

أما قراءة (تَتَّبِعَنِ) بحذف الياء والاجتزاء بالكسرةِ عنها فإنَّها تفيد الاجتزاء في الكلام، وذلك أنَّ موسى عليه السلام كان في حالةٍ تتطلَّب ذلك حيثُ إنَّه كان غضبانَ أسِفاً، فكان يريد أنْ يعلَم بأقلِّ القول وبأسرعه، وبأسرع وقتٍ ما حدث وسببه، فلِمَ لمَّا عبدوا العجل لم يقاتلهم هارون، وبقي مُنتظراً عودته هو؟

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أنْ نذكرَ أصلاً عامًّا في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ، وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ، فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»(٢٧٠).

بالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ موسى عليه السلام أراد أنْ يعلم من أخيه هارون سبب عدم اتباعه له في الغضبِ لله تعالى، ومقاتلة الذين عبدوا العجل، وقد أراد معرفةَ ذلكَ بالتفصيلِ وبأسرعِ وقتٍ وبأقلِّ الكلام، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

(٢٦٩) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.

(٢٧٠) التعبير القرآني ص٨٠.

أولاً: القراءات:

القراءات في (يَبْنَؤُمَّ):

١ ـ قرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف (يَبْنَؤُمِّ) بكسر الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون (يَبْنَؤُمَّ) بفتح الميم(٢٧١).

القراءات في (بِرَأْسِيَ إِنِّي):

١ ـ وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر (بِرَأْسِيَ إِنِّي) بفتح الياء مع إبدال الهمز لأبي جعفر والسوسي.

٢ ـ وقرأ الباقون (بِرَأْسِي- إِنِّي) بالمد(٢٧٢).

ثانياً: التفسير:

حين رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً لأجل عبادتهم العجل، أخذ برأس أخيه ولحيته يجرُّه إليه، فأخذ هارون عليه السلام يستعطف قلب أخيه موسى ويذكر له العذر الذي جعله لا يقاتل السامريّ ويزجره بالقوة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ خصَّ الإضافة بالأم، استعطافاً وترقيقاً لِقَلْبه، أي يا أخي ويا بن أُمِّي ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أي ولا بشعر رأسي، وكان موسى عليه السلام شديداً، مُتصَلِّبا في كُلِّ شيء، فلم يَتَمالَك حين رآهم يعبدون العجل ففَعَلَ ما فَعَل ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي إنِّي خفتُ إنْ زجرتهم بالقوةِ، أنْ يقَعَ قِتالٌ بينهم، فيسْفِكوا الدِّماء ويَقْتُلَ بَعْضُهُم بَعْضاً وكما خَشيتُ لو قاتَلْتُ بعضَهُم بِبَعْض، وتَفرَّقوا، ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أشعلت الفتْنَةَ بينَهُم، وأراد عليه السلام بالتَّفريق، ما يسْتَتْبِعُهُ القِتالُ من التَّفْريق بين صفوف بني إسرائيل،

(٢٧١) انظر: النشر ج٢/ ص ٢٧٢، في هامش القرآن الكريم ص٣١٨، وفريدة الدهر ج٢/ ص ٦٩٩.

(٢٧٢) انظر: النشر ج٢/ ص ٣٢٣.

وتمزيقِ وَحْدَتِهِم، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي: وتَقول: لم تنتَظِر أمري فيهم، يعني إنِّي رأيت أنَّ الإصلاح في حفظِ الدماء، والمداراة معهم، إلى أن تَرْجِعَ إليهم، لتكون أنت المُتَدارِكَ للأمر، لا سِيَّما وقد كانوا في القوَّة، ونحن على القِلَّة، كما يُعرِبُ عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠] وفيه دليل على جَوازِ الاجتهاد، فلمَّا فَرَغَ من مُخاطَبةِ هارون عليه السلام، وعرَفَ العُذْرَ أقْبَلَ على السَّامري»[٢٧٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (يَبْنَؤُمِّ) أنَّ هارون عليه السلام خصَّ الإضافة بالأمّ استعطافاً وترقيقاً لقلب موسى عليه السلام والمعنى: يابن أُمِّي، وقد حُذفت ياء المتكلِّم اجتِزاءً بالكسرة منها.

يقول ابن خالويه: «فالحجة لمن كسر: أنَّه أراد: يابن أُمِّي، فَحَذَفَ الياء اجْتِزاءً بالكسرة منها، والوجهُ إثباتُها، لأنَّ هذه الياء إنَّما تُحْذَفُ في النداءِ المُضافُ إليك، إذا قُلْتَ: يا غُلامي، لأنَّها وَقَعَتْ موقِعَ التَّنوين، والتَّنوين لا يُثْبَتُ في النِّداء، فأمَّا الياء ها هُنا فالتنوينُ ثَبَتَ في موضِعِها إذا قُلْتَ: يا بن أُمِّ زيدٍ، وإنَّما حُذِفَت الياء لما كَثُرَ به الكلام، فصار المُضافُ والمُضافُ إليه كالشيءِ الواحِدِ، فَحُذِفَت الياء كذلك»[٢٧٤].

في حين أفادت القراءة الثانية (يَبْنَؤُمَّ) رِقَّةً في النِّداء وإشعاراً بالحُنو نسْتَشْعِرُهُ في التَّرخيم[٢٧٥] بما يوحي بالاستعطاف، كما أنَّ اختيارَ الفتحةِ وهي أخَفُّ الحركات، يوحي بخفةِ النطقِ[٢٧٦] والسرعة في طلبه من أخيه

(٢٧٣) المقتطف ج٣/ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢٧٤) الحجة في القراءات السبع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢٧٥) الترخيم هو: حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً، وهو لا يكون إلاّ في النداء إلاّ أن يُضطَرَّ شاعر، وإنما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين وكما حذفوا الياء من قومي [ونحوه] في النداء. انظر: كتاب سيبويه ج٢/ص٢٣٩.

(٢٧٦) انظر: شرح التصريح ج١/ص٥٨.

عدم الأخذ بلحيته ولا برأسه.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ومن فَتَحَ فله ثلاثُ حجج:

إحداهنَّ: أنْ يكونَ أراد: يا بن أُمَّاهُ فَرَخَّم.

والثانية: أنْ يكون جَعَلَ الاسمين اسماً واحداً نحو: بعل بك، ومعد يكرب، وجاري بيت بيت.

والثالثة: أن يكونَ أراد يا بن أُمَّا؛ لأنَّ العربَ تقول: يا أُما بمعنى يا أُمِّي، ويا ربَّا بمعنى يا رَبِّي»[٢٧٧].

وقد ناسبت القراءة (بِرَأْسِيَ إِنِّي) السرعة مَن هارون في ذِكْر العُذر لموسى وذلك يَتَّضحُ لنا في السرعة في الكلام، وهو ما يوحي به اختيار الفتحة وهي أخفُّ الحركات ـ كما بيَّنتُ سابقاً ـ للاجتزاء بها عن الياء وهي الكسرة الطويلة التي تستغرق وقتاً أطول كما هو معلوم.

أمّا القراءة (بِرَأْسِي- إِنِّي) فقد أفادت التجاء هارون لموسى لينصُرَه ويأخُذَ بيده.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلِّم، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يَلْصَق الإنسان بمن يحميه ويُلقي بنفسه كلِّها عليه، ويستدعي أن يلتَجِئَ إلى من ينصُره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً»[٢٧٨].

بالجمع بين القراءات الأربع يظهر التجاء هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لطلب النُّصرَة منه، واستعطافه له حتى لا يُشمِتَ به الأعداء، ويفعلُ ذلك كلَّه بالإضافة إلى اعتذاره لموسى وتوضيح موقِفِه وسبب إخلافِه موعده في أقصر وقتٍ يُمكنُه فعل ذلك فيه، والله أعلم.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ

(٢٧٧) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٥١ وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٤٧.

(٢٧٨) التعبير القرآني ص ٨٤.

أَثَـرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ [طه: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في (يَبْصُرُوا بِهِ):

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تَبْصُرُوا بِهِ) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (يَبْصُرُوا بِهِ) بالغيب.

القراءات في (فَنَبَذْتُهَا):

١ ـ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام بخُلْفٍ عنه (فَنَبَذْتُهَا) بإدغام الذال في التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَنَبَذْتُهَا) بالإظهار، وهو الوجه الثاني لهشام[(٢٧٩)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

البَصَرُ، مُحَرَّكَةً: حِسُّ العَيْنِ... وأبْصَرَهُ وتَبَصَّرَهُ: نَظَرَ هَلْ يُبْصِرُه[(٢٨٠)].

البَصَرُ يُقالُ للجارِحةِ النَّاظِرة... وجمعُ البَصَرِ أبْصارٌ، وجَمْعُ البَصِيْرَةِ: بَصَائِرٌ، ولا يَكادُ يُقالُ للجارِحَةِ بَصِيْرَة، ويُقالُ من الأوَّلِ: أَبْصَرْتُ، ومن الثاني: أَبْصَرْتُهُ وأَبْصَرْتُ بِهِ، وقَلَّما يُقالُ بَصُرْتُ في الحاسَّةِ إذا لم تُضامَّهُ رُؤْيَةُ القَلْبِ[(٢٨١)].

ثالثاً: التفسير:

يُجيبُ السامريُّ[(٢٨٢)] موسى عليه السلام حين سأله عما دفعَهُ لاتخاذ العجل

(٢٧٩) انظر: النشر ج٢/ص١٦، ٣٢٢.

(٢٨٠) انظر: القاموس المحيط ص٤٤٨.

(٢٨١) انظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص١١٤.

(٢٨٢) «السامري لم يكن من بني إسرائيل أصلاً، وبما أنَّه كان في مصر جاز أن يكون من قرية بمصر اسمها سامرة، ثم سكن فلسطين، ونسبت السامرة إليه وما زالت إلى اليوم ويقرنها اليهود بيهودا فيقولون: (يهودا والسامرة)». تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعياً) ص١١٦.

آلهةً فيخبره أنَّه رأى في نفسه رأياً لم يرَوهُ فألقى قبضةً من أثر فرَسِ جبريل عليه السلام في النار التي صَهَروا فيها ذهب القوم فأصبحت الحُلِيّ عِجْلاً له خُوار.

يقول الأستاذ محمد علي الصابوني ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: «أي قال السامريُّ: رأيتُ ما لم يروه وهو أنَّ جبريل جاءك على فرس الحياة فأُلْقِيَ في نفسي أن أقبضَ من أثره قبضةً، فما أَلْقَيْتُه على شيءٍ إلا دبَّت فيه الحياة، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ أي قبضتُ شيئاً من أَثَرِ فرسِ جبريلَ فطَرَحْتُها على العِجْلِ فكان له خُوار[٢٨٣] ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: وكذلك حَسَّنَتْ وزَيَّنَتْ لي نفْسِي»[٢٨٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تَبْصُرُوا بِهِ) أنَّ الخِطابَ كان من السامريّ لموسى عليه السلام وقومه، وأنه عَلِمَ حين رأى فرس جبريل عليه السلام ما لم يعْلَمْهُ موسى عليه السلام لذا فَعَلَ ما فَعَلَه.

وقد أفادت القراءة الثانية (يَبْصُرُوا بِهِ) بالغيبة أنَّ السّامريّ يقصُدُ بكلامه بني إسرائيل.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ: «**قوله** ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالتاء، رَدَّاهُ على الخطابِ في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾. وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي: بما لم يبْصُرُ به بنو إسرائيل، والياء أولى لأنَّ المُخاطبَ وهو موسى عليه السلام لم يكن حاضراً إذ قَبَضَ السّامري القبْضة، ولأنَّ الأكثرَ على ذلك»[٢٨٥].

---

(٢٨٣) ذكر الطبري ـ رحمه الله ـ هذه الرواية في تفسيره بمعناها. انظر: تفسير الطبري ج ١٦/ ص ٢١٩.

(٢٨٤) صفوة التفاسير ج٢/ص ٢١٢.

(٢٨٥) الكشف ج٢/ص١٠٥.

كما أفادت القراءة الثالثة (فَنَبَذْتُهَا) أنَّ السامريّ ألقى ما قبَضَهُ من أثر فرس جبريل عليه السلام فيما ألقاه القوم من الحُلِيّ.

أمّا القراءة الرابعة (فَنبَذْتُهَا) بالإدغام فإنها تفيد سرعة الإلقاء من قِبَلِ السّامريّ لما قَبَضَهُ من أثرِ فَرَسِ جبريل عليه السلام وهذا يتَّضح من سرعة النطق التي تكون في الإدغام.

يقول الطبري - رحمه الله -: عن ابن عباس قال: لمّا قذَفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسَّرَت، ورأى السامري أثر فرس جبريل عليه السلام فأخذ تراباً من أثر حافره، ثمَّ أقبل إلى النار فقذفه فيها، وصنع منه عِجلاً جسداً له خُوار، فكان للبلاء والفتنة(٢٨٦).

بالجمع بين القراءات الأربع يتضح أنَّ السامريّ بيَّت لفعلته المشينة منذ رأى فرس جبريل عليه السلام، وقد كان يعلم ببصيرته من أمْرِها ما لم يعلمْه بنو إسرائيل، فلمّا رأى زينة آل فرعون تذوب في النار، قام بما كان ينوي مسبقاً فألقى سريعاً ما قبَضَهُ من أثر فرس جبريل عليه السلام في النار، فتحولت الحُلِيّ كما أرادها السامريّ، ابتلاءً من الله - عز وجل - وفتنةً لبني إسرائيل والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: ٩٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾:

١ - قرأ أبو عمرو، والكسائي، وَكُلًّا من هشام وخلّاد بِخُلفٍ عنهما ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾ بإدغام الباء في الفاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾ بالإظهار وهو الوجه الثاني لهشام وخلّاد(٢٨٧).

---

(٢٨٦) انظر: تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٢٤.

(٢٨٧) انظر: النشر ج٢/ص٨، ٣٢٢.

القراءات في ﴿لَن تُخْلِفَهُ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير والبصريَّان [أبو عمرو، ويعقوب] ﴿لَن تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام.

القراءات في ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾:

١ ـ وقرأ أبو جعفر برواية ابن وردان عنه ﴿لَنَحْرُقَنَّنه﴾ بفتح النون، وإسكان الحاء، وتخفيف الرَّاء مع ضمِّها.

٢ ـ وقرأ أبو جعفر برواية ابن جمّاز عنه ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وإسكان الحاء وتخفيف الرّاء مع كسرها.

٣ ـ وقرا الباقون ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمِّ النون وفتْح الحاء وتشديد الرّاء وكسرها[٢٨٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حَرَقَ: «حَرَقَهُ بالنَّارِ يَحرِقُهُ، وأَحْرَقَهُ وَحَرَّقَهُ: بِمَعْنَى فاحْتَرَقَ وَتَحَرَّقَ»[٢٨٩]. قال الفرّاء ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: من قرأ (لَنَحْرُقَنَّهُ) لَنَبْرُدَنَّهُ بالحديد برداً من حَرَقْتُهُ أَحْرُقُهُ حَرْقاً، قال: وقَرأ علِيٌّ ـ كَرَّم الله وَجْهَهُ ـ (لَنَحْرُقَنَّهُ) أي لَنَبْرُدَنَّهُ، يُقالُ: حرَقَهُ بالِمحْرَقِ أي بَرَدَهُ به؛ ومنه القراءة (لَنُحَرِّقَنَّهُ)، ويجوز أن يكون أراد إحراقها بالنَّار، وحَرَّقَهُ مُكَثَّرَة عن حَرَقَه كما ذَهَبَ إليه الزَّجّاجُ من أنَّ (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بمعنَى لَنَبْرُدَنَّهُ مرَّةً بعد مرَّة، لأنَّ الجَوْهَرَ المَبْرُودَ لا يحتَمِلُ ذلك، وبهذا ردَّ عليه الفارِسِيُّ قوله[٢٩٠].

ثالثاً: التفسير:

لمّا سمع موسى عَلَيهِ السَّلَامُ قول السامري فيما عمله في فتنة عبادة العجل

---

(٢٨٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٢٨٩) القاموس المحيط ص١١٢٨.

(٢٩٠) انظر: لسان العرب ج١٠/ص٥٤.

أمره أن يذهب بعيداً عنه، ودعا عليه بعدم مماسة أحد أو مسه، ثم برد العجل بالمبارد ونثره في اليم.

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾: «أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس، أي لا تماس الناس ولا يمسُّونك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا﴾ أي يوم القيامة ﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ أي لا محيد لك عنه... وقوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ أي معبودك ﴿ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ أي أقمت على عبادته يعني العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس والسدي: استحله بالمبارد وألقاه على النار وقال قتادة: استحال العجل من الذهب لحماً ودماً، فحرقه بالنار، ثم ألقى رماده في البحر، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾»[٢٩١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَاذْهَبْ فَإِنَّ) بإدغام الباء في الفاء السرعة في إصدار الأمر من موسى عليه السلام للسامريّ بأن يذهب من بينهم لما في الإدغام من السرعة والخفة في النطق.

وحيث تشتدُّ وجوه التناسب الصوتي بين حرفي الباء والفاء فإنَّ هذه القراءة توحي بتناسب العقوبة التي أصدرها موسى عليه السلام مع الذنب الذي اقترفه السامري.

في حين أنَّ القراءة الثانية ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ﴾ بإظهار الباء والفاء تفيد إعلان وإظهار الجُرم الذي أجرمه السامريّ، ومن ثَمَّ كان الطرد والعزل عقوبةً له على جُرمِه.

يقول سيد قطب - رحمه الله -: «اذهب مطروداً لا يمسُّك أحدٌ لا بسوءٍ ولا بخير، ولا تمسَّ أحداً، وكانت إحدى العقوبات في ديانةِ موسى عليه السلام

---

(٢٩١) تفسير ابن كثير ج٣ /ص ٢٩٠، وانظر: تفسير ابن وهب ج٢/ ص١٢.

عقوبة العزل، وإعلانِ دنس المدنّس فلا يقربه أحدٌ ولا يقربُ أحداً»[٢٩٢].

أمّا القراءة الثالثة ﴿لَّن تُخْلِفَهُ﴾ فقد أفادت عدم إخلاف السامري لهذا الموعد وعدم غيابه عنه.

في حين أفادت القراءة الرابعة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أنَّ الله تعالى لن يُخْلِفَ السامريَّ موعدَ عذابِه، وعُقوبته، ولكن يذيقُه إيَّاه.

يقول الإمام الطبري: «وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإنَّ لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يُخْلِفَكَهُ الله، ولكن يُذِيقَكَه.

وقرأ ذلك الحسن وقتادةُ وأبو نهيك[٢٩٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإنَّ لك موعداً لن تُخْلِفَهُ أنت يا سامريّ، وتأوّلوه بمعنى: لن تَغيبَ عنه»[٢٩٤]. أمّا القراءة ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾ بفتح النون وتخفيف الراء، وضمها فقد أفادت برد العجل المصنوع من الذهب بالمبرد.

في حين أنَّ القراءةَ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وتخفيف الراء وكسرها قد أفادت إِحراقَ العجلِ بالنار.

في حين أفادت القراءة ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وكسر الراء وتشديدها المبالغةُ في برده أو إحراقه بالنار.

يقول ابن عطية الأندلسي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في معنى القراءات الثلاث الأخيرة: وقرأت فرقةٌ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بتخفيف الراء بمعنى بالنار، وقرأ عليّ بن أبي

---

(٢٩٢) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٣٤٩.

(٢٩٣) هو عثمان بن نهيك الأزدى الفراهيدى، أبو نهيك البصري القارىء، كان يختلف إلى خراسان، من التابعين، أحاديثه في البخاري. انظر: تهذيب التهذيب ج٧/ ص١٤٢، وتهذيب الكمال ج١٩ /ص٥٠١.

(٢٩٤) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٢٦.

طالب، وابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾ بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبردنّه بالمبرد، وقرأ نافع وغيره ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وكسر الراء وشدِّها وهذا تضعيف مبالغة لا تعدية وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد»[٢٩٥].

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام أصدر حكماً نافِذاً على السامريّ بالعزل والطرد بمجرَّد اعترافه بجريمته أمام قومه، كما هدَّده بأنَّ له موعداً لعقوبته يوم القيامة لن يستطيع إخلافه، ولن يخلفه الله إياه بل سينجزه، وأمَّا بالنسبة للعجل الذي اتخذه إلهاً فيُحتمل أنْ يكون قد برده بالمبرد، أو أحرقه بالنار أو الأمرين معاً، ومن ثَمَّ ألقى بقاياه في اليم؛ مبالغةً في إتلافه والتخلُّص منه، وكذلك إهانته وتحقيره بإظهار عجزه عن أنْ يكون إلهاً، وإمعاناً في تقريع الذين اتخذوه إلهاً بعبادتهم إيَّاه من دون الله، والله أعلم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (نَنفُخُ فِي الصُّورِ) بالنون وفتحها وضم الفاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُنفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وفَتْح الفاء[٢٩٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَفَخَ: النَّفْخُ معروف، نَفَخَ فيه فانْتَفَخَ، نَفَخ بفمِهِ نَفْخاً إذا أخرَجَ منه الرِّيح، يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما[٢٩٧].

(٢٩٥) المحرر الوجيز ج٤/ص٦٢ ، وانظر، الملخص ص٢٧٧.
(٢٩٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.
(٢٩٧) انظر: لسان العرب ج٣ /ص ٧٤.

ثالثاً: التفسير:

تبيِّنُ الآيةُ أنَّ يومَ القيامةِ هو اليوم الذي يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام في الصُّور النَّفْخَةَ الثانيةَ، حيثُ يُحْشَرُ المجرمونَ يومها إلى أرض المحشر زُرْقَ العُيونِ سودَ الوجوهِ(٢٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) أنَّ الله ـ تعالى ـ أسنَدَ النفخَ في الصُّور لنفسهِ وهو الآمِرُ بالنَّفْخِ وذلك لتعظيم المأمور بالنَّفْخ، وهو إسرافيل عليه السلام.

يقول السمين الحلبي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ أبو عمرو (نَنْفُخُ) مبنياً للفاعل بنون العظمةِ أسندَ الفعلَ إلى الآمِرِ به تعظيماً للمأمورِ وهو المَلَك إسرافيلُ عليه السلام»(٢٩٩).

يقول ابن خالويه ـ رحمه الله ـ: «النافخُ وإنْ كانَ إسرافيل، فإنَّ الله ـ تعالى ـ هو المقدِّر لذلك، وهو الآمرُ والخالِقُ فينسِبُ الفعلَ إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] **والذي يَتوفَّى هو مَلَك الموت**»(٣٠٠).

بينما أفادت القراءة الثانية (يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالبناء للمفعول أهمية ذلك الحدث وهو النفخ في الصور.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ: «واختلفت القراء في ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الأمصار (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وضَمِّها على ما لم يُسَمَّ فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور»(٣٠١).

---

(٢٩٨) صفوة التفاسير ج٢/ص٢١٥.
(٢٩٩) الدر المصون ج٥/ص٥٤.
(٣٠٠) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٥٤.
(٣٠١) تفسير الطبري مج٩ ج١٦/ص٢٢٩.

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن تعظيم الله تعالى لإسرافيلَ عليه السلام فهو الذي ينفُخُ في الصور بأمرِ الله تعالى وتقديره، كما يتبيَّنُ تعظيم الحدث وهو النفخ في الصور يوم القيامة، والله أعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (أَيْدِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَيْدِيهِمْ) بكسر الهاء[٣٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(اليَدُ) أصلها يَدْيٌ على فَعْل ساكنة العَين لأنَّ جَمْعَها (أَيْدٍ) و(يُدِيّ)، و(اليَدُ) القوَّة[٣٠٣].

ثالثاً: التفسير:

يقول الله ـ عز وجل ـ لمحمد ﷺ إنَّه يعلم أحوال الخلائق فلا تخفى عليه خافية من أمور الدنيا وأمور الآخرة، ولا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: «يقول تعالى ذكره: يعلم ربُّك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر يوم القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خَلَّفوه وراءهم من أمر الدنيا... وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقُه به علماً ومعنى الكلام: أنَّه مُحيطٌ بعباده علماً، ولا يُحيط عبادُه به علماً»[٣٠٤].

(٣٠٢) انظر: القراءات في هامش القرآن الكريم ص٣١٩.

(٣٠٣) انظر: مختار الصحاح ص٧٥١.

(٣٠٤) انظر: تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٣٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

استئناساً بما سبق ذكره في الفقرة رقم (١) من هذه السورة، حيث أوضحت أنَّ الضمة هي أقوى الحركات وأثقلها ثمَّ تليها الكسرة فإنَّ:

القراءة الأولى (أَيْدِيهُمْ) تفيد ثِقَلَ هذا الموقفِ وهولَه على من يعبدُ الملائكةَ الذين لا يحيطون علماً بما بين أَيديهِم وما خلفَهُم، وهذا ما نفهمُه من خلال تَقْريعِهم.

يقول نظام الدين القمي النيسابوري[٣٠٥] ـ رحمه الله ـ: «وفيه تقريعٌ لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له: أي يعلم ما كان قبل خلقهم، وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وأنَّهم لا يعلمون شيئاً من ذلك، فكيف يصلحون للمعبودية»[٣٠٦].

أمّا القراءة الثانية (أَيْدِيهِمْ) فإنّها تفيد أنّ علوم هذه الخلائق لا تساوي شيئاً يُذكَرُ بجانب معلومات الله جلّ وعلا.

يقول ابن جنّي ـ رحمه الله ـ: «فجعلوا الضمّة لقوّتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يَقِلُّ بل يُعْدَمُ ارتفاعه»[٣٠٧].

ويقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: «أي لا تحيط علومهم بمعلوماته جلّ وعلا»[٣٠٨].

بالجمع بين القراءتين تتجلّى صفة من صفات الله ـ تعالى ـ وهي أنّه الكامل في علمه، والذي يحيط علماً بجميع مخلوقاته، فهو المستحق وحده

(٣٠٥) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بلدة (قم)، ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب منها غرائب القرآن، توفي بعد سنة ٨٥٠ هـ. انظر: الأعلام ج٢ / ص ٢١٦.

(٣٠٦) غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٧.

(٣٠٧) المحتسب ج٢/ص١٩.

(٣٠٨) المقتطف ج٣/ص٣٦٢.

للعبادة، لذا فإنَّ الذين عبدوا الملائكة الذين هم مخلوقات لله لا تحيط علومهم بمعلوماته ـ جلَّ وعلا ـ شيئاً فهؤلاء يستحقون التقريع والعقاب من الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (فلا يَخَفْ) بالجزم.

٢ ـ وقرأ الباقون (فلا يَخَافُ) بالرفع[٣٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الخَوْفُ: انفعالٌ في النفسِ يَحْدُثُ لتَوَقُّعِ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوتُ من المحبوب، وهذا يعني أنَّهُ توقُّعُ مكروهِ عن أمارَةٍ مَظْنونَةٍ أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن»[٣١٠].

ثالثاً: التفسير:

يُبَشِّرُ الله ـ ﷻ ـ المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بأنّهم لن يزاد في سيّئاتهم ولن يُنْقَصُ من حسناتهم.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى: «لمّا ذكر الظالمين ووعيدهم، ثَنّى بالمتّقين وحُكْمِهِم، وهو أنّهم لا يُظْلَمون ولا يُهضَمون، أي لا يُزاد في سَيئاتهم ولا يُنْقَصُ من حسناتهم»[٣١١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فلا يَخَفْ) النهي عن الخوف.

---

(٣٠٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢

(٣١٠) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(٣١١) تفسير ابن كثير ج٣/ص٢٩٤.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والوجه أنَّه مجزومٌ؛ لأنَّه نهْيٌ يراد به الخبر، ولكونه نَهْياً صار مجزوماً، وذلك لأنَّ المعنى من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فَلْيَأمَنْ، والمراد بالكلام الإخْبارُ، كأنَّه قال: من يعملْ من الصالحات وهو مؤمن فلا خَوْفَ عَلَيْهِ، فهذا من النَّهْي المراد به الخبر، والفاء في قوله (فلا يَخَفْ) إنَّما جاءت لكون ما بعدها جواباً للشرط، وهو قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ)، وموضع الفاء مع ما بعدها جزمٌ أيضاً؛ لكونها جواباً»[٣١٢].

ويقول أبو العلاء الكرماني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقرأ ابن كثير (فلا يَخَفْ) عن الخوف أمرٌ بالأمن»[٣١٣].

وقد وجّهَ النُّحاةُ قراءة ابن كثير هذه على أنَّ الفعلَ قد سُبقَ بـ (لا النّاهية) فجُزِمَ بها. وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)، ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّبَ عليه عدم الخوف من وقوع الظلم عليه أو هضم أعماله في الحياة الدنيا[٣١٤].

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (فلا يَخَفْ) تخفيف أمر الخوف وتهوينه على نفس المؤمن حتى لا يبقى في نفسه شيءُ منه.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور فاضل السامرائي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فخفَّف الفعل بالحذف إشارةً إلى تخفيف الأمر على النفس»[٣١٥].

أما القراءة الثانية (لاَ يَخافُ) فقد أفادت الإخبار عن المؤمن الذي يعمل الصالحات بأنه لا يخاف ظلماً ولا هضماً.

---

(٣١٢) الموضح ج٢/ص٨٥٤.

(٣١٣) انظر: غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٨.

(٣١٤) انظر: ما انفرد به كل من القرّاء السبعة ص٥٣، غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٨، ومفاتيح الأغاني ص ٢٧٨.

(٣١٥) التعبير القرآني ص ٧٧.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ الباقون بالرفع على الخبرِ أنّه ليس يخافُ أنْ يظلِمَه أحد»[316].

بالجمع بين القراءتين تتبلور بشارةٌ من الله تعالى للمؤمن الذي يعمل الصالحات في الدنيا بأنْ لا يخاف أنْ يُظلَمَ، أو يُنقَص عملُهُ، وأنّهُ تعالى يوجِب له الأمن فيأمُرُهُ به، كما يؤكِّد عليه فينهاهُ عن نقيضه وهو الخوف، والله أعلم.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (نَقْضِيَ) بالنون مفتوحة، وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية الفاعل (وَحْيَهُ) بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُقْضَى) بالياء مضمومة، وفتح الضاد ورفع (وَحْيُهُ)[317].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قَضَى: «(قَضَى) يَقْضِي بالكسر (قَضاءً) أي حَكَمَ، والقَضاء: الحُكم»[318].

«يُقْضَى إليك وَحْيُه: أي يَفْرغُ جبريلُ من إبلاغِه إليك»[319].

ثالثاً: التفسير:

تبدأ الآية بإجلال الله ـ تعالى ـ وتقديسه ثم بأمره ـ جلَّ وعلا ـ لسيِّدنا محمد ﷺ بعدم قراءة القرآن على أصحابه من قبل أن يُبَيَّنَ له معانيه.

(٣١٦) الكشف عن وجوه القراءات ج٢/ص١٠٧.

(٣١٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣١٨) انظر: مختار الصحاح ص٥٦٠ .

(٣١٩) المستنير ج٢/ص٤٨.

يقول الطبري: «يقول جلّ ثناؤه لنبيِّه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتُقْرِئه أصحابك، أو تَقْرَأه عليهم، من قبل أنْ يُوحَى إليك بيانُ معانيه، فعوتِبَ على إكتابه وإملائه ما كان الله يُنَزِّلُه عليه من كِتابِهِ مَن كان يُكْتِبُهُ ذلك، من قبل أن يُبَيِّنَ له معانيه، وقيل لا تتلُهُ على أحدٍ ولا تُمْلِهِ عليه، حتى نُبَيِّنَه لك»[320].

وقيل: أمره بألاّ يتعجّلَ بالقراءة مع جبريل عليه السلام مخافة أن ينسى القرآن، وأمره بأن يسأل الله زيادةً في علمه.

يقول الصابوني - رحمه الله - في بيان قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: «أي: جلّ الله وتقدَّس الملك الحقّ الذي قهر سلطانَه كلَّ جبَّارٍ عمّا يصفه به المشركون من خَلْقِه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي إذا أقرأك جبريلُ القرآنَ فلا تتعجَّل بالقراءة معه، بل استمعْ إليه واصبر حتّى يفرغَ من تلاوته وحينئذٍ تقرأه أنت، قال ابن عباس: كان ﷺ يبادر جبريلَ فيقرأُ قبلَ أن يفرغَ جبريلُ من الوحي حرصاً على حفظ القرآن ومخافةَ النسيان فنهاه الله عن ذلك، قال القرطبي: وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أي سَلِ الله - عز وجل - زيادة العلم النافع، قال الطبري: أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم»[321].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (نَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ) على أنّ الفعل مبني للمعلوم مُسْنَدٌ إلى ضمير العظمة مما يفيد تعظيم أمر المُنْزِل.

يقول الطبرسي: «ومن قرأ: (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ) فإنّه أضاف القضاء إلى الله وجعل الوحي مفعوله»[322].

---

(٣٢٠) تفسير الطبري مج٩ /ج ١٦/ص٢٤٠.

(٣٢١) صفوة التفاسير ج٢/ص٢١٦.

(٣٢٢) مجمع البيان ج١٣/ص١٤٤، وانظر: طلائع البشر ص١٦٨.

أمَّا القراءة الثانية (يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) فعلى إسناد الفعل للمجهول والمقصود من ينزل بالوحى وهو جبريل عليه السلام لتعظيم شأن المُنْزَل.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «وقرأ الباقون (يُقْضَى) بضم الياء وفتح الضاد، (وَحْيُهُ) بالرفع. والوجه أنّه على إسناد الفعل إلى المفعول به، هو الوحيُ، ومعلوم أنَّ الله تعالى هو المُوحِي، فلذلك وقع الاستغناء عن ذكر الفاعل»[٣٢٣].

بالجمع بين القراءتين يتَّضِحُ عظيم أمر الموحي والموحَى به وبيانَ معانيه بوساطةِ الوحي جبريل عليه السلام، والله أعلم.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: ١١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا) بإخلاص كسر التاء[٣٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الملائكة جمع، وواحده (مَلَك)، وهو مشتق من (أَلَكَ) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَك): (مَأْلَك)، فَقُدِّمت العين وهي اللام، وأُخرت الفاء فصارت (مَأْلَكاً)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكاً)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي على قلبه[٣٢٥].

سَجَدَ: «(سَجَدَ) خَضَعَ، ومنه (سُجود) الصَّلاة وهو وَضْعُ الجَبْهة على الأرض»[٣٢٦].

---

(٣٢٣) الموضح ج٢/ص٨٥٥.

(٣٢٤) انظر: النشر ج٢/ص٢١٠، ٣٢٢.

(٣٢٥) انظر عمدة الحفاظ ج١/ ص١١٢ ـ ١١٣. ومختار الصحاح ص٦٤٢.

(٣٢٦) المرجع السابق ص٣٢٦.

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ الله - ﷻ - نبيَّه محمد ﷺ بأمره الملائكة بالسجود لآدمَ سجود تشريفٍ وتكريم، فسجدوا كلُّهم إلاّ إبليس فقد رفض السجود[٣٢٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا) بضمِّ التاء عِظم الأمر وثِقَلِه على الملائكة، فكما أوضحت في الفقرة (١) من هذه السورة أنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرة. فقال: (الملائكةُ) وجاء بالضمة التي هي أثقلُ الحركات للدلالة على ثِقَلِ الموقف، حيث إنَّ الملائكة استعظموا هذا الأمر.

يقول الإمام القرطبيّ - رحمه الله - في هذا المعنى: «إنَّ الملائكةَ لمّا استعظموا بتسبيحهم وتقديسهم أَمَرَهُم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم. وقال بعضهم: عَيَّروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فأمروا بالسجود له تكريماً؛ ويُحتملُ أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له معاقبةً لهم على قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لما قال لهم:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وكان علم منهم أنه إن خاطبهم أنهم قائلون هذا فقال لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾. وجاعله خليفة فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، والمعنى ليكون ذلك عقوبةً لكم في ذلك الوقت على ما أنتم قائلون لي الآن»[٣٢٨].

أما القراءة الثانية ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا﴾ فإنها تفيد التخفيف من ثِقَل الأمر حيث إنَّ الكسرة أخفُّ من الضمة، وحيث إنَّ الملائكة فُطِروا على الطاعة فمهما كان الأمر الذي أمِروا به فإنهم فاعلوه امتثالاً لأمر الله تعالى وطاعةً

---

(٣٢٧) أضواء البيان ج٣/ص٧٣.

(٣٢٨) تفسير القرطبي ج١/ص٢٤٩.

له، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله ـ تعالى ـ أمر الملائكة بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ ورغم عِظَم الأمر وثِقَلِهِ عليهم إلاّ أنهم أطاعوه ونفّذوه بمجرّد إصداره لهم وهذا ما يتناسب مع طبيعتهم وما خُلِقوا عليه، والله أعلم.

٣١ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه: ١١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو بكر (شعبة) (وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بفتح الهمزة[٣٢٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إنَّ، أَنَّ): سبق التعريف بكلٍّ منهما[٣٣٠].

ظَمَأ: «(الظَمَأ): العَطَش»[٣٣١]. (ضَحَا) ـ ضَحْواً، وضُحُوًّا وضُحِيّاً: أصابه حرُّ الشمس[٣٣٢].

ثالثاً: التفسير:

يُحَذِّرُ الله تعالى آدمَ عليه السلام أنْ يَتْبَعَ الشيطانَ فيكون ذلك سبباً في خروجه من الجنة حيث لا تعبٌ ولا نصب[٣٣٣]، فلك في الجنة ألا تجوع ولا تعرى، ولك أيضاً ألاّ تشعر بالعطش ولا بحرِّ الشمس، جاء في صفوة التفاسير في تفسير الآية: «﴿وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ أي ولك أيضاً

---

(٣٢٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣٣٠) انظر: الموضع رقم (٢) من هذه السورة ص ٣٣.

(٣٣١) مختار الصحاح ص٤٠٧.

(٣٣٢) انظر: المعجم الوسيط ص٥٣٥.

(٣٣٣) (نَصِبَ) نصباً: أعيا وتعب وجَدَّ واجتهد. انظر: المعجم الوسيط ص٩٢٤.

ألاّ يصيبُكَ العطشُ فيها ولا حرُّ الشمس، لأنَّ الجنةَ دار السرور والحبور[٣٣٤]، لا تعبٌ فيها ولا نصب، ولا حرٌ ولا ظمأ بخلافِ دارِ الدنيا»[٣٣٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بكسر همزة (إِنَّ) التأكيد على أنَّ آدم عليه السلام له وعدٌ من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بألاّ يظمأ ولا يضحَى.

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: (إِنَّ) بالكسر والتشديد على أحد أوجهها: التأكيدُ والتحقيقُ وهو الغالب[٣٣٦].

وحيث إِنَّ هذه القراءة بكسر همزة (إِنَّ) أفادت أحد أمرين:

أولهما: استئناف الكلام. حيث **يقول الإمام ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ**: «والوجه أنَّه مقطوعٌ ممَّا قبله، ومُسْتأنَفٌ به، فلهذا كُسِرَ إِنَّ»[٣٣٧].

وثانيهما: العطف على (إِنَّ لَكَ). حيث **يقول الدكتور محمد سالم محيسن**: «قرأ نافع، وشعبة: (وإِنَّك) بكسر الهمزةِ، عطفاً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ وهو من عطف الجمل»[٣٣٨].

فيكون المعنى لما سبق أنَّهُ تعالى بعدما نفى عن آدم عليه السلام الجُوعَ والعُرِيّ، استأنف بجملة جديدةٍ عطفها على الجملة السابقة، وقد نفى عنه فيها ألم الظمأ، وألم الضَّحْو، وكرَّرَ فيها حرفَ التوكيدِ (إِنَّ) للتأكيد على النَّفي المذكور.

أمّا القراءة الثانية (وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) فإنَّها تفيدُ أنَّ لآدم عدم الجوع في الجنة وعدم العري وعدم الظمأ، حيثُ إنَّها من عطف المفردات الذي يوحي

(٣٣٤) الحبور: السرور. انظر: مختار الصحاح ص١٦٧.

(٣٣٥) صفوة التفاسير ج ٢/ص٢١٦.

(٣٣٦) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣.

(٣٣٧) انظر: الموضح ج٢/ص٨٥٥، وإعراب القراءات السبع ج٢/ص٥٦.

(٣٣٨) المغني لمحيسن ج٢/ص٣٤، وانظر: حجة القراءات ص٤٦٤.

بانتفاء جميع تلك الآلام في الوقت نفسه بالدرجة والكيفية نفسها.

يقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقرأ الباقون (وَأَنَّكَ) بفتح الألف، والوجه أنَّه معطوفٌ على قوله: (أَلاَّ تَجُوعَ) كأنَّه قال: إنَّ لك ألاّ تجوع وألاّ تظمأ؛ لأنَّ المعنى في أنْ بالتخفيف وأنَّ بالتشديد واحدٌ في أنَّهما جميعاً يُفيدان معنى المصدر، والتقديرُ: إنَّ لك انتفاء الجوعِ وانتفاء الظمأِ»[٣٣٩].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح لنا أن الله تعالى عَدَّدَ نعمه لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ له في الجنة ألاّ يجوع، ولا يعرى، ولا يظمأ، ولا يضحى، مؤكِّداً انتفاء هذه الآلام جميعها بقطع النظير عن النظير المزعوم، والذي غرضه: تحقيق تعداد هذه النعم وتكثيرها[٣٤٠]، والله أعلم.

٣٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (حَشَرْتَنِيَ أَعْمَى) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (حَشَرْتَنِي- أَعْمَى) بمد الياء[٣٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حَشَرَ: (حَشَرَ) النَّاسَ: جَمَعَهم وبابه ضَرَبَ و نَصَرَ ومنه (يوم الحَشْر)»[٣٤٢].

ثالثاً: التفسير:

يقول الكافر في هذه الآية سائلاً ربَّهُ عن سبب حشره يوم القيامة أعمى وقد كان في الدنيا بصيراً. **جاء في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآية:**

(٣٣٩) الموضح ج٢/ص٨٥٥.

(٣٤٠) انظر: أضواء البيان ج٣/ص٧٥.

(٣٤١) انظر: في هامش القرآن الكريم ص٣٢٠.

(٣٤٢) مختار الصحاح ص١٣٧.

«أي قال الكافر: يا رَبِّ بأيِّ ذَنْبٍ عاقبتني بالعمَى وقد كنتُ في الدنيا بَصيراً؟»[٣٤٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى (حَشَرْتَنِيَ أَعْمَى) ـ بفتح ياء المتكلِّم وبغير مَدٍّ ـ السرعة في طرح السؤال والاستفسار عن سبب كونِهِ حُشِرَ أعمى وقد كان بصيراً.

ويقول الطبري: «فإن قال قائلٌ: وكيف قال هذا لربِّه: ﴿...لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ...﴾ مع معاينة عظيم سلطانه، أَجَهِلَ في ذلك الموقِفِ أنْ يَكونَ لله أنْ يَفْعلَ به ما شاء، أمْ ما وَجْهُ ذلك؟ قِيلَ: إنَّ ذلك منه مَسْألةٌ لربِّهِ يُعَرِّفُهُ الجُرْمَ الذي استحقَّ به ذلك، إذ كان قد جَهِلَه، وظنَّ أن لا جُرْمَ له، استَحَقَّ ذلك به منه، فقال: ربِّ لأيِّ ذَنْبٍ ولأيِّ جُرْم حَشَرْتني أعمَى، وقد كنتُ منْ قَبْلُ في الدنيا بصيراً وأنت لا تُعاقِبُ أحداً بدون ما يستحقُّ منك من العقاب»[٣٤٤].

قال الفرَّاء: يُقالُ إنَّهُ يخرجُ من قبرِهِ بصيراً فيُعْمَى في حَشْرِه[٣٤٥].
وتفيد القراءة الثانية ﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ بمدِّ الياء، شعور الكافر بالضرر، وذلك أنه أصبح أعمى، ممّا دفعه لمسألة ربِّه، وطلب دفْع الضرر عنه، لذلك فإنَّ إظهار الياء يدلُّ على أنَّ الكافرَ يريدُ طَلَباً لنفسِهِ حقّاً، وأنَّه لا شيءَ أَلْزَمُ منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه[٣٤٦].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكافرَ يُسارِعُ في الطلبِ من ربِّه أن يدفعَ عنه ما به من ضرر، حيثُ إنَّه حُشِرَ أعمى، وقد كان فيما سبَق بصيراً، وذلك ظَنّاً منه أنَّه لا جُرْمَ له يستَحِقُّ به منه ذلك، والله أعلم.

---

(٣٤٣) صفوة التفاسير ج٢ /ص٢١٧.

(٣٤٤) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥١.

(٣٤٥) انظر: مجمع البيان ج١٣/ص١٥٣.

(٣٤٦) انظر: بلاغة الكلمة ص٢٧.

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي، وأبو بكر (تُرْضَى) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (تَرْضَى) بفتح التاء[٣٤٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ترضَى: «الرِّضا مقصورٌ: ضدُّ السَّخَط»[٣٤٨].

ثالثاً: التفسير:

تَحُثُّ هذه الآيةُ سيِّدنا محمدٍ ﷺ على الصَّبرِ على أذى قومه، بعد أن عَلِمَ أنَّهُ سَبَقَتْ كَلمةٌ من الله ـ ﷻ ـ بتأخير عذاب هذه الأُمَّةِ لأَجَلٍ مُسَمَّى، ثمَّ تأمُرُهُ الآية بأن يتَّجِهَ إلى الله تعالى بتسبيحه قبل طلوع الشمسِ، وقبل غروبها، وفي ساعاتِ الليل والنهار حتى يرضى[٣٤٩].

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: «﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: إذا كان الأمرُ كذلك، فاصبرْ على ما يقولون من الكُفرِ، والتكذيبِ ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ وأنت حامدٌ لربِّكَ، الذي يبلغك إلى كمالك، على هدايته وتوفيقه ونزِّهْهُ عمّا ينسبونه إليه، ممَّا لا يليقُ بشأنه الرفيع، معترفاً أنَّه مولى النعم كلها ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: في صلاةِ الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ يعني صلاة الظهر والعصر، لأنَّهما قبل غروبها ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ﴾ أي: ومن ساعاته، والمرادُ به المغرب والعشاء، وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيدِ الفضل، فإنَّ القلبَ فيهما أجمَع، والنفسَ إلى الاستراحةِ

(٣٤٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.
(٣٤٨) لسان العرب ج١٤/ص٣٢٣.
(٣٤٩) انظر: المستنير ج٢/ص٥١.

أَمْيَل، فتكون العبادةُ فيهما أَشَقُّ، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ [المزمل: ٦] ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أمْرٌ بالتطوّعِ في أجزاء النهار، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ أي سَبِّح في هذه الأوقات، رجاء أنْ تنالَ عنده تعالى، ما تَرْضَى به نفسُك، ويَسُرُّ قلبَك، وهو إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]»(٣٥٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تُرْضَى) بضمِّ التاء، أنَّ محمداً ﷺ يُعْطَى الرضا، ويَرْتضيه الله ﷻ، أي سيُعطيك الله يا محمد من الفضائلِ والدرجاتِ والشفاعةِ العظمَى يوم القيامة، ما يُرْضيك، وستكون عنده مرضيًا(٣٥١).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرأه الكسائي، وأبو بكر بضم التاء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، والذي قام مقام الفاعل هو النبيّ ﷺ والفاعل هو الله جلّ ذِكرُه، تقديره: لعلَّ الله يُرضيكَ بما يعطيك يوم القيامة، و(لعلّ) من الله واجبةٌ»(٣٥٢).

أمّا القراءة الثانيةُ (تَرْضَى) بفتح التاء فهي بمعنى: لعلَّك تثابُ يا محمد على هذه الأعمال بما تَرضى به(٣٥٣).

يقول الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معنى هذه القراءة: إنَّ الله يُعطيك يا محمد حتّى تَرضَى عطيّته وثوابه إيّاك(٣٥٤).

بالجمع بين القراءتين يُعلَمُ إكرام الله - تعالى - لحبيبه وصفيّه محمد ﷺ حتى يكون مَرْضيًا عنده، سوف يُرْضيه، ويُعطيه على تلك الأعمال التي ذَكَرتها الآية ما يجعله يَرضَى بما وهبه الله تعالى، والله أعلم.

---

(٣٥٠) المقتطف ج٣/ص٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣٥١) انظر: مفاتيح الأغاني ص٢٧٨.

(٣٥٢) الكشف ج٢/ص١٠٧، وانظر: طلائع البشرص١٦٩.

(٣٥٣) انظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٧٠.

(٣٥٤) انظر: تفسير الطبري مج٩/ ج١٦/ص٢٥٦.

٣٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (زَهَرَةَ) بفتح الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (زَهْرَةَ) بإسكان الهاء[٣٥٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الزَّهَرَة: زَهْرَةُ النبت، والزَّهْرَةُ ـ بسكون الهاء ـ زَهْرَةُ الحياة الدنيا، وهي: غضارتها وحسنها»[٣٥٦].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ لا ينظر إلى ما مَتَّع به أصنافاً من الكفارِ من نعيمِ الدنيا وزينتها، لأنَّها لا تدوم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ ولا تنظر إلى ما جعلنا لضُرَباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربِّهم وأشكالِهم، متعةً في حياتهم الدنيا، يتمتَّعون بها، من زهرةِ عاجل الدنيا ونضرتها، (لِنَفْتِنَهم فيه) يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإنَّ ذلك فانٍ زائل، وغُرورٌ وخِدَعٌ تضمحِلُّ، (ورِزقُ ربِّكَ) الذي وعدك أن يَرْزُقكَه في الآخرة حتَّى ترضى، وهو ثوابه إيّاه (خَيْرٌ) لك مما متَّعناهم به من زهرة الحياة الدنيا. (وأَبْقَى) يقول: وأدوم، لأنَّه لا انقطاع له ولا نفاذ. وذُكِرَ أنَّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ إِلَى يهوديّ يستلِفُ منه طعاماً، فأَبَى أن يُسْلفه إلا برهن»[٣٥٧].

---

(٣٥٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣٥٦) معاني القراءات ج٢/ص١٦١ وانظر: مختار الصحاح ص٢٧٦.

(٣٥٧) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (زَهَرَةَ) بفتح الهاء قِصَرُ المُدَّةِ التي يتمتَعُ بها هؤلاء الأزواج في هذه الحياة الدنيا، أي أنَّ المُدَّة التي يتمتعُ بها هؤلاء هي مُدَّةٌ قصيرةٌ كما أنَّ نَوْرَ النباتِ حين يُزهِرُ لا يمكثُ مُزْهِراً ـ كما هو معلوم ـ إلاّ فترةً قصيرة.

يقول الكرماني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ يعقوب بفتح الهاء والزّاي، أي نَوْرُ النبات»[٣٥٨].

وقال ابن عطيّة ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقوله تعالى: (زَهرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) شبَّهَ نِعَم هؤلاء الكفار بالزَّهرِ وهو ما اصفَرَّ من النَّوْر، وقيل (الزَّهَرُ) النَّوْرُ جُملةً لأنَّ الزَّهرَ له منظرٌ جميلٌ ثمَّ يضْمَحِل، فكذلك حال هؤلاء»[٣٥٩].

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: فإن قيل ما معنى الزهرة فيمن حَرَّكَ قلنا معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة... وأن يكون جمع زاهر وصْفاً لهم بأنّهم زهرة هذه الدنيا لصفاء ألوانهم وتهَلُّلِ وجوهِهِم، بخلاف ما عليه الصُّلَحاءُ من شحوبِ الألوانِ والتقشُّفِ في الثياب[٣٦٠].

يقول **الخطيب التبريزي** رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أي زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه، ونصب زهرة على فعلٍ مُضمَرٍ، دلَّ عليه (مَتَّعْنا)؛ لأنَّ (متَّعنا) بمنزلة (جعلنا)، فكأنَّه قال: جعلنا لهم زهرة»[٣٦١].

في حين أفادت القراءة الثانيةُ (زَهْرَةَ) بإسكان الهاء، أنَّ ما يتمتَّعُ به هؤلاء الكفار لا يتعدَّى كَونَهُ زينةً لهم في هذه الحياة الدنيا، ويُحْتَمَلُ هنا معنَى أزواجاً ذوي زَهْرَةٍ، كما يَحْتَمِلَ أن تكون على المبالغة في المتعة حتى جُعِلوا نفس الزَّهرة[٣٦٢].

(٣٥٨) مفاتيح الأغاني ص٢٧٨.

(٣٥٩) المحرر الوجيز ج٤/ص٧١.

(٣٦٠) انظر: تفسير الرازي ج٢٢/ص١٣٦.

(٣٦١) الملخص ص ٢٨٤.

(٣٦٢) انظر: الدر المصون ج٥/ص٦٦.

بالجمع بين القراءتان تتَّضح العبرة والموعظة من الله ـ تعالى ـ لمحمد ﷺ، ولأمَّته حيث يأمر نبيَّه ﷺ ألاَّ يمُدَّ عينيه إلى ما مَتَّعَ به أصنافاً من الكفار، من نعيم هذه الدنيا وزينتها ـ وقد بالغ في ذلك حتَّى أصبحوا هم زهرة هذه الحياة الدنيا؛ لصفاء ألوانهم، وتَهَلُّلِ وجوههم ـ لأنَّ هذه الحياة لا يدوم نعيمها، ولا تدوم زينتها، بل سرعان ما يزولُ نعيمها ويضمَحل، كما تزولُ زهرةُ النبات وتضمَحِلّ، والله أعلم.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ورش، والسوسي، ووقفاً حمزة (وَامُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَأْمُرْ) بالهمزة(٣٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمر: إذا أمرت من أمر قلت: مُرْ وأصلُهُ أُؤْمر، فلمَّا اجتمعت همزتان وكَثُرَ استعمالُ الكلمة حُذِفَت الهمزة الأصلية، فزال الساكن، فاسْتُغْنِيَ عن الهمزة الزَّائدة، وقد جاء على الأصل... وقالوا في الأمر: أُومُرْ ومُرْ ونَظيرُه كُلْ وخُذْ(٣٦٤).

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله ـ ﷻ ـ نبيَّه محمد ﷺ، ويدخُلُ في عموم خطابِهِ جميع أمَّتِه، فيأمرُهُ بأنْ يأمُرَ أهلَه بالصلاة ويصطبِر عليها، فهو تعالى الذي يتكَفَّلُ برزقه، والعاقبةُ للتقوى.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ: «يقول تعالى ذكره لسيدنا محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول: واصطبر على

(٣٦٣) انظر: النشر ج١/ ص ٣٩٠.

(٣٦٤) انظر: لسان العرب ج٤/ص٢٧.

القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾ يقول: لا نسألك مالاً، بل نكلفك عملاً ببدنك، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يقول: نحن نعطيك المال ونُكسِبَكَه، ولا نسألكه. وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ يقول والعاقبة الصالحة من عمل كلِّ عاملٍ لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً»[٣٦٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَامُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً، أنَّ الأمرَ يكون باللين والموعظة الحسنة وأن يتسع لهم الصدر حانياً؛ وذلك أنَّ الهمزة حرف مستثقل، والألف حرفٌ يخرج من الجوف بلا عناءٍ ولا مشقَّة. وهو حرفٌ خفِيٌ[٣٦٦].

كما يقول الإمام أبو عمرو الداني[٣٦٧]: «والهاوي حرف واحدٌ، وهو الألف، وهو حرفٌ اتسع مخرجه لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيره»[٣٦٨].

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ كان يتعامل مع أهله باللين والموعظة الحسنة، كما كان يتّسع صدره لهم وهو ﷺ يأمرهم بالصلاة، فقد كان ﷺ يأتي باب فاطمة وزوجها علي - رضي الله عنهما - ليحثهما على أداء الصلاة بأطيب الكلام وأعذبه، واستمرّ ذلك عدّة شهور.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (لـمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر، عند كل صلاة، فيقول: الصلاة رحمكم الله، إنَّما يريدُ الله ليُذهبَ عنكم الرجس أهل البيت،

---

(٣٦٥) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥٨.

(٣٦٦) انظر: المقتضب ج١ /ص١٩٨.

(٣٦٧) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية، أحد حفّاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، له أكثر من مائة مصنّف، من أهالي دانية بالأندلس، دخل المشرق، فحجّ وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده سنة ٤٤٤هـ. انظر: الأعلام ج٤/ ص٢٠٦.

(٣٦٨) التحديد في الإتقان والتجويد ص١١٠.

ويُطَهِّرَكم تطهيراً)[٣٦٩].

أمَّا القراءة الثانية (وَأْمُرْ) بالهمزة فقد أوحت بثِقَلِ الأمر على النفس، وذلك أنَّ النفس تميل إلى الراحة، ومجاهدة النفس تحتاج من الإنسان صبراً وقوَّةَ عزيمةٍ، وهذا ما توحيه الهمزة حيثُ إنَّها حرفٌ شديدٌ مسْتَثْقَلٌ يخرجُ من أقصَى الحَلْق[٣٧٠]، مما استلزم أن يوصِي الله ـ تعالى ـ نبيَّه بالصَّبر على أداء الصلاة وأمر أهله خاصَّةً بأدائها باتباع أسلوب الموعظة الفعلية لأنَّها أكثرُ فائدةً من الموعظة القوليَّة.

يقول أبو العلاء الكرماني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أراد أنَّك كما تأمرهُم بها فحافظ عليها، فإنَّ الوعظَ بلسانِ الفعلِ أتَمُّ منه بلسان القول»[٣٧١].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى يأمر نبيَّه ﷺ بأن يأمرَ أهلَهُ بالصلاةِ، ويصطبر على فعلها، وعلى أمرهم بها، مستعيناً بالموعظة بلسان الفعل، إلى جانب لسان القول، والموعظة الحسنة، كما ينصحهم في الخفاء، فالنصيحة في الخفاء تكون أكثر تأثيراً وصدقاً من النصيحة العلنية، والله أعلم.

٣٦ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه: ١٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ قنبل، ورويس (السِّرَاطِ) بالسين.

٢ ـ وقرأ خلف عن حمزة (الزِّراطَ) بإشمام الصاد زاياً.

٣ ـ وقرأ الباقون (الصِّرَاطِ) بالصاد[٣٧٢].

---

(٣٦٩) انظر: صحيح مسلم ج ٤/ص١٨٨٣، ح٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي.

(٣٧٠) انظر: شرح المفصل ج٩/ص١٠٧.

(٣٧١) غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٨٦.

(٣٧٢) انظر: البدور الزاهرة ص ١٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السِّراط: لغة في الصِّراط»[٣٧٣].

«وأمَّا (الصِّراط) فإنَّه بكسر الصاد: الطريق»[٣٧٤].

ثالثاً: التفسير:

يأمُرُ الله نبيَّه محمد ﷺ أنْ يقول للكفّار المشركين إنَّ كلَّ واحدٍ منَّا ومنكم في حالة انتظارٍ لما يؤول إليه أمرنا وأمركم وستعلمون عندما تقوم الساعة من هو الضالُّ ومن هو المُهْتَدي؟

يقول الإمام الطبري: «يقولُ تعالى ذكرُهُ لنبيِّه محمد ﷺ: قُل يا محمد: كلكم أيُّها المشركون بالله مُتَرَبِّصٌ؛ يقول: مُنْتَظِرٌ لمن يكونُ الفلاح، وإلى ما يؤولُ أمري وأمرُكم مُتوقِّفٌ ينتظرُ دوائرَ الزَّمان، ﴿فَتَرَبَّصوا﴾ يقول: فتَرَقَّبوا وانتَظِروا، فستعلمون من أهلُ الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاجَ فيه إذا جاءَ أمرُ الله وقامت القيامةُ، أنحنُ أم أنتم؟ ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول: وستعلمون حينئذٍ من المُهْتَدِي الذي هو على سنن الطريق السهل المستقيم، غير الحائد عن قصده منّا ومنكم»[٣٧٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وردت في كلمة الصراط ثلاث قراءات ذُكرت في كتاب وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن كالآتي: «... ففيه ثلاث قراءات: هي بالسين في (السراط)، كذلك قرأ قُنْبُلٌ عن ابن كثير، لأنها الأصل ولكن أُبدلت صاداً للطاء. وبالصاد قرأ أغلب القرَّاء، وهي أوفق لصوت الطاء المستعلي لمؤاخاتها لها فيه. وبصوتٍ بين الصاد والزاي كذلك قرأ خلفٌ عن حمزة، أشَمَّ الصاد لفظ الزاي، وهذا مجهور، فوافق بذلك الطاء»[٣٧٦].

---

(٣٧٣) مختار الصحاح ص٣٢٦.

(٣٧٤) شرح المفصل ج١٠/ص٥١.

(٣٧٥) تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص٢٦٠.

(٣٧٦) وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص ٦٧.

توحي القراءة (السِّرَاطِ) بالسين أنَّ الأصل في الإنسان الإيمان واتباع الهدى وذلك بالفطرة.

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ «ما من مولود إلاَّ يُولدُ على الفِطْرَةِ، فأبواهُ يُهَوِّدانِهِ، أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانه، كَمَا تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةَ جمعاء، هلْ تَحسون فيها من جَدْعاء»(٣٧٧).

جاء في شرح المفصل: «يُقالُ السراط بالسين على الأصل، وقال في القاموس: وشرحه: والسين لغة في الكلّ، وقرأ يعقوب (اهدنا السراط المستقيم)، وأصلُ صاده سين قُلِبت مع الطاءِ صاداً لِقُرْبِ مخارجهما»(٣٧٨).

وإنَّ الدينَ الإسلاميَّ الحنيف، الذي يتَّبِعُهُ أصحاب الصراطِ السَّوِيِّ، هو دين اليسر والبساطة، بلا تعقيدات ولا مشقَّة، وهذا ما تُعَبِّرُ عنه السين، فقد **قال الدكتور أحمد مختار عمر**: «لا شك أنَّ السين أكثر بساطة من الصاد، لأنَّ الأخيرةَ تَقْتَضِي عمليَّةً إضافيَّةً على حركات نطق السين وهذه العملية تتمثَّلُ في حركة مؤخَّرِ اللسان إلى أعلى»(٣٧٩).

أمَّا القراءة (الزِّراطَ) بإشمام الصاد زاياً فقد ألقت الضَّوْءَ على تلك الفئة من البشر الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً، فهؤلاء إمَّا أنْ يرحمهم الله برحمته فيكونون مع الفائزين بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإمَّا أنْ يكونوا ممَّن حقَّ عليهم العذاب.

فهؤلاء هم الفئةُ بين الفئتين التي تشترك مع الصالحين ببعض الأعمال الصالحة، ويشتركون مع العُصاة ببعض الأعمال الفاسدة، وهذا ما أفاده حرف الزَّاي الذي يشترك مع السين في جميع الصفات إلاَّ أنه يختلف عنه في صفة الجهر بينما السين حرف مهموس، كما يشترك الزاي مع الصاد في

(٣٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١/ص٤٥٦، ح ١٢٩٢، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ثم مات.

(٣٧٨) شرح المفصل ج ١٠/ ص ٥١ (في الهامش).

(٣٧٩) دراسة الصوت اللغوي ص٣٤٠.

ثلاث صفاتٍ هي الرخاوة والإصمات والصفير، ويفترِقُ معه في بقيّة الصفات الأخرى[380].

أمّا القراءة (الصِّرَاطِ) فقد ناسبت أموراً عِدَّةً منها:

١ ـ أنَّ أصحاب الصراط السوِيّ هم الذين يتَّبِعون الهُدى فيسلكون الطريق المستقيم.

٢ ـ قوَّة موقف المؤمنين الذي توحي به قوّة الحرف الذي أُبدلت السين به، ألا وهو حرف الصاد.

٣ ـ إنَّ أصحابَ الصراط السويِّ وهم المؤمنون لا بدَّ أن يظهر أمرهم مهما بلغت قوَّةَ الأعداء وقويت شوكتهم، وزاد طغيانهم، لأنَّ المستقبل للإسلام، ولأنَّه لا يتبع الظلامَ الدامسَ إلاّ بزوغ الفجر الساطع.

٤ ـ إنَّ أصحابَ الصِّراط السَّويّ الذين استحقُّوا الفوز بالدرجات العُلَى لم يكونوا مُتقاعسين عن عبادةِ الله ولكنَّهم كانوا أصحاب عزيمةٍ قويَّةٍ وجِدٍّ ومُثابرةٍ وهم أصحابُ فِعلٍ يُشاهَدُ حِسًّا، وما كانوا أصحاب شعاراتٍ وكلامٍ مُنَمَّقٍ بلا فِعلٍ ملموس.

٥ ـ إنَّ أصحابَ الصِّراطِ السَّوِيّ على يقينٍ من الثَّواب الذي أعَدَّه الله تعالى لهم فنُفوسُهم تَعْرِفُهُ، وإن كانت عيونهم لم ترهُ من قبل.

وذلك حيث: «جعلوا الصاد لأنَّها أقوى لما فيه أثَرٌ مُشاهَدٌ يُرَى وهو الصعود في الجبل والحائطِ ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر، ولا يُشاهدَ حِسَّاً، إلاّ أنَّه مع ذلك فيه صعود الجَدِّ لا صعود الجسم.. .فجعلوا الصاد لقوَّتِها فيما يُشاهَدُ من الأفعال المُعالَجةِ المُتَجَشَّمة، وجعلوا السِّين لضعفها فيما تعرفه النَّفس وإنْ لم تَرَهُ العين»[381].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتَّضحُ أنَّ الله تعالى يأمر نبيَّه أنْ يقول

---

(٣٨٠) انظر: المغني للجمل ص١٤١.

(٣٨١) دراسات في فقه اللغة ص١٤٣.

للكفار إنَّهم سيعلمون يوم القيامة من هم أصحاب الطريق السَّوِي، الذين يتَّبِعون الفطرة السليمة والديانة الإسلامية التي تمتاز بالبساطة والسهولة، والذين يعملون بجد ومُثابرة لنيل الدرجات العلى في الجنة.

كما سيعلمون من هم الذين يستحقون العذاب؛ بسبب عنادهم، وكفرهم في الدنيا، فيقفون على الصراط موقفاً عصيباً يوم القيامة.

وبين هذين الفريقين إشارةٌ إلى فريقٍ ثالثٍ، لا يعلم خبايا نفسِه في الدنيا، ومآله في الآخرة إلاّ الله، فإمّا نجاةٌ، وإمّا هلاكٌ، والله أعلم.

الفصل الثاني
تفسير سورة (الأنبياء) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الأنبياء).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة الأنبياء

ويشتمل على النقاط التالية :

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة الأنبياء

أولاً: اسم السورة:

* سُمِّيت هذه السورة (سورة الأنبياء)؛ بسبب اشتمالها على قصصٍ مجموعةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «سماها السلف (سورة الأنبياء) ... ولا يعرف لها اسم غير هذا. ووجه تسميتها سورة الأنبياء أنَّها ذُكِر فيها أسماءُ ستة عشر نبياً، ولم يأتِ مثل هذا العددِ من أسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن عدا ما في سورة الأنعام، فقد ذُكِر فيها أسماءُ ثمانية عشرَ نبياً في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ...﴾ [الأنعام: ٨٣] إلى قوله: ﴿...وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ...﴾ [الأنعام٨٦]، فإنْ كانت سورةُ الأنبياءِ هذه نَزلت قبل سورة الأنعام، فقد سَبقت بالتسميةِ بالإضافة إلى الأنبياء؛ وإلاَّ فاختصاصُ سورة الأنعام بذكرِ أحكامِ الأنعام أوجبَ تسميتَها بذلك الاسم، فكانت سورة الأنبياء أجدرَ من بقيةِ سورِ القَرآنِ بهذه التسمية، على أنَّ منَ الحقائق المسلَّمة أنَّ وجهَ التسميةِ لا يوجبها»[٣٨٢].

---

(٣٨٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٥، وانظر: التفسير المنير ج١٧/ص٥، في رحاب التفسير ج١٣/ص٢٤٤٣، حاشية الشهاب ج٦/ص٤١٢، وصفوة التفاسير ج٢/ص٢٢٠.

* **وقد ذكر لها ابن تيمية[٣٨٣] - رحمه الله - اسماً آخر في تفسيره، حيث يقول:**

(سورة الأنبياء) سورة الذكر، سورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر... ثمَّ عزَّزَ قوله بآياتٍ من الذِّكر الحكيم وردت في هذه السورة وهي:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾، وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾، وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝١٠٥﴾[٣٨٤].

ثانياً: نوع السورة:

سورة الأنبياء مكية.

يقول السيوطي - رحمه الله -: «عن ابن الزبير قال: نزلت سورة الأنبياء بمكة»[٣٨٥].

---

(٣٨٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس الحرَّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحوّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، له مؤلفات قيّمة كثيرة، مات معتقلاً بقلعة في دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. انظر: الأعلام ج١/ ص١٤٤.

(٣٨٤) انظر: دقائق التفسير الجامع مج٢/ج٤/ص٣٥٧، التفسير الكبير ج٥/ص٢١٧، والتفسير الكامل ج٤/ ص٢٥٥.

(٣٨٥) الدر المنثور ج٥ / ص٦١٥.

يقول الألوسي - رحمه الله -: مكيةٌ بلا خلاف، وأُطلِقَ ذلك فيها، واستُثنيَ منها في الاتفاق قوله تعالى: ﴿...أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ [الأنبياء: ٤٤][٣٨٦].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات سورة الأنبياء اثنتا عشرةَ ومائة آية.

يقول الألوسي - رحمه الله - في عدد آيات السورة: هي مائةٌ واثنتا عشرةَ آيةٌ في عدِّ الكوفي وإحدى عشرةَ في عدِّ الباقين[٣٨٧].

رابعاً: فضائل السورة:

تعدُّ سورة الأنبياء من فضليات السور، وهي من أوائل ما نزل من القرآن، كما أنّها من السورِ العظيمة التي أذهلت الصحابة بما احتوته من الأمور العظيمة والغريبة، فقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني[٣٨٨] في حلية الأولياء:

«عن عامرِ بن ربيعةَ أنّه نزلَ به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه، وكلَّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استَقْطَعْتُ رسولَ الله ﷺ وادياً ما في العرب وادٍ أفضلُ منهُ، وقد أردتُ أنْ أقطَعَ لك منه قطعةً تكونُ لك ولعقبك من بعدك، قال عامر: لا حاجةَ لي في قَطيعَتك، نزلت اليومَ سورةٌ أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] قال الشيخ - رحمه الله -: والذي حداه على الزهد والفقر ودعاه إلى إدمان الذكر ما أخبره به النبي ﷺ، وما كان يعانيه في بدنه من الشدة في البعوث والسرايا»[٣٨٩].

---

(٣٨٦) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص٣.

(٣٨٧) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص٣.

(٣٨٨) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد بأصبهان سنة ٣٣٦هـ، ومات بها سنة ٤٣٠هـ، من تصانيفه: حلية الأولياء. انظر: الأعلام ج١ / ص ١٥٧.

(٣٨٩) حلية الأولياء ج١ /ص ١٧٩. وانظر: الدر المنثور ج٥ /ص٦١٥، وتفسير ابن كثير ج٣/ص٣٠٤.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

إنَّ مناسبة سورة الأنبياء لسورة طه التي تسبقها ظاهرةٌ واضحةٌ لا تحتاجُ لبيان، حيث انتهت سورة طه بالأمر للنبي ﷺ بأنْ يقول للكفار أنْ يتربّصوا وينتظروا؛ ليعلموا يوم القيامة من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى، وفي هذه السورة يُعلِم الله تعالى الكفار بأنَّ حسابَهُم اقتربَ وهم في غفلةٍ معرضون.

يقول السيوطي - رحمه الله - في مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها: «ظهر لي في اتصالها بآخر (طه) أنّه سبحانه لما قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [طه: ١٣٥] وقال قبله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩] قال في مطلع هذه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] إشارة إلى قرب الأجل ودنو الأمل المنتظر، وفيه أيضاً مناسبة لقوله هناك: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]، فإن قُربَ الساعة يقتضي الإعراض عن هذه الحياة الدنيا؛ لدنوها من الزوال والفناء، ولهذا ورد في الحديث: أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة هلا سألت النبي ﷺ عنها فقال نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا»[٣٩٠].

يقول الشيخ عبد الحميد كشك[٣٩١] - رحمه الله -: «إنّ سورة (طه) خُتِمت بأنّ الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأنّ الله نهى رسوله أن يتطلّعَ إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأنّ العاقبةَ للمتقين،

---

(٣٩٠) أسرار ترتيب القرآن ص١١٠. وانظر: نظم الدرر ج٥/ص٦٣، والتفسير المنير ج١٧/ ص٥ - ٦.

(٣٩١) هو عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك: عالم معاصر، فقيه، مفسر، ولد في بلدة شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٩٣٣م، وكان كريماً متواضعاً متحلياً بكل صفات العلماء، كما اشتهر بالمزاح وروح الدعابة، وكان عزيزاً مرفوع الرأس يجاهد بدعوته ولا يخشى في الله لومة لائم. انظر: الشيخ كشك في رحاب الوفاء والرثاء ص١٨. وموضوع (قبض العلماء) بمجلة المنبر الإسلامية الفلسطينية، عدد ٢٥ /ص٣٩. ومنهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره (في رحاب التفسير)ص١٢ - ١٣.

وبدأت سورة الأنبياء بمثل ما خُتِمت به (طه) فذكر فيها أنّ الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنّهم إذا سمِعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه»(٣٩٢).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

إنَّ هدفَ هذه السورةِ هو الاستدلالُ على تحقُّقِ الساعةِ وقربِها، ووقوعِ الحساب فيها على كافَّةِ البشرِ كما وَعَدَ الله تعالى.

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «مقصودُها الاستدلالُ على تحقُّقِ الساعة، وقربِها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأنَّ مُوجِدَها لا شريك له يَعوقُه عنها، وهو من لا يُبَدَّلُ القولُ لديه، والدَّالُّ على ذلك أوضحَ دلالةٍ مجموعُ قصص جماعةٍ ممّن ذُكِرَ فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقلُّ قصّةٌ منها استقلالاً ظاهراً بجميع ذلك كما سنبيِّن، ولا يخلو قصّةٌ من قصصهم عن دلالةٍ على شيءٍ من ذلك فَنُسِبَت إلى الكلِّ»(٣٩٣).

كما تعددت أغراض هذه السورة في نطاق العقيدة، فقد تحدثت عن التوحيد والرسالة والبعث.

وقد ذكر **الطاهر بن عاشور** ـ رحمه الله ـ: المقاصد التي ذُكِرَت في هذه السورة، وهي:

١ ـ الإنذار بالبعث وتحقيق وقوعه وإنَّه لتحقق وقوعه كان قريباً، وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من السماء.

٢ ـ التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله، والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله، وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.

---

(٣٩٢) في رحاب التفسير ج١٦/ص٢٤٤٦ (بتصرف).

(٣٩٣) نظم الدرر ج٥/ص٦٣.

٣ ـ التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.

٤ ـ التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جرَّاء تكذيبهم رسلهم، وأنَّ وعدَ الله للذين كذَّبوا واقعٌ ولا يغرّهم تأخيره فهو واقعٌ لا محالة.

٥ ـ حذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.

٦ ـ ذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، ومن الإيماء إلى أنَّ وراءَ هذه الحياة حياةٌ أخرى أتقن وأحكم؛ لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق؛ إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة، وتنزيه الله ـ تعالى ـ عن الشركاء وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن وجود ما يكرهه على فعل ما لا يريد، وأنَّ جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.

٧ ـ وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ. ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه، وكيف نَصَر الله الرسل على أقوامهم، واستجاب دعواتهم، وأنَّ الرسل كلهم جاءوا بدين الله، وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعاً. وأثنى على الرسل عليهم السلام وعلى من آمنوا بهم، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه[٣٩٤].

سابعاً: محور السورة:

إنَّ محور هذه السورة هو موضوع العقيدة، **يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ:**

(٣٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص٦ ـ ٨.

«موضوعُ السورة بيانُ أصول العقيدة الإسلامية ومبادئها وهي التوحيد، والرسالة النّبوية، والبعث والجزاء، وقد بدأت بوصف أهوال القيامة، ثمَّ ذكرت قصص جُملةٍ من الأنبياء الكرام عليهم السلام»[٣٩٥].

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذه السورة، مكية تعالج الموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية... موضوع العقيدة... تعالجه في ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث. وسياقُ السورةِ يُعالجُ ذلك الموضوع بعرضِ النواميسِ الكونيةِ الكبرى، وربط العقيدة بها، فالعقيدةُ جزءٌ من بناءِ هذا الكون، يسيرُ على نواميسهِ الكبرى»[٣٩٦].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

اشتملت سورة (الأنبياء) على مواضيع شتَّى يُجملها الشيخ **عبد الحميد كشك** ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ حيث يقول: «مقصود السورة ما اشتملت عليه مجملاً من التنبيه على الحساب في القيامة، وقربِ زمانها، ووصف الكفار بالغفلة، وإثبات النبوَّة، واستيلاء أهل الحقِّ على أهل الضلالة، وحُجَّة الوحدانية، والإخبار عن الملائكة وطاعتهم، وتخليق الله السماوات والأرض بكمال قدرته، وسَيْر الكواكب، ودور الفلك، والإخبار عن موت الخلائق وفنائهم، وكِلاَءِ[٣٩٧] الله ـ تعالى ـ وحفظه العبد من الآفات، وذِكرِ ميزان العدل في القيامة.

وذِكر إبراهيم بالرشد والهداية، وإنكاره على الأصنام وعبَّادها، وسلامة إبراهيم من نار نمرود وإيقادها. ونجاة لوط من قومه أولي العدوان. ونجاةِ نوح من الطوفان. وحكم داود وفهم سليمان، وذكر تسخير الشيطان. وتَضَرُّعِ أيّوب. ودعاء يونس. وسؤال زكريّا. وصلاح مريم. وهلاكِ قُرىً أفرَطوا في

(٣٩٥) التفسير المنير ج١٧/ص٦.

(٣٩٦) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٣٦٤.

(٣٩٧) كَلأَه يَكْلَؤُه كَلأً وكِلاءً وكِلاءة بالكسر حَرَسَه وحَفِظَه. انظر: لسان العرب ج١ / ص ١٤٥.

الطغيان، وفتح سدِّ يأجوجَ ومأجوج في آخر الزمان، وذُلِّ الكفار والأوثان في دخول النيران، وعزّ أهل الطاعة والإيمان من الأزل إلى الأبد في جميع الأزمان على علالي الجنان، وطَيِّ السماوات في ساعة القيامة. وذِكر الأمم الماضية، والمُنَزَّلة من الكتب في سالف الأزمان.

وإرسال المصطفى ﷺ بالرأفة والرحمة والإحسان، وتبليغ الرسالة على حكم السوية من غير نقصانٍ ورجحان، وطلب حكم الله تعالى على وِفْق الحقّ والحكمة في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢]»(٣٩٨).

(٣٩٨) في رحاب التفسير ج١٣/ص ٢٤٤٣ ـ ٢٤٤٤.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿قَالَ﴾ بألف على الخبر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ بغير ألف على الأمر[٣٩٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قول: القَوْل: الكلام على الترتيب، وهو عند المحقِّق: كلّ لفظٍ قال به اللسان تامًّا كان أو ناقصاً»[٤٠٠].

ثالثاً: التفسير:

كشفَ الله تعالى الأمرَ الذي تناجَوا به وأسرُّوه، وهو قولُ بعضِهم لبعضٍ على جهةِ التوبيخ: أَفَتَتَّبِعون السِّحْرَ وأنتم تُبصِرون، ثم أمرَ الله تعالى

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣، سراج القارئ المبتدي ص١٥٧.

(٤٠٠) لسان العرب ج١١/ص٦٨١.

نبيه ﷺ أن يقول لهم وللناس جميعاً: ربِّي يعلمُ أقوالَكم هذه، وهو بالمرصادِ في المجازاة عليها.

يقول الألوسي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

«حكايةٌ من جهته تعالى لِمَا قالَ عليه الصلاة والسلام بعدما أُوحِيَ إليه أحوالُهم وأقوالُهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرِّهم، ففاعلُ قال ضميرُه ﷺ، والجملة بعده مفعوله... وقرأ باقي السبعة (قُلْ) على الأمر لنبيه ﷺ والقول عامٌّ يشملُ السرَّ والجهرَ فإيثاره على السر لإثبات علمه سبحانه به على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأنَّ علمه تعالى بالأمرين على وتيرةٍ واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما في علوم الخلق.

وفي الكشفِ أنَّ بين السرِّ والقولِ عموماً وخصوصاً من وجه، والمناسب في هذا المقام تعميم القول ليشمل جهره وسره والأخفى فيكون كأنه قيل: يعلم هذا الضربَ وما هو أعلى من ذلك وأدنى منه، وفي ذلك من المبالغةِ في إحاطةِ علمهِ تعالى المناسبةُ لما حُكِيَ عنهم من المبالغةِ في إخفاءِ ما فيه، وإيثار السرِّ على القولِ في بعض الآيات لنكتةٍ تقتضيه هناك ولكلِ مقامٍ مقالٌ، والجار والمجرور متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من القولِ، أي: كائناً في السماءِ والأرض، وقوله سبحانهُ: (وهو السَّمِيعُ) أي: بجميع المسموعات، (العَلِيمُ) أي: بجميع المعلومات، وقيل: أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات، ويدخل في ذلك أقوالهم وأفعالهم دخولاً أولياً اعتراض تذييلي مقدر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بمجازاتهم على ما صدر منهم»[401].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى الإخبار بأنَّ محمداً ﷺ قال لأهل مكة: إنَّ الله

(٤٠١) روح المعاني ج١٧/ص١٤.

تعالى يعلم القول في السماوات والأرض.

في حين أفادت القراءة الثانية معنى الأمر من الله تعالى لمحمد ﷺ بأن يقولَ لأهلِ مكةَ: إنَّ الله تعالى يعلمُ القولَ في السماوات والأرض.

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: «اختلفت القراء في قراءة قوله **(قُلْ رَبِّي)** فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين **(قُلْ رَبِّي)** على وجه الأمر، وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة **(قَالَ رَبِّي)** على وجه الخبر.

وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون): ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه من شيء، وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه وباطل ما تقولون، وغير ذلك من الأشياء كلها، وكأن الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد: ربي يعلم القول خبراً من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنَّهما قراءتان مشهورتان في قَرَأةِ الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القُرَّاء وجاءت بهما مصاحفُ المسلمين متَّفقَتا المعنى، وذلك أنَّ الله إذا أرادَ محمداً بقيلِ ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيِّهما قرأ القارىءُ فمُصيبٌ الصوابَ في قراءته»(٤٠٢).

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ الله ـ عز وجل ـ أمرَ محمداً ﷺ أن يقولَ لأهل مكةَ بأنَّ الله تعالى يعلم القولَ في السماوات والأرض، وهو السميع العليم؛ فهو يعلم سرَّهم ونجواهم، ويعلم ما هو أخفى من ذلك في السماوات والأرض، وقد أمتثل النبي ﷺ لأمرِ الله تعالى فقالَ ما أمره الله تعالى بقوله، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ

(٤٠٢) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص٥.

﴿ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله(٤٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وحى: الوَحْيُ: الإشارةُ والكتابةُ والرِّسالةُ والإلهامُ والكلامُ الخَفِيُّ وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك(٤٠٤).

الوَحْيُ: «بالفتح مصدر: كل ما ألقيته إلى غيرك لتعلمه كيف كان، ثم غلب في ما يُلْقَى إلى الأنبياء من عنده ـ ﷻ ـ وقد يُطلق ويُراد به اسم المفعول منه، أي الموحَى، وقيل: الوحيُ إعلامٌ في خفاء. وشرعاً: كلام الله تعالى المنزل على نبيّ من أنبيائه»(٤٠٥).

ثالثاً: التفسير:

يرُدُّ الله تعالى على كفّار مكة الذين أنكروا إرسال محمد ﷺ لكونه بشراً مثلهم ولم يكن مَلَكاً، فيأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب ليتأكدوا أنَّ الله ـ ﷻ ـ لم يرسل قبله إلاّ بشراً يوحي إليهم، وما أرسل ملائكةً قط.

يقول البغوي ـ رحمه الله ـ في قوله ـ ﷻ ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾: «هذا جواب لقولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ يعني: إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين، إنما أرسلنا رجالاً نوحي إليهم، ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب؛ فإنهم لا ينكرون أنَّ الرسل كانوا بشراً، وإنْ أنكروا نبوةَ

(٤٠٣) انظر: النشر ج٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.

(٤٠٤) لسان العرب ج١٥/ص٤٤٣

(٤٠٥) الوافي ص ٦٩٦.

محمدٍ ﷺ، وأَمَرَ المشركين بمسألتهم لأنَّهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به»[٤٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أنَّ الموحي هو الله تبارك وتعالى.

في حين أفادت القراءة الثانية ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ أنَّ المُوحَى إليهم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قوله تعالى ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ يقرأ بالنون وكسر الحاء، وبالياء وفتحها فالحجة لمن قرأ بالياء أنه أراد بذلك من شَكَّ في نبوةِ محمدٍ ﷺ وكفرَ به وقال هلَّا كان مَلَكاً فأمرهم الله أن يسألوا أهل الكتب هل كانت الرسل إلا رجالاً يوحَى إليهم، والحجَّة لمن قرأه بالنون أنَّه أراد أنَّ الله تعالى أخبرَ به عن نفسه وردَّه على قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ ليكون الكلام من وجهٍ واحدٍ فيوافقُ بعضُه بعضاً»[٤٠٧].

بالجمع بين القراءتين يُعلم أنَّ جميع الرُّسل الذين اصطفاهم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالوحي والرسالات السماويةِ كانوا بشراً يُوحَى إليهم، وأنَّ الله تعالى بعظمته وجلاله يُخبِرُ عن نفسه بأنَّه هُو الذي يوحِي إليهم، ممّا يزيد رسالاتهم شرفاً وعظمةً وقُدسيّة، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُوحَى إِلَيْهِ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ

---

(٤٠٦) تفسير البغوي ج٥/ص٣١١.

(٤٠٧) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٨.

فاعله[٤٠٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:[٤٠٩].

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ مؤكداً له أنَّ الرسالات السماوية كانت جميعها تثبت وحدانية الله ﷻ.

يقول الطبري - رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنّه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي، ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ يقول: فأخلِصوا لي العبادة، وأفرِدوا لي الألوهية»[٤١٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (**نُوحِي إِلَيۡهِ**) أنَّ الموحي للرسل هو الله تبارك وتعالى بعظمته وجلاله.

في حين أفادت القراءة الثانية (**يُوحَى إِلَيۡهِ**) أنَّ المُوحَى إليه هو أيُّ رسولٍ أرسله الله تعالى من قبل محمد ﷺ.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾: «قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (**نُوحِي إِلَيۡهِ**) بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله: (**وَمَا أَرۡسَلۡنَا**) وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول»[٤١١].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ الله تعالى لم يرسل رسولاً قط بغير رسالة التوحيد، حيث كان كلُّ واحدٍ من الرسل الكرام يوحَى إليه من الله

---

(٤٠٨) انظر: النشر ج٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.
(٤٠٩) انظر: المعنى اللغوي للموضع السابق ص١٤٦.
(٤١٠) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص١٩.
(٤١١) تفسير البغوي ج ٥/ ص٣١٥.

ـ ﷻ ـ وحدانية الله، واستحقاقه بمفرده التوحيد والعبادة، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (**أَلَمْ يَرَ**) بغير واو.

٢ ـ وقرأ الباقون (**أَوَلَمْ يَرَ**) بالواو[٤١٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رأى: (الرُّؤيةُ) بالعَين تتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العلم تتعدَّى إلى مفعولين»[٤١٣].

ثالثاً: التفسير:

يُنْكِرُ الله تعالى على الكفارِ عَدَمَ تفكُّرِهم في كيفيةِ خَلْقِ السماواتِ والأرضِ.

يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا**): «الهمزة للإنكار والواو للعطف على المقدر والرؤية هي القلبية: أي ألم يتفكروا أو لم يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾»[٤١٤].

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الجاحدون لألوهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقلُ بالخلقِ المستبدُ بالتدبيرِ فكيف يليقُ أن يُعبَدَ معهُ غيرُه أو يُشرَكَ به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي كان الجميع متصلاً بعضُه ببعضٍ متلاصقٌ متراكمٌ بعضُه فوق بعضٍ في ابتداءِ الأمرِ ففَتَق

---

(٤١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

(٤١٣) مختار الصحاح ص٢٦٧.

(٤١٤) فتح القدير ص١١٣٠.

هذهِ من هذهِ فجعلَ السماواتِ سبعاً والأرضَ سبعاً، وفَصَلَ بين السماءِ الدنيا والأرضِ بالهواءِ، فأمطرت السماء وأنبتت الأرضُ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدُثُ شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كلّه دليلٌ على وجودِ الصانعِ الفاعلِ المختارِ القادرِ على ما يشاء»(٤١٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (**أَلَمْ يَرَ**) بغير واو وأنَّ الكلام مُسْتأنَفٌ بمعنى الوعظ والتذكير لأولئك الكفرة الذين عبدوا غير الله ﷻ.

يقول ابن زنجلة - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قرأ ابن كثير ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بغير واو وكذا مكتوب في مصاحفهم بغير واو، وقرأ الباقون بالواو، والواو عطف على ما قبلها كما قال (أَوَلَمْ يَأْتِهِم) [طه: ١٣٣] ومن أسقط الواو لم يجعله نسقاً، لكنه جعله ابتداء كلام في معنى وعظ وتذكير»(٤١٦).

كما أفادت القراءة الثانية (**أَوَلَمْ يَرَ**) بواو العطف استنكار عدم علمهم الحق وعدم رؤيتهم دلائل قدرة الله تعالى في الكون.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قرأ الجمهور (**أَوَلَمْ**) بواو بعد الهمزة، وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول، وما فيه من العجائب. وقرأ ابن كثير (**أَلَمْ يَرَ**) بدون واو عطف. **قال أبو شامة**: ولم تثبت الواو في مصاحف أهل مكة. قلت: معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة؛ فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير، وأهملت غير قراءته والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر، والرؤية تحتمل أنْ تكون بصرية، وأن تكون علمية. والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كلتيهما لأن إهمالَ النظرِ في المشاهداتِ الدّالةِ على علمِ ما يُنْقِذُ

(٤١٥) تفسير ابن كثير ج٣ / ص٢٣٨.
(٤١٦) حجة القراءات ص ٤٦٧.

علمُهُ من التَّورُّطِ في العقائدِ الضالةِ حَقِيقٌ بالإنكار، وإنكارُ إعمالِ الفكرِ في دلالةِ الأشياءِ على لوازِمِها حتى لا يقعَ أحَدٌ في الضلالِ جديرٌ أيضاً بالإنكارِ، أو بالتقريرِ المشوبِ بإنكارٍ»(٤١٧).

كما يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولمَّا أنكرَ سبحانهُ اتخاذَهم آلهةً من دونهِ تارةً بقيدِ كونها أرضيةً، وتارةً بقيد كونها سماوية، وتارةً مطلَقة، لِتعُمَّ كلاً من القسمين وغيرهما، واستدلَّ على ذلك كلّه بما لم تبقَ معه شبهة، فدلَّ تفرُّده على أنَّه لا مانعَ له ممَّا يريدُ من بَعْثٍ ولا غيره، وكانَ علمُهم لا يَتجاوزُ ما في السماوات والأرض، قال مُسْتدِلاً على ذلك أيضاً مقرِّراً بما يعلمونَه، أوْ ينبغي أن يَسألوا عنه حتى يَعلموه لتَمكُّنِهم من ذلك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، جالياً له في أسلوبِ العظمةِ: **(أَوَلَمْ)** أي ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا من أدلَّته ولم يَرَوا، ولكنّه أظهرُ للدلالةِ على أنّهم يُغَطُّون أنوارَ الدلائل عِناداً فقال: **(يَرَ)** أي يعلمُ علماً هو كالمشاهدة، **(ٱلَّذِينَ كَفَرُوا)** أي ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدَّى ذلك إلى الاستهانة والتَنَقُّصِ فصارَ ذنبهم غير مغفور، وسعيهم غير مشكورٍ، وحذف ابن كثيرٍ الواو العاطفة على ما قدَّرته ممّا هدى إليه السياقُ أيضاً، لا للاستفهام بما دلَّ عليه ختام الآية التي قبلُ من البعث والجزاء المقتضي للإنكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءتِهِ: نجزي كلَّ ظالم بعد البعث، ألم يرَ المُنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلائق، وإنّما أنكر عليهم عدم الرؤيةِ بسبب أنَّ الأجسام وإن تباينت لا يَنفصلُ بعضها عن بعضٍ إلاّ بقادرٍ يفصلُ بينها، فمن البديهي الاستحالةُ أن يرتفعَ شيءٌ منها عن الآخرِ منفصلاً عنه بغيرِ رافعٍ لا سيَّما إذا كان المرتفعُ ثابتاً من غيرِ عماد، فكيف وهو عظيمُ الجسم كبيرُ الجرم؟ وذلك دالٌّ على تمام القدرةِ والاختيارِ والتَّنزُّهِ عن كلِّ شائبةِ نقَصٍ من مُكافِئٍ وغيرِه، فَصَحَّ الإنكارُ عليهم في عدمِ علمِ ذلك بسببِ أنَّهم عملوا بخلافِ ما يعلمونه»(٤١٨).

---

(٤١٧) التحرير والتنوير ج١٧/ص٥٢، ٥٣.

(٤١٨) نظم الدرر ج٥/ص٧٩.

بالجمع بين القراءتين يتبيّنُ أنَّ في الآية استفهاماً استنكارياً حيثُ يستنكرُ الله ـ ﷻ ـ على الذين كفروا عدمَ رؤيتهم البصريَّة والقلبية لعظيم خلقِ السماوات والأرض، وما توحيان به من دلائلِ قدرةِ الله تعالى على الخلقِ والبعث، كما أنَّ فيها وعظاً وتذكيراً لهم بما ينبغي لهم أنْ يعلموه علماً كالمشاهدة في كونها يقيناً لا يُداخله أدنى شكٍّ في قدرةِ الله على الخلقِ، والتي يتجلَّى وضوحُها في خلق السماوات والأرض، مما يُثبِتُ تنزيهَ الله ـ تعالى ـ عن الشريكِ والولد، وتفرُّده بالألوهيةِ والعبودية، والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ وقرأ يعقوب ﴿وَإِلَيْنَا تَرْجِعون﴾ على الخطاب المبني للمعلوم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وإلينا تُرْجَعون﴾ على الخطاب المبني للمجهول(٤١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: «رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨] أي: الرُّجوعَ»(٤٢٠).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله تعالى: إنَّ كلَّ نفسٍ لا بدَّ لها أنْ تموتَ، وهي موجودةٌ في هذه الحياة يختبرها الله ـ تعالى ـ بالبلايا والنعم ابتلاءً؛ ليعلم من يصبر، ومن يشكر، ثم إلى الله ـ تعالى ـ المرجع والمصير.

---

(٤١٩) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١١.
(٤٢٠) لسان العرب ج ٨ / ص ١٣٥.

يقول البيضاوي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها وهو برهان على ما أنكروه ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه، ﴿وإلينا تُرجَعون﴾ فنجازيكم بحسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق»(٤٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وأفادت القراءة الثانية ﴿وإلينا تَرْجِعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمعلوم أي: إنكم تَرجعون بأنفسكم بلا تدَخُّلِ الغير، وفي ذلك إشارة إلى وعدٍ للمؤمنين، ووعيد لغيرهم.

أما القراءة الثالثة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمفعول فقد أفادت أنَّ هناك قوَّةً خارجةً عن الإرادة تدفع بالرجوع إليه سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى وعيدٍ محضٍ للكفار.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «(ونَبْلُوكُم) الخطابُ إمَّا للناسِ كافةً بطريقِ التلوينِ، أو للكفرةِ بطريقِ الالتفاتِ، أى: نعاملُكُم معاملةَ من (يَبْلُوكُم) بالشرِّ والخيرِ بالبلايا والنعم، هل تَصبرون وتَشكرون أو لا، (فِتْنَة) مصدرٌ مؤكِّدٌ (لنبْلُوكُم) من غيرِ لفظِه، (وإليْنَا تُرجَعون) لا إلى غيرنا ـ لا استقلالاً ولا اشتراكاً ـ فنجازيكُم بحسَبما يظهرُ منْكُم من الأعمالِ فهو على الأولِ وعدٌ ووعيدٌ، وعلى الثاني وعيدٌ محض، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ المقصودَ من هذه الحياةِ الدنيا الابتلاءُ والتعريضُ للثوابِ والعقابِ، وقرىء (يُرجَعون) بالياءِ على الالتفات»(٤٢٢).

ويقول الشعراوي(٤٢٣)**ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ**: «وقوله تعالى: (وإليه ترجعون) **تُقرأ**

---

(٤٢١) تفسير البيضاوي ص٤٤١ (بتصرف بسيط).

(٤٢٢) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٣٥.

(٤٢٣) هو محمد متولي الشعراوي، السيد الشريف أبو سامي، الحسيني نسباً؛ حيث ينتهي=

قراءتان: بضمةٍ على التاء مرة، وبفتحةٍ على التاء:

الأولى (تُرجَعون): معناها أننا نُجْبَرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ بإرادتنا، وهذا ينطبقُ على الكفار الذين يتمنّون عدم الرجوع إلى الله.

أما القراءة الثانية (تَرجِعون) ففيها إرادة. وهي تنطبق على المؤمنين، لأنَّهم يتمنَّون الرجوع إلى الله تعالى»[٤٢٤].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ المؤمنين يَرجِعون إلى الله ـ تعالى ـ مُحِبِّين لقاءه ويكون رجوعهم بإرادتهم، أمّا الكفار فإنَّهم يُجْبَرون على الرجوع، سَواءَ أَحَبُّوا لقاء الله أم كرِهوا، وسيُبعَثون بعد الموت للحساب والجزاء، لذا ففي الآيةِ تحذيرٌ للناس عامة وللكفار خاصّة، والله أعلم[٤٢٥].

٦ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بالتاء مضمومة وكسر الميم ونصب (الصمَّ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّم)[٤٢٦].

= نسب والدته حبيبة من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن علي ـ كرم الله وجهه ـ، والشعراوي نسبة إلى مضيق في السعودية اسمه مضيق الشعراوي كان أجداده قد قدموا منه فنسبوا إليه، وهو عالم معاصر جليل، ومفسر مشهور. انظر: من القرية إلى العالمية ص٧ ـ ٨، والشعراوي . . .أنا من سلالة البيت ص١٠، ومنهج الشعراوي في التفسير ص ٤٠.

(٤٢٤) انظر: تفسير الشعراوي ج١/ص٢٢٨.

(٤٢٥) انظر: رسالة ماجستير الملاحي ص ٧١.

(٤٢٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الصَّمَمُ: انْسِدادُ الأُذن وثِقَلُ السمع... الصُّمُّ: جَمْعُ الأَصَمِّ وهو الذي لا يَسْمَعُ وأَراد به الذي لا يَهْتَدي ولا يَقْبَلُ الحَقَّ، من صَمَمِ العَقل لا صَمَمِ الأُذن(٤٢٧).

ثالثاً: التفسير:

يأمرُ الله ـ تعالى ـ سيدنا محمداً ﷺ أنْ يقول للكفار الذين طلبوا منه أنْ يأتي بآية مثل الرسل السابقين، فيخبرهم أنَّه إنَّما يُنذرهم ويخوِّفهم بالوحي، وإنَّ من لا يَتَّعظُ بالذكر والدعاء فهو في منزلة الأصم الذي لا يسمع، وإنما سَمَّاهم (الصمّ) ووضعَه موضعَ ضميرهم للدلالة على تصامِّهم وعدم انتفاعِهم بما يسمعون. والتقييد بـ(إِذَا مَا يُنذَرُونَ) لأن الكلامَ في الإِنذار أو للَمبالغة في تصامِّهم وتجاسُرِهم(٤٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّم﴾ أنَّ محمداً ﷺ لا يستطيع أنْ يُسمعَ الصمَّ الدعاء، بمعنى أنَّك يا محمد لا تُسمع الصمَّ الدعاء.

يقول ابن زنجلة ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ:** «قرأ ابن عامر (ولا تُسمِعُ) بالتاء مضمومة (الصُّمَّ) نصباً، أي أنت يا محمد لا تقدِر أنْ تُسمع الصمَّ، كما قال سبحانه ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والصمّ ها هنا المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله فهم بمنزلةِ من لا يَسمع»(٤٢٩).

أما القراءة الثانية ـ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّم) ـ فقد أفادت أنَّ الصُّمّ لا يسمعون الدعاء إذا ما يُنذَرون، بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوع على أنه فاعل (يَسمع).

(٤٢٧) انظر: لسان العرب ج ١٢ /ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٤٢٨) انظر: تفسير البيضاوي ص ٤٤٢.
(٤٢٩) حجة القراءات ص٤٦٧.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في معنى هذه القراءة: «ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافرُ بالله بسمعِ قلبه إلى تَذكُّرِ ما في وحي الله من المواعظِ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلالةٍ إذا تلِيَ عليه، وأُريدَ به: ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الأصمّ الذي لا يَسمع ما يقالُ له فيعمل به»[430].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ الكافرَ بالله لا يُصْغِي بسمع قلبه إلى الذِّكرِ، فيتَّعظَ بما جاء فيه، ويقلع عن ضلالته، لكنَّه في حكم الأصمّ الذي لا يَسمَعُ الدُّعاء؛ لهذا فإنك يا محمد لن تُسْمِعَ أولئك الكفرةَ الدعاءَ في حالِ إنذارِكَ لهم؛ لأنَّهم بمنزلةِ الصُّمّ الذين لا يسمعون، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام[431].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مِثقالُ الشيءِ: ما آذَنَ وَزْنَهُ فَثَقُلَ ثِقَلَه... والمثقالُ: وَزْنٌ معلومٌ قَدْرُه... والمِثْقالُ في الأصلِ: مقدارٌ من الوزنِ أيَّ شيءٍ كانَ من قليلٍ أو كثيرٍ، فمعنى مِثْقالَ ذرَّةٍ: وزنَ ذرّة[432].

---

(٤٣٠) تفسير الطبري مج٩/ ج١٧/ص٣٨.

(٤٣١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٣٢) لسان العرب ج ١١/ ص ١٠٣.

ويقول الشوكاني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ومثقالُ الشيءِ ميزانُه: أي وإنْ كانَ في غايةِ الخِفَّةِ والحقارةِ؛ فإنَّ حبةَ الخردلِ[٤٣٣] مثلٌ في الصِّغَر»[٤٣٤].

ثالثاً: التفسير:

يصفُ الله تعالى موقفاً من مواقف يوم القيامة، وهو موقف الحسابِ حين توضَعُ الموازينُ العادلةُ لوزنِ أعمال العباد من حسناتٍ وسيئات، حيثُ لا تُظلَمُ نفسٌ في مقدارِ حبةٍ من خردلٍ من عملها، وكفى بالله مُحاسباً للعبادِ على أعمالهم لأنه أعلمُ بها.

يقولُ الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكرُه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ العدلَ وهو (القِسْطَ) وجعلَ القسطَ وهو موَحَّدٌ من نَعتِ الموازين، وهو جَمْعٌ لأنَّه في مَذهبِ عَدلٍ ورِضا ونَظَر. وقولُه ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: لأهلِ يومِ القيامة، ومن وَرَدَ على الله في ذلكَ اليوم من خَلقِه، وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ مَعنَى ذلكَ إلى (في) كأنَّ معناهُ عندَه: ونَضَعُ الموازينَ القسطَ في يومِ القيامة، وقوله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ يقول: فلا يَظلِمُ الله نفساً ممَّن وَرَدَ عليهِ منهُم شيئاً بأنْ يعاقِبَه بذنبٍ لم يعملْه أو يبخسه ثوابَ عملٍ عمله، وطاعة أطاعَه بها، ولكنْ يُجازي المحسنَ بإحسانه، ولا يعاقبُ مسيئاً إلا بإساءته. . . وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

---

(٤٣٣) الخردل: حبوب دقيقة كحَبّ السمسم هي بزور شجر يسمى عند العرب الخَردل. واسمه في علم النبات (سينَابيس)، وهو صنفان: برّي، وبستاني. وينبت في الهند، ومصر، وأوروبا. وشجرته ذات ساق دقيقة ينتهي ارتفاعها إلى نحو متر. وأوراقها كبيرة. يُخرج أزهاراً صُفراً منها تتكون بزوره إذْ تخرج في مزادات صغيرة مملوءة من هذا الحب، تخرج خضراء ثم تصير سوداء مثل الخرنوب الصغير. وإذا دُقّ هذا الحب ظهرت منه رائحة معطّرة، إذا قُربت من الأنف شماً دَمعت العينان، وإذا وضع معجونها على الجلد أحدث فيه بعد هنيهة لذعاً وحرارة، ثم لا يستطيع الجلد تحملها طويلاً ويترك موضعه من الجلد شديد الحمرة؛ لتجمُّع الدم بظاهر الجلد، ولذلك يجعل معجونُه بالماء دَواء يوضع على المحل المصاب باحتقان الدم. انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٨٦.

(٤٣٤) فتح القدير ص١١٣٥.

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ يقول: وإن كان الذي مَن عمل الحسنات، أو عليه من السيئاتِ وزن حبةٍ من خردلٍ أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه . . . وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ يقول: وحسبُ من شَهِدَ ذلك الموقفِ بنا حاسبين، لأنَّهُ لا أحدَ أعلمُ بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالحٍ أو سيءٍ منّا»(٤٣٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ـ ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام ـ أنَّ الموازين العادلة تُقامُ يوم القيامةِ حتى إذا وقعت أو وُجِدت حبَّةٌ في غايةِ الصِّغرِ فإنَّ الله ـ تعالى ـ يأتي بها فلا تُظلَمُ نفسٌ شيئاً.

أما القراءة الثانية ـ ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام ـ فقد أفادت الدِّقَّةَ والعدلَ في الحساب، حتى ولو كان في مثل حبة الخردل، فلا تنقَصُ الحسناتُ شيئاً، وإن قلّ، ولا تزيدُ السيئاتُ شيئاً ولو كان في غايةِ الصِّغَر.

يقول البغوي ـ رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: «قرأ أهلُ المدينةِ: (مِثْقالُ) برفع اللام هاهنا، وفي سورة لقمان، أي: وإنْ وَقَعَ مِثقالُ حَبَّةٍ، ونَصَبَها الآخَرون على معنى: وإن كانَ ذلكَ الشيءُ مثقالَ حبةٍ، أي زنةُ حبةٍ من خردل»(٤٣٦).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الموازينَ العادلةَ التي تُنْصَبُ للحسابِ يوم القيامة هي من الدقَّةِ بحيثُ تَزِنُ أدقَّ الأشياءِ، وأصغرها، وأحقرها، حتى وإنْ وقعَ أو وُجِدَ لنفس مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ فإنَّ الله ـ تعالى ـ يأتي بها ويُجازي عليها، سواءَ أكانت خيراً أو كانت شرًّا، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

---

(٤٣٥) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص٣٩.

(٤٣٦) تفسير البغوي ج٥ ـ ص٣٢١.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ قنبل عن ابن كثير ﴿وَضِئَاءً﴾ بهمزتين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَضِيَآءً﴾ بهمزة واحدة[٤٣٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ض و أ: «الضَّوْءُ والضُّوءُ بالضم الضِياءُ وضاءَتِ النار تضوء ضَوْءاً وضُوءاً وأضَاءَتْ أيضاً وأضاءت غيرها يتعدى يلزم»[٤٣٨].

معنى (وضياء): أنَّهم استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية[٤٣٩].

ثالثاً: التفسير:

يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ولقد آتينا موسى وهارون عليهما السلام ما انتصروا به على فرعون، وما فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطل، وما استضاءوا به في ظلماتِ الجهلِ والضلالِ تذكيراً للمتقين.

يقول البغوي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ «يعني الكتاب المفرّق بين الحقِّ والباطلِ وهو التوراة، وقيل الفرقان النصر على الأعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يعني يوم بدرٍ لأنَّه قالَ: (وضِيَاءً) أَدْخلَ الواو فيه، أي: آتينا موسَى النَّصرَ والضياءَ وهو التوراة. ومن قال: المرادُ بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: (وضياء) زائدةٌ مقحمةٌ معناه آتيناه التوراةَ ضياءً، وقيل: هو صفةٌ أخرى للتوراة (وذكراً) تذكيراً (للمتقين)»[٤٤٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (وَضِئَاءً) بهمزتين ثِقَلَ ما حوته التوراة وحملته

(٤٣٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٣٨) مختار الصحاح ص ٤٠٣.

(٤٣٩) انظر: فتح القدير ص١١٣٥.

(٤٤٠) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٢٢ (بتصرف).

لقوم موسى عليه السلام من تعاليم وذكر، فإنَّ هذه البيِّنات التي اشتملت عليها هي في غايةِ الشِّدَّةِ والثِّقَلِ على قلوب الكافرين الذين عبدوا العجلَ؛ وذلك أنَّ الهمزةَ حرفٌ شديدٌ مُسْتَثْقَلٌ، وهي تدُلُّ على ما فيه ثِقَلٌ وشِدَّة[441].

في حين أنَّ القراءة الثانية (وضِيَاءً) بهمزةٍ واحدةٍ ناسبت أنَّ في التوراةِ ما يُضيءُ الظلامَ للمؤمنين المتَّقين، حيثُ يجدون فيها الذِّكر الذي يَتَّبعونه ليفوزوا بالنجاةِ في الدارين.

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ الله ـ تعالى ـ آتى موسى وهارون عليهما السلام التوراة فيها بيِّناتٌ تُضيءُ الظلامَ للمؤمنين؛ ليهتدوا بنورها، فتُسَهِّل لهم الفوزَ، والنَّجاةَ، لكنَّها ثقيلةٌ شديدةٌ على عقولِ الكافرين وعلى قلوبِهم، الذين صَمُّوا وعموا عنها، فلم يفقهوها، فكانَ عقابُهم شديداً، والله أعلم.

٩ـ قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي ﴿جِذاذاً﴾ بكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿جُذَاذًا﴾ بضمِّ الجيم[442].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الجَذُّ: الإِسْرَاع، الجَذُّ: القَطْعُ المُستَأْصِل، الجَذُّ: الكَسْرُ، وفي المحكم: كسرُ الشيْءِ الصُّلْبِ، الجُذَاذ بالضَمِّ: حِجَارَةُ الذَّهَبِ لأَنها تُكَسَّر[443].

«(جُذاذاً): حطاماً، جِذاذاً: قطعاً مقطوعة... هو أن يأخذ من كلّ عضوين عضواً، ويدع عضواً: من الجذ وهو القطع»[444].

---

(٤٤١) انظر: شرح المفصّل ج٩/ص١٠٧.
(٤٤٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.
(٤٤٣) انظر: تاج العروس ج ٢ /ص ٥٥٥، وكتاب العين ج٦/ص١١.
(٤٤٤) تفسير القرآن ص ٣٣٨.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية ما فعله إبراهيمُ عليه السلام بالآلهة التي كان يعبدها قومُهُ من دون الله، حيثُ اغتنم فرصةَ انشغالهم بعيدهم، وجاء بفأس، وأخذَ يُحطِّمُها حتى تركها كالهشيم، وأبقى على كبير الأصنامِ، فعلَّقَ الفأسَ في عنُقه؛ رجاءَ أنْ يرجِعوا إليه فيُحاجِجَهم، أو يرجِعوا إلى كبيرهم، فيعلموا عجزَه وتقصيرَه، فيرجعوا إلى دينه عليه السلام، فيعبدوا الله عز وجل.

يقولُ البغوي - رحمه الله - في تفسير الآية: «﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قرأ الكسائيُّ: (جِذاذاً) بكسر الجيم أي: كسراً وقِطَعاً جَمعُ جَذيذٍ، وهو الهشيمُ مثلُ خَفيفٍ وخُفاف، وقرأ الآخرون بِضَمِّه، مثلُ الحُطامُ والرُّفات، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ فإنَّه لم يكْسِرْه، وَوَضَعَ الفأسَ في عُنُقه، وقيلَ: رَبَطَهُ بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضُها من ذَهبٍ وبَعضُها من فضّة وبعضُها من حديدٍ ورصاص وشَبّة وخشب وحَجر، وكانَ الصّنمُ الكبيرُ من الذَّهبِ مكَلّلاً بالجَواهِرِ في عينيه ياقوتَتان تَتَّقِدان. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قيلَ: معناهُ لعلَّهم يَرْجُعون إلى دِينِهِ وإلى ما يدعوهُم إليه، إذا عَلِموا ضَعْفَ الآلهةِ، وعَجزَها، وقيل: لعلَّهم إليه يرجِعون، فيسألونه»(٤٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (جِذَاذاً) أنَّ إبراهيمَ عليه السلام جعل آلهتهم قِطَعاً مقَطَّعة فكان يأخذ من كلّ عضوين من أعضاء الأصنام عضواً ويترك عضواً.

في حين أفادت القراءة الثانية (جُذَاذاً) بضمِّ الجيم أنَّ الآلهةَ التي استأصلها إبراهيمُ عليه السلام أصبحت مُقَطَّعةً بلا أصلٍ لها بفعلِ فأسه فيها والتي كانَ مُعظمها من الذَّهبِ والفضة - وذلك أنَّ حجارةَ الذَّهبِ تُسمَّى جُذاذاً بضمِّ الجيم وكذلك حجارةُ الفضة الصغيرة كما جاء في تاج العروس في المعنى اللغوي لهذا الموضع - قد جعل القطع التي استأصلها حُطاماً.

---

(٤٤٥) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٤، وانظر: التفسير القرآني للقرآن مج٥/ ج١٧/ ص ٩١٣ - ٩١٤.

وقد ذكر الماوردي في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ وجهين:

أحدهما: حُطاماً وهو تأويل من قرأ بالضم.

والثاني: قطعاً مقطوعة، وهو أن يأخذَ من كلِّ عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر، مأخوذٌ من الجذّ وهو القطع(٤٤٦).

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام قطَّع الآلهة التي كانت من المعادن الثمينة حيث كان غالبيَّتها من الذَّهبِ والفضة، فكان يأخذُ مُسرعاً من كلِّ عضوين من أعضاء الآلهة عضواً ويترك عضواً، ثُمَّ إنَّه بالغَ في تكسيرها وتقطيعها حتى جعلها قطعاً صغيرةً كالهشيمِ فلم يُبْقِ لها أصلاً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلُوهُم﴾ بالنقل(٤٤٧).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ بغير نقل(٤٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سأل: «س أ ل: السُؤْلُ ما يسأله الإنسان»(٤٤٩).

«سَأَلْتُ: أَسْأَل، وسَلْتُ: أَسَلُ، والرَّجُلانِ يَتَساءَلانِ ويَتَسايَلانِ، وجمع

(٤٤٦) انظر: تفسير الماوردي ج٣/ ص٤٥١، مجاز القرآن ج٢ /ص٤٠، وغريب القرآن ص٢٥٥.

(٤٤٧) هو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، فيتحرَّك ذلك الساكن بحركة الهمزة، وتسقط من اللفظ لسكونها، وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد، لغةً لبعض العرب. انظر: النشر ج١/ص٤٠٨.

(٤٤٨) انظر: المرجع السابق ج١/ص٤١٤، ج٢/ص٣٢٤.

(٤٤٩) مختار الصحاح ص٣٢٦.

المَسْأَلة مَسائِلُ بالهمز، فإذا حذفوا الهمزة قالوا مَسَلَةٌ، وتَساءلوا: سَأَل بعضُهم بعضاً»[450].

ثالثاً: التفسير:

يُجيبُ إبراهيم عليه السلام على سؤال قومه له إن كان هو الذي حطَّم الآلهة أم لا فيقول: لعلَّ الذي حطَّمها هو كبير الآلهة غضباً منها أنْ تُعبَدَ معه فاسألوهم إذا أمكنهم النطق.

يقول «فلما أتوا به، ﴿قَالُوٓاْ﴾ له ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾؟: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ حتى يخبروا من فعل ذلك بهم»[451].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿فَسَلُوهُم﴾ بالنقل السرعة والإشارة عليهم بتجاوز العقبات والصعوبات لمعرفة الفاعل الحقيقي والإسراع بسؤال كبير الآلهِةِ وحاشيته المُحَطَّمة.

وأفادت القراءة الثانية ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ من غير نقلٍ والإشارة عليهم بالتدقيق في سؤال الآلهة لمعرفة الفاعل.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ تهكُّماً بهم وتعريضاً بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للآلهية. وشمل ضمير ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ جميع الأصنام ما تحطم منها وما بقي قائماً. والقوم وإن علموا أنَّ الأصنام لم تكن تتكلم من قبل إلا أنَّ إبراهيم أراد أنْ يقنعهم

---

(٤٥٠) لسان العرب ج١١/ص٣٨٠.

(٤٥١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٥.

بأنَّ حدثاً عظيماً مثل هذا يوجب أنْ ينطقوا بتعيين من فعلَه بهم»[٤٥٢].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ إبراهيم عليه السلام يُقيمُ الحجَّة على قومه بإجابته على سؤالهم بالإشارة عليهم بالإسراع بسؤال الآلهة والتدقيق في سؤالها، فلعلَّ كبير الآلهة غضبَ من كونها تُعبَدُ معه فقام بتحطيمها واستئصالها، وهذا أمرٌ عظيمٌ يستوجبُ أن تكون عالمةً به لكونها آلهة، ولكنَّ عدم إمكانية نطقها يضعُ العقبات أمام معرفة الفاعل، وحيثُ إنَّها عاجزةٌ عن النُّطق وعن الدفاع عن نفسها أمام ما وقع لها، فهي لا تستحقُ العبادة، وإنَّما الذي يستحقُها هو الخالق الموجِدُ لكلِّ المخلوقات، والذي يستحقُّ التفردَ بالألوهية دونما شريكٍ سبحانه، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب ﴿أُفَّ﴾ بفتح الفاء من غير تنوين.

٢ ـ وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء مع التنوين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء من غير تنوين[٤٥٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**أفف**: الأُفُّ الوَسَخُ الذي حَوْلَ الظُّفُرِ والتُّفُّ الذي فيه، وقيل: الأُفُّ وَسَخُ الأُذُنِ، والتُّفُّ وسَخُ الأظفارِ، يقالُ ذلكَ عندَ اسْتِقْذارِ الشَّيءِ، ثمَّ استُعمِلَ ذلكَ عندَ كلِّ شيءٍ يُضْجَرُ منه، ويُتَأَذَّى به، والأَفَفُ الضَّجَرُ... أُفّ كلمةُ تَضَجُّرٍ»[٤٥٤].

(٤٥٢) التحرير والتنويرج١٧/ص١٠٠، ١٠١.

(٤٥٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٠٦، ٣٢٤.

(٤٥٤) لسان العرب ج ٩/ ص٧ وانظر: الأساس ج٧/ص٣٤٧٥.

«(أُف): اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهية، وبني على حركة لسكون ما قبل آخره، وقرئ بالحركات الثلاث منوناً، وغير منون مثقلاً، فالكسر فيه على أصل البناء، والفتح للتخفيف، والضمّ للاتباع، والتنوين للتنكير، وتركه للتعريف»[455].

ثالثاً: التفسير:

يُظهرُ إبراهيمُ عليه السلام تَضَجُّرَهُ من قومه ومما يعبدونه من دون الله تعالى، ويستنكرُ ويستَقْبحُ منهم تعطيل عقولهم عن التفكُّرِ والتَّدَبُّرِ فيما يعبدون؛ وهو لا يستحقُّ العبادة.

يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالى ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

«تضجّرٌ منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل البيّن، وإظهارُ الاسم الجليلِ في موضع الإضمارِ لمزيدِ استقباحِ ما فعلوا، و(أفًّ) صوتُ المتضجِّر ومعناه: قُبحاً ونتْناً، واللامُ لبيانِ المتأفَّفِ له (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أي: ألا تتفكَّرون فلا تَعقِلون قُبحَ صنيعِكم»[456].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أفَّ) ـ بفتح الفاء من غير تنوين ـ الخِفَّةَ، أي أنَّ إبراهيمَ عليه السلام أظهرَ لهم تَضَجُّراً خفيفاً، حيثُ إنَّ الفتحةَ هي أخفُّ الحركات[457].

كما أفادت القراءة الثانية (أُفٍّ) ـ بكسر الفاء مع التنوين ـ تنكيرُ تَضَجُّرِ إبراهيم وكراهيةَ إبراهيم لهم حيثُ إنَّ إبراهيمَ عليه السلام أظهرَ لهم ولما يعبدون

(٤٥٥) الفريد ج٣/ص ٢٦٨.

(٤٥٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٤٦.

(٤٥٧) انظر: شرح التصريح ج١/ص ٥٨، والموضع الأول من سورة طه ص ٢٩.

من دون الله كراهةً عبَّرَ عنها بكلمةِ (أُفٌ) التي تدلُّ على التنكير؛ لتَدُلَّ على عظيمِ هذه الكراهةِ لهم.

أما القراءة الثالثةِ (أُفِّ) بكسر الفاء من غيرِ تنوين فقد أفادت أنَّ كراهته لهم وتضَجُّرَهُ منهم معروفةٌ، أي الضجرُ والكراهيةُ التي علمتموها.

يقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «(أُفَّ لكم) بفتح الفاء غير منوّنٍ، قرأها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب. والوجه أنّه مبني على الفتح؛ لأنّه اسم سُمِّيَ به الفعلُ، وما كان نحوه فإنّه يُبنَى على الفتح، نحو سُرعانَ ورُويدَ، ومعناه المصدر، لأنَّ المراد التَّكَرُّه والتضَجُّر، وتَركُ التنوين فيه يَدُلُّ على تَعريفِه.

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم (أُفٍّ) بالكسر والتنوين. والوجه أنّه مبنيٌّ أيضاً، لكنّه على الكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين لأجل التنكير والمعنى: كراهةً لكم.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وشعبة عن عاصم (أفِّ) بالكسر من غير تنوين.

والوجه أنّه مبني على الكسر كما ذكرنا، لالتقاء الساكنين، وتُرِكَ تنوينُه لكونه معرفة، ومعناه: الكراهةُ لكم»[458].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تضجَّرَ من قومه لعبادتهم الأصنام، فأظهرَ لهم هذا التضجُّر بكلمةِ (أفّ) التي هيَ أخفُّ كلمةٍ يُعَبَّرُ بها عن التضَجُّرِ، وهم ـ لا شكَّ ـ يعرفونها ويعرفون مدلولها، حيثُ إنَّها معلومةٌ لا تحتاجُ بياناً لها، لكنَّهم لا يعلمون القَدْرَ العظيمَ من التَّضَجُّرِ الذي حوَتْه هذه الكلمةِ الصغيرة، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

(٤٥٨) الموضح ج٢ /ص٨٦٤ (بتصرف).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَيِمَّةً﴾ بتسهيل الهمزة الثانية(٤٥٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإمام: «الإمامُ الذي يُقتدَى به، وجمعه أَئِمَّةٌ»(٤٦٠).

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «الأيمة: جمع إمام وهو القدوة والذي يُعمل كعمله. وأصل الإمام المثال الذي يصنع الشيء على صورته في الخير أو في الشر»(٤٦١).

ثالثاً: التفسير:

يمتدح الله تعالى أنبياءه الذين جعلهم أهل خير وصلاح حيث جعلهم أئمّة يهدون بأمر الله تعالى إلى الخير، ويقيمون الصلاةَ ويؤتون الزكاة، ويعبدون الله تعالى دون غيره.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدى بهم، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به»(٤٦٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين ما يعترض الذين يدعون إلى الله ـ تعالى ـ من صعوباتٍ كثيرة من الكفار الذين يعاندون الرسل

(٤٥٩) انظر: النشر ج١/ص٣٧٨، ج٢/ص٣٢٤.

(٤٦٠) انظر: مختار الصحاح ص٢٠، ولسان العرب ج١٢/ص٢٨.

(٤٦١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٠٩.

(٤٦٢) تفسير ابن كثير ج٣ / ص ٣٢٢.

والدعاة، حيث يصُدُّهم كبرهم وعنادهم عن طريق الهدَى فيصيرون بذلك أعواناً للشيطان في فتنة المؤمنين عن دينهم، وتعذيب الرسل والدعاة، وذلك يوحي به ثِقَلُ النطق بالهمزتين.

يقول مكي بن أبي طالب: «كانوا يُخفّفون المفردة استخفافاً، لثقل الهمزة المفردة، فإذا تكرّرت كان ذلك أعظم ثقلاً، فإذا لزمت كلّ واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشدّ ثقلاً»[٤٦٣].

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَيِمَّةَ﴾ بتسهيل الهمزة الثانية أنَّ الله ـ تعالى ـ يُسَهِّلُ أمر الدّعوة للرسل والأنبياء الذين يدعون إليه ـ تعالى ـ وذلك بعصمته لهم وبتهوين الصعوبات أمامهم وبتسهيل مهمَّتهم وبحبِّهم الخير للناس الذين يدعونهم، وبما يرجونه من رضا الله تعالى.

وقد نقل الرازي عن الجبائي أنَّ الله ـ تعالى ـ وهبهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به[٤٦٤].

يقول الزمخشري: «فيه أنَّ من صَلُحَ ليكونَ قُدوةً في دين الله فالهدايةُ محتومةٌ عليه مأمورٌ هو بها من جِهةِ الله، ليسَ له أنْ يُخِلَّ بها ويتثاقلَ عنها، وأوّل ذلك أنْ يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهُداه أعمّ، والنفوسُ إلى الاقتداءِ بالمَهديّ أمْيَل»[٤٦٥].

بالجمع بين القراءتين يُعلَمُ أنَّ الأنبياءَ هم الصفوةُ المختارةُ من الخلق، وقد وهبهم الله ـ تعالى ـ العصمة والصلاح في أنفسهم، إلى جانب الصبر، وقوة التحمُّل؛ ليكونوا قادرين على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، ومواجهة التحدِّيات، والعقبات التي تعترض طريقهم؛ وذلك حتى تَسْهُلُ مهمَّتهم، فيؤدُّون ما أمرهم الله به على أتمّ وجه، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ

---

(٤٦٣) الكشف ج١/ص٧٠.

(٤٦٤) انظر: تفسير الرازي ج٢٢/ص١٩١.

(٤٦٥) الكشاف ج٢/ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بنون العظمة.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياء على التذكير(٤٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حصن: «الحِصْن المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه وجمعه (حُصُونٌ) و(حَصُنَ) بالضم (حَصَانَةً) فهو (حَصِينٌ) أي منيع ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: (أَحْصَنْتُهُ) و(حَصَّنْتُهُ)»(٤٦٧).

«قُرِئَ لِيُحْصِنَكم ولِتُحْصِنَكم ولنحصنكم فمن قرأَ لِيُحْصِنكم فالتذكير لِلَّبُوس ومن قرأَ لتُحْصِنَكم ذهب إلى الصنعة وإن شئت جعلته للدرع لأَنها هي اللبوسُ وهي مؤنثة ومعنى لِيُحْصِنَكم ليمنعكم ويُحْرِزَكم ومن قرأَ لِنُحْصِنَكم بالنون فمعنى لنُحْصِنَكم نحنُ الفعلُ لله ﷻ»(٤٦٨).

ثالثاً: التفسير:

تبيّن هذه الآية نعمةً أنعمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على داود والمؤمنين معه حيث علَّمه طريقةَ صُنعِ الدروعِ التي تحميهم من بطشِ الأعداءِ بهم في الحرب، وهذه نعمةٌ يستوجبُ شكرَ الله عليها.

يقول البغوي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: «والمرادُ باللبوس هنا الدُّروع لأنها تُلبس، وهو في اللغة اسمٌ لكل ما يُلبس ويُستعمَلُ في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس

(٤٦٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٦٧) المصباح المنير ج١ /ص ١٣٩.

(٤٦٨) لسان العرب ج١٣ /ص١٤٤.

والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح، والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ لتحرزكم وتمنعكم، ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، ... ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول»[٤٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء على التأنيث تفيد أنَّ الصنعة هي التي تمنعهم من بطش العدو بهم وقد تكون الدرع لأنَّها مؤنثة.

أمّا القراءة الثانية ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بنون العظمة فتُخبر به عن الله ﷻ لأنَّه هو المُحَصِّن لا الدرع.

بينما تُبَيِّنُ القراءة الثالثة ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياء على التذكير أنَّ اللبوس هو الذي يحميكم فردّه على لفظ اللبوس لا على معناه، أو أنَّه الله تعالى لأنَّه المُحَصِّنُ حقيقةً وعليه ففي الآية التفاتٌ من الخطاب في ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ إلى الغيبة، بمعنى لِيُحْصِنَكُم الله تعالى.

يقول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء، جعلوا الفعل للّبوس، وقيل: ليُحصِنَكم الله ﷻ»[٤٧٠].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هو المُحَصِّنُ حقيقةً وأنّه علَّمَ داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طريقةَ صنع الدروع التي تجمع بين الخفّة والحصانة ليلبسوها؛ فيحميهم بها من بطش العدو بهم في الحرب والقتال، والله أعلم.

---

(٤٦٩) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥ (بتصرف).

(٤٧٠) تفسير البغوي ج٥/ص٣٣٥. وانظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٥١، الدر المصون ج٥/ص١٠٣، نظم الدّرر ج٥/ص١٠٢، مفاتيح الأغاني ص٢٨١، والحجة في القراءات السبع ص٢٥٠.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بالألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بغير ألف على الإفراد[٤٧١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الرِّيحُ: نَسِيم الهواء وكذلك نَسيم كل شيء وهي مؤنثة. والرِّيحُ واحدة الرِّياح»[٤٧٢].

«والرِّيحُ أيضا: الغلبة والقوة»[٤٧٣].

ثالثاً: التفسير:

سخَّر الله تعالى الرِّيحَ لنبيّه سليمان عليه السلام تجري بأمره حيث يشاء ثمَّ تعود به عاصفةً سريعةَ الهبوب لتعود به إلى منزله بالشام، وكان الله ـ تعالى ـ عالماً أنَّه سيشكره على نِعَمِه.

يقول البغوي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: «أي: وسخرنا لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، وهو جسمٌ لطيفٌ يمتنعُ بلطفهِ من القبضِ عليه، ويظهر للحس بحركته، والريح يذكَّر ويؤنَّث، ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدةَ الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضعٍ آخرَ تجري بأمره رخاءً، والرخاءُ: اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمرِه إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ علمناه، ﴿عَٰلِمِينَ﴾

---

(٤٧١) انظر: النشر ج٢ /ص٢٢٣.

(٤٧٢) انظر: لسان العرب ج٢/ص٥٣٤.

(٤٧٣) مختار الصحاح ص٢٦٧.

بصحة التدبير فيه علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه ﷻ»[٤٧٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعدَّدت أقوال المفسِّرين في استعمالات القرآن لكلٍّ من كلمتَي الرِّيح والرِّياح، فمنهم من اجتهدَ فأصاب الحقيقةَ، ومنهم من نظر لاستعمال القرآن لإحدى الكلمتين في آيةٍ واحدةٍ وأطلق حكماً عامًّاً لاستعمال القرآن لها في غيرها من الآيات فأخطأ في اجتهاده.

وقد قام **الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري** ببحثٍ استقرائيٍّ لاستعمال القرآن لكلٍّ من الرِّيح والرياح وما ورد فيهما من قراءات، ثمَّ استخلص منها أنَّ:

(الرِّيح) استعملت في الرحمة في خمسة عشر موضعاً ثمَّ ذكرَ اسماء السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في اثني عشر موضعاً ثمَّ ذكر أسماء السور التي وردت فيها.

وأنَّ **(الرياح)** استعملت في مواضع الرحمة في ثلاث عشرة آية، وذكر أسماء السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في أربع آيات، وذكر أسماء السور التي وردت فيها ومن ثمَّ قال:

«ونتيجةً لكلِّ هذا أرى أنَّ الذي تطمئنُّ إليه النفس أنَّ:

١ ـ استعمال الريح في مواضع الرحمة مساوٍ لاستعمال الرياح فيها.

٢ ـ استعمال الرّياح في مواضع الرّحمة أكثر من استعمالها في مواضع العذاب.

٣ ـ استعمال الريح في مواضع العذاب مُقاربٌ لاستعمالها في مواضع الرحمة والثاني أكثر.

---

(٤٧٤) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم مج٨/ ص٢٤٥٨ - ٢٤٥٩.

٤ ـ استعمال الرّيح في مواضع العذاب أكثر من استعمال الرّياح فيها»[٤٧٥].

أفادت قراءة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بالألف على الجمع أنَّ هذه الرياح متعددة الأهداف والأغراض، كما أنَّ لها أسماء تختلف باختلاف اتجاهات هبوبها، فهناك الرِّيح التي تهبُّ من الشَّرق والتي تسمَّى: (ريح الصّبا)، وهناك الرياح الموسمية، كما أنَّ هناك غيرها، بالإضافة إلى أنَّها تكون عاصفةً تارةً، وتكون ليِّنةً رخاءً تارةً أخرَى.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وتسخير الريح: تسخيرها لما تصلح له، وهو سير المراكب في البحر. والمراد أنها تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح مُلك سليمان من غزو أو تجارة بقرينة أنها مسخرة لسليمان فلا بد أن تكون سائرة لفائدة الأمة التي هُو مَلِكها»[٤٧٦].

بينما أفادت قراءة ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بغير ألف على الإفراد أنَّ الريح التي سخَّرها الله تعالى لسليمان هيَ جنس الريح مهما تعددت أهدافها وتغيَّرت اتجاهاتها، وهي أيضاً تسيرُ بأمر واحدٍ من البشر سخَّرها الله تعالى له وهو سليمان عليه السلام، كما أفادت هذه القراءة أنَّ هذه الرِّيح المُسَخَّرة لسليمان فيها الغلبةُ والقوَّة له ولجنوده، وأنَّها منقادة له بمجموعها انقياداً كليّاً، وكأنَّها شيءٌ واحدٌ.

جاء في كتاب روح البيان: «فإنَّ تسخير ما سُخِّرَ له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلِّي له، والامتثال بأمره ونهيه، والمقهورية تحت ملكوته، فجيء بلام التمليك»[٤٧٧].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ سخَّر الرِّيحَ لسليمان

(٤٧٥) الريح والرياح ص٥١ ـ ٥٣.
(٤٧٦) التحرير والتنوير ج١٧/ ص١٢٣، ١٢٤. (بتصرف بسيط).
(٤٧٧) روح البيان مج ٥ / ص ٥١٧.

وحده دون غيره من البشر تجري بأمره فهيَ منقادة له انقياداً كلّيّاً تُحقّقُ له كلّ ما أراده منها، وهي وإن كانت متعدِّدة الأغراض والمنافع، ومتعدِّدةَ الاتجاهات التي تهبُّ منها، وكونها عاصفةً أحياناً ورُخاءً أحياناً أخرى، فهيَ واحدةٌ من حيث كونها جنس الرِّياح، وقد سخَّرها الله ـ تعالى ـ لتنفيذ أوامر سليمان عليه السلام وحده من البشر، وهي التي فيها الغلبة والقوّة لسليمان وجنوده على سائر أعدائهم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿مَسَّنِيْ﴾ بالياء ساكنة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَسَّنِيَ﴾ بفتح الياء[٤٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مسَّ: (مَسَّ) الماء الجسد (مَسّاً): أصابه[٤٧٩].

«والمسّ: الإصابة الخفيفة»[٤٨٠].

ثالثاً: التفسير:

يطلب الله ـ عز وجل ـ من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يذكر نبيَّ الله أيوب عليه السلام حين نادَى ربَّه وهو في غاية التأدُّب أنْ يكشف عنه الضُّرّ الذي أصابه.

يقول ابن عاشور في قصة أيوب عليه السلام: «وحاصلها أنه كان نبيئاً وذا ثروة واسعة وعائلة صالحة متواصلة، ثم ابتُلِي بإصاباتٍ لحقت أمواله متتابعة فأتت عليها، وفقد أبناءه السبعة وبناته الثلاثَ في يوم واحد، فتلقى ذلك بالصبر والتسليم. ثم ابتلي بإصابة قروح في جسده وتلقى ذلك كله بصبر

---

(٤٧٨) انظر: النشر ج٢ / ص٣٢٥.

(٤٧٩) المصباح المنير ج٢/ص٥٧٢.

(٤٨٠) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٢٦.

وحكمة وهو يبْتهل إلى الله بالتمجيد والدعاء بكشف الضر. وتلقى رثاءَ أصحابه لحاله بكلام عزيز الحكمة والمعرفة بالله، وأوحى الله إليه بمواعظ. ثم أعاد عليه صحته وأخلفه مالاً أكثر من ماله وولدت له زوجه أولاداً وبناتٍ بعدد من هَلكوا له من قبلُ.

. . .و(إذْ) ظرف قيّد به إيتاءُ أيوب رباطة القلب وحكمة الصبر لأن ذلك الوقت كان أجلى مظاهر علمه وحكمته كما أشارت إليه القصة. . . فصار أيوب مضرب المثل في الصبر.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ بفتح الهمزة على تقدير باء الجر، أي نادى ربه بأني مسَّني الضُّر. والمسّ: الإصابة الخفيفة. والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حلّ به من الضر كالمس الخفيف.

والضرّ بضمّ الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ﴾ التعريض بطلب كشف الضرّ عنه بدون سؤال فجعل وصفَ نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصفَ ربه بالأرحمية تعريضاً بسؤاله . . .

وكونُ الله تعالى أرحم الراحمين لأن رحمته أكمل الرحمات لأن كل من رحِم غيرَه فإما أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة أو دفعاً للرقة العارضة للنفس من مشاهدة من تحق الرحمة له فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وإما رحمته تعالى عباده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية»[٤٨١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوحت القراءة الأولى ﴿مَسَّنِيْ﴾ بالياء ساكنة محذوفة لالتقاء ساكنين بشعور أيوب عليه السلام بصغر وحقارة ما مسّه من ضر.

(٤٨١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٢٦، ١٢٧ (بتصرف).

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿مَسَّنِيَ﴾ بفتح الياء تأدُّب أيّوب عليه السلام مع ربّه، وشدّة صبره على البلاء، إذ جعل ما أصابه من الضُرِّ كالمسِّ الذي أصابه منذ وقتٍ قصير، وكأنّه كان ضرره خاصاً بما في نفسه من مرضٍ وهزال، وكأنّه لم يُصَب أيضاً في ماله وولده.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي : «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»[٤٨٢]. كما أنَّ الفتحةَ هي أخفُّ الحركات[٤٨٣].

وقد جاء في كتاب روح البيان: «الضُّرَّ بالفتح شائعٌ في كلِّ ضرر، وبالضمِّ خاصٌّ بما في النفس من مرضٍ وهزال ونحوهما»[٤٨٤].

لا يسعني وأنا أجمع بين هاتين القراءتين إلاّ أنْ أقف وقفةَ إجلالٍ وإكبارٍ أمام عظيم صبر هذا النبيّ الكريم، وأنا أتعلّم منه التأدُّب مع الخالق المنعم ـ جلَّ وعلا ـ وهو يستصغر ويستحقر ما أصابه من البلاء وقد ابتُلِي في ماله ووَلَدِهِ وبَدَنِه منذ ما يزيد على سبع سنين ـ على أكثر الأقوال ـ فإذا به يجعل ما أصابه من الضُرِّ كالمسِّ الذي جعله خاصّاً، وكأنّه أصابه في نفسه ـ فقط دونما المال والبنين ـ من مرضٍ وهزال، وفي مدّةٍ قصيرة، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب: ﴿أَنْ لَنْ يُقْدَرَ﴾ بالياء مضمومة وفتح الدّال.

---

(٤٨٢) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.
(٤٨٣) أنظر: بلاغة الكلمة ص١١٤.
(٤٨٤) روح البيان مج٥/ ص٥١٩.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الدال[٤٨٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«القَدْرُ والقَدَرُ: القضاء والحُكْم وهو ما يُقَدِّره الله ـ عز وجل ـ من القضاء ويحكم به من الأُمور»[٤٨٦].

ثالثاً: التفسير:

تتحدّث هذه الآية عن جانبٍ من قصةِ نبيِّ الله يونس عليه السلام حين غادر قومَه قبل أنْ يُؤذَن له، فقضى الله ـ تعالى ـ بالتضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، وهناك نادى ربَّه تائباً معترفاً بذنبه أنْ لا إله إلاّ أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين.

يقول أبوالسعود ـ رحمه الله ـ: «﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي: واذكر صاحب الحوت وهو يونسُ عليه السلام ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي مراغِماً لقومه لـمّا برِمَ من طول دعوته إياهم وشدةِ شكيمتهم وتمادي إصرارِهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر، وقيل: وعدَهم بالعذاب فلم يأتِهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذَّبهم فغضِب من ذلك، وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجَرة لخوفهم لحوقَ العذاب عندها وقرىء مُغضَباً ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نضيّقَ عليه أو لن نقضيَ عليه بالعقوبة من القدر، ويؤيده أنه قرىء مشدداً أو لن نُعمِل فيه قدرتَنا، وقيل: هو تمثيلٌ لحاله بحال مَنْ يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله معاملةَ من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومَه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] أي نعامله معاملةَ من يحسَب ذلك، وقيل: خطرةٌ شيطانية سبقت إلى وهمه فسُمّيت ظنّاً للمبالغة، وقرىء بالياء مخففاً ومثقلاً مبنياً للمفعول ﴿فَنَادَىٰ﴾ الفاءُ فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقامِ الحوت فنادى ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي في الظلمة الشديدةِ المتكاثفة أو في

(٤٨٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٨٦) لسان العرب ج٥/ص٨٩، وانظر: حاشية الشهاب ج٦/ ص٤٦٢.

ظلمات بطنِ الحوتِ والبحرِ والليل، وقيل: ابتلع حوتَه حوتٌ أكبرُ منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أي بأنه لا إله إلا أنت على أنّ أنْ مخففةٌ من أنّ وضميرُ الشأن محذوف، أو أي لا إله إلا أنت على أنها مفسّرة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يُعجزك شيءٌ أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة»[487].

رابعاً: **العلاقة التفسيرية بين القراءات:**

أفادت القراءة الأولى ﴿أَنْ لَنْ يُقْدَرَ﴾ أنَّ يونس عليه السلام ظنَّ أنَّه لن يُقْدَرَ عليه ويُضَيَّق عليه في بطن الحوت، أو أنَّه ـ حين ذهب مغاضباً للملِك[488] الذي اختاره ليرسله للقتال ـ ظنَّ أنَّ الملك لن يَقْدِرَ عليه إذا غادر من بينهم.

يقول ابن أبي مريم في هذه القراءة: «والوجه أنَّ الفعل مبنيّ لِمَا لم يُسَمّ فاعله.

ويجوز أنْ يكون إنَّما قرأ كذلك لأنَّه حَمَلَ المعنى على أنَّ يونس ذهبَ مُغاضباً لِلملِك، فظنَّ أنْ لن يَقْدِرَ عليه المَلِك، فلهذا لم يُسْند الفعل إلى الله تعالى»[489].

في حين جاءت القراءة الثانية ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ بالتخصيص فأفادت أنَّ يونس عليه السلام ظنَّ أنَّ الله ـ تعالى ـ لن يَقْدِرَ عليه الحبس في بطن الحوت، والتضييق عليه بهذه الكيفية.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ في هذه القراءة: «والوجه أنَّ الفعل مسندٌ إلى الله تعالى على لفظ التعظيم، كما أنَّ ما بعده كذلك وهو قوله ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 88]

---

(487) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(488) هو الملِك حزقيّا. انظر: الموضح ج٢/ص٨٦٥.

(489) الموضح ج٢/ص٨٦٥ (بتصرف بسيط).

والمعنى في ﴿لَنْ نَقْدِرَ﴾: لن نُضَيِّق، وقيل لنْ نَقْدِرَ عليه ما قَدَّرْناه من حبسه[490] في بطن الحوت، أي لن نُقَدِّر، وهو من التقدير الذي هو التهيئةُ لإمضاء الأمر في الشيء، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المرسلات: ٢٣] أي: فَقَدَرْنا فنعْمَ المُقَدِّرُون»[491].

بالجمع بين القراءتين يَتَبيَّنُ أنَّ نبيَّ الله يونس عليه السلام حين ذهبَ من بين قومه مُغاضباً لهم، أو للملِكِ ظنًّا منه أنَّ الملِكَ لن يقدِرَ عليه بخروجه من بينهم، وقد كان خروجه قبل أن يأذن الله ـ تعالى ـ له بالخروج مُعْتَقداً أنَّ عمله هذا لا يستوجبُ أنْ يَقْدِرَ الله ـ تعالى ـ عليه ما قَدَّره من التضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١.قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم.

٢.وقرأ الباقون ﴿نُنْجِي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم[492][493].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نجا) النَّجاءُ: الخَلاصُ من الشَّيء»[494].

(٤٩٠) في كتاب الموضح (جنسه) وليس (حبسه).

(٤٩١) الموضح ج٢/ص٨٦٦. وانظر: تفسير النسفي ج٣/ص١٣٣، وفتح القدير ص١١٤٢.

(٤٩٢) في كتاب النشر (الميم) بدلاً من (الجيم)، والمعنى يدل على حرف (الجيم)، فلا شك أنَّه خطأ مطبعي.

(٤٩٣) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٤.

(٤٩٤) لسان العرب ج١٥/ص٣٥٤.

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارةٌ للمؤمنين بالنجاةِ من أيِّ ضُرٍّ، أو بلاءٍ يصيبهم؛ إذا ما استغاثوا بالله ـ تعالى ـ ودعَوه أنْ يُخلِّصهم منه.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «يقول تعالى ذكره (فَاسْتَجَبْنَا) ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت، ونجيناه من الغمّ الذي كان فيه بحبْسه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)، يقول جلّ ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا»[٤٩٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُجّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم أنَّ الله ـ تعالى ـ ينجي المؤمنين من ضرٍّ أصابهم بسرعةٍ وخِفَّةٍ ولطافة، مرَّةً بعد مرَّةٍ إنجاءً مُتكرِّراً كثيراً.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنّه نجاة بعد نجاة»[٤٩٦].

كما أفادت القراءة الثانية ﴿نُنْجِي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم أنَّ الله تعالى ينجي المؤمنين إنجاءً عظيماً كاملاً.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي ومثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن والتنجية ﴿نُـجِى﴾ أي بمثل ذلك العظمة ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاءً عظيماً وننجِّيهم تَنجيةً عظيمة، ذِكرُ التَّنجيةِ أولاً يدلُّ على مثلها ثانياً، وذِكرُ الإنجاءِ ثانياً يدلُّ على مثله أولاً، وسرُّ ذلك الإشارةُ إلى شدَّةِ العنايةِ بالمؤمنين؛ لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[٤٩٧].

---

(٤٩٥) تفسير الطبري مج/٩ ج/١٧/ص٩٦، ٩٧.

(٤٩٦) الكشف ج/٢/ص٩١.

(٤٩٧) نظم الدرر ج/٥/ص١٠٦.

ويقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وكذلك أي مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالإخلاص لا إنجاء أدنى منه»[(٤٩٨)].

بالجمعِ بين القراءتين يستبشر المؤمنون بأنَّ الله - تعالى - يُنجيهم إنجاءً عظيماً كاملاً بسرعةٍ، وخفَّةٍ، ولطافةٍ، مرَّةً بعد مرَّةٍ، إنجاءً مُتكرِّراً كثيراً، إذا استغاثوا به، ودعوه بإخلاصٍ أنْ يكشف عنهم ما بهم من ضرّ، والله أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾ [الأنبياء: ٩٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر ﴿وَحِرْمٌ﴾ بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ بفتح الحاء والراء وألف بعدها[(٤٩٩)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الحِرْمُ بالكسر والحَرامُ: نقيض الحلال وجمعه حُرُمٌ... وروي أيضاً عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿وَحِرْمٌ على قرية أهلكناها﴾ قال: واجبٌ على قرية أَهلكناها أنه لا يرجع منهم راجع أي لا يتوب منهم تائب. والحَرام: ما حَرَّم اللهُ»[(٥٠٠)].

«والحرام: الشيء الممنوع»[(٥٠١)].

ثالثاً: التفسير:

تقَرِّرُ الآية سنةً في الكون قضاها الله تعالى وأنفذها في الكون

---

(٤٩٨) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٥٤.

(٤٩٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٥٠٠) لسان العرب ج١٢ ص١٣٩ - ١٤٧.

(٥٠١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٤٤.

والمخلوقات وهي عدم رجوع الكفار إلى الدنيا إذا نفذَ أمر الله تعالى بإهلاكهم.

يقول السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾: «أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك»[٥٠٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَحِرْمٌ﴾ وجوب عدم رجوع الكفار إلى الدنيا بعد إهلاكهم ليتداركوا ما فرَّطوا فيه، ووجوب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب والجزاء، على قول ابن عباس السابق أنَّ ﴿وَحِرْمٌ﴾ بمعنى واجب.

وأفادت القراءة الثانية ﴿وَحَرَامٌ﴾ امتناع رجوع الكفار إلى الدنيا وامتناع توبتهم بعد إهلاكهم، على أنَّ الحرام بمعنى الممتنع، أو نقيض الحلال، كما في المعنى اللغويّ للكلمة.

يقول الفخر الرّازي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾: «فاعلم أنَّ قوله: ﴿وَحَرَامٌ﴾ خبر فلا بد له من مبتدأ وهو إما قوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أو شيء آخر، أما الأول فالتقدير أنَّ عدمَ رجوعهم حرامٌ أي: ممتنعٌ، وإذا كان عدم رجوعهم ممتنعاً، كان رجوعهم واجباً، فهذا الرجوع إما أنْ يكون المراد منه الرجوعُ إلى الآخرة، أو إلى الدنيا:

أما الأول: فيكون المعنى أنَّ رجوعَهم إلى الحياة في الدار الآخرة واجب، ويكون الغرضُ منه إبطالُ قولِ من ينكرُ البعث، وتحقيقُ ما تقدَّم أنَّه

---

(٥٠٢) تفسير السعدي ص ٥٣١.

لا كفران لسعي أحدٍ، فإنه سبحانه سيعطيه الجزاءَ على ذلك يومَ القيامة...
وأما الثاني: فيكون المعنى أنَّ رجوعَهم إلى الدنيا واجبٌ، لكن المعلوم أنَّهم لم يرجعوا إلى الدنيا، فعند هذا ذكر المفسرون وجهين:

الأول: أنَّ الحرام قد يجيء بمعنى الواجب، والدليل عليه الآية والاستعمال والشعر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وترك الشرك واجب وليس بمحرم، وأما الشعر فقول الخنساء(٥٠٣) - رضي الله عنها -:

وإن حراماً لا أرى الدهر باكياً على شجوه إلا بكيت على عمرو(٥٠٤)

يعني وإن واجباً، وأما الاستعمال فلأن تسمية أحد الضدين باسم الآخر مجاز مشهور كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، إذا ثبت هذا فالمعنى أنه واجب على أهل كل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون...

الوجه الثاني: أنْ يُترَكَ قوله ﴿وَحَرَامٌ﴾ على ظاهره ويجعل في قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ صلة زائدة كما أنه صلة في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] والمعنى حرام على قرية أهلكناها رجوعهم إلى الدنيا وهو كقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [يس: ٥٠] أو يكون المعنى وحرام عليهم رجوعهم عن الشرك وترك الأيمان، وهذا قول

(٥٠٣) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلمية، من بني سُليم من قيس عيلان من مضر، الشهيرة بالخنساء، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، لها موقف شجاع مشرِّف يوم القادسية حين استشهد أربعة من أبنائها، توفيت - رحمها الله - سنة أربع وعشرين للهجرة. انظر: الأعلام ج٢/ ص ٨٦.

(٥٠٤) البيت للخنساء من قصيدة رثت فيها أخاها عمرو حين مات في الجاهلية. ولم أقف على القصيدة فيما توفر لي من كتب الشعر الجاهلي، والبيت مذكور في لسان العرب وفي تفسير الرازي كما هو موثق في الهامش.

طائفة من المفسرين، وهذا كله إذا جعلنا قوله وحرام خبراً لقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أما إذا جعلناه خبراً لشيء آخر فالتقدير وحرام على قرية أهلكناها ذاك»(٥٠٥).

بالجمع بين القراءتين يكون في الآية حَثٌّ لكلِّ مُكَلَّفٍ بالإسراع في الطاعات، وتسخير ما أنعم الله عليه به من فراغٍ وصحَّةٍ وغنىً في فعل الخيرات، فالحياة الدنيا قصيرةٌ، والعمر ينقضي بسرعةٍ فائقة، وسوف يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وفي الحديث (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه)(٥٠٦).

كما يوجد في الآية تحذيرٌ للكفار والعصاة بأنَّهم لن يعودوا للحياة الدنيا بعد هلاكهم لاستدراك ما فاتهم، فقد قضَى الله - ﷻ - بامتناع توبتهم أو رجوعهم بعد إهلاكهم، فامتنع بذلك رجوعهم للدنيا، ووجب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب فأصبح هذا وذاك حتماً لازماً، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فُتِحَتْ﴾:

١ - قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿فُتِّحَتْ﴾ بتشديد التاء.

(٥٠٥) تفسير الرازي ج٢٢/ص٢٢٠، ٢٢١. وانظر: لسان العرب ج١٢/ص١٣٩ - ١٤٧.

(٥٠٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠ / ص٦٢٦ /ح١٨٣٧٢، وذكره الألباني بنحوه في صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ص٢٢٧/ح ٣٥٩٣ وقال: صحيح لغيره. وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ج ٧/ ص١٢٥/ ح ٣٤٦٩٤، وكنز العمال ج١٤/ ص٤٤٦/ ح ٣٩٠١١.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فُتِحَتْ﴾ بتخفيف التاء[٥٠٧].

القراءات في ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾:

١.قرأ عاصم ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز.

٢.وقرأ الباقون ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بغير همز[٥٠٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يأجوج: (أجج) الأَجِيجُ تَلَهُّبُ النار، الأَجَّةُ والأَجِيجُ صوت النار، وأَجَّجَ بينهم شَراً: أوقده، وأَجَّةُ القوم وأَجِيجُهم: اخْتِلاطُ كلامهم مع حَفيف مشيهم، وقولهم القومُ في أَجَّة أَي: في اختلاط، وجَأَجَ إِذا وقف جُبْناً، وأَجَّ الرَّجُلُ يَئِجُّ أَجِيجاً: صَوَّتَ، وأَجَّ يَؤُجُّ أَجّا: أَسرع، الأَجُّ: الإِسراعُ والهَرْوَلَةُ، والأَجِيجُ والأُجاجُ والائْتِجاجُ: شدَّةُ الحرِّ، وماءٌ أُجاجٌ أَي: ملح، وقيل مرٌّ وقيل: شديد المرارة، وقيل الأُجاجُ: الشديد الحرارة، وكذلك الجمع. قال الله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، [فاطر: ١٢] وهو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر[٥٠٩].

مأجوج: مجج: الماجُّ من الناسِ والإِبل: الذي لا يستطيعُ أَن يُمْسِكَ رِيقَه من الكِبَر، والماجُّ: الأَحمقُ الذي يَسيلُ لُعابُه، يقال: أَحمق ماجٌّ للذي يسيل لعابه، وقيل: هو الأَحمق مع هَرَم، وجمع الماجِّ من الإِبل: مَجَجةٌ، وجمع الماجِّ من الناس: ماجُّونَ، والماجُّ: البعير الذي قد أَسَنَّ وسالَ لُعابه، والماجُّ: الناقة التي تَكْبَرُ حتى تَمُجَّ الماءَ من حَلْقِها، والمَجَجُ: اسْترخاءُ الشِّدْقينِ نحو ما يَعْرِضُ للشيخ إِذا هَرِمَ، والمَجْمَجَةُ: تَغْييرُ الكِتابِ وإِفْسادُه عما كُتِبَ، وفي بعض الكتب: مُروا المَجّاجَ بفتح الميم أَي: مُروا الكاتب يُسَوِّدُه، سمِّي به لأَنَّ قَلَمَه يَمُجُّ المِدادَ، والمَجُّ والمُجاجُ: حَبٌّ كالعَدَسِ إِلا أَنَّه أَشدّ استدارةً منه، المَجَّةُ: حَمْضَةٌ تُشْبِهُ

---

(٥٠٧) انظر: النشر ج٢/ص ٢٥٨، ٣٢٤.

(٥٠٨) انظر: المرجع السابق ج١/ص٣٩٤، ج٢/ص٣٢٤.

(٥٠٩) انظر: لسان العرب ج٢/ص٢٣٤.

الطَّخْماءَ[510] غير أَنَّها أَلطف وأَصغر، وأَمَجَّ الفَرَسُ: جَرى جَرْياً شديداً، المُجُجُ: السُّكارى، والمُجُجُ: النَّحل، وأَمَجَّ الرجلُ: إِذا ذهبَ في البِلادِ، وأَمَجَّ إِلى بلدِ كذا: انْطَلَقَ، ومَجْمَجَ الكِتابَ: خَلَّطَه وأَفسَدَه، المَجْمَجَةُ: تَخْليطُ الكِتابِ وإِفْسادُه بالقلم، ومَجْمَجْتُ الكِتابَ: إِذا ثَبَّجْتَه ولم تُبَيِّنِ الحروفَ، ومَجْمَجَ الرجلُ في: خَبرِه لم يبينه، ورجلٌ مَجْماجٌ كَبَجْباجٍ: كثيرُ اللحم غليظه[511].

«**يأجوج ومأجوج**: قوم من المغول كثيرو الإفساد، قيل هم قبيلتان من ذرية يافث بن نوح»[512].

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية إحدى علامات الساعة الكبرى وهي خروج قبيلتي يأجوج ومأجوج بعد فتح السد الذي كان يمنعهما من الخروج بإذن الله تعالى.

يقول السعدي[513]- رَحِمَهُ اللهُ -: «هذا تحذير من الله للناس أنْ يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنّه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سدّ عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل مكان مرتفع، وهو الحدب (ينسلون) أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في

---

(510) الطَّخْماءُ نَبْتةٌ سُهْلِيَّةٌ حَمْضِيَّةٌ، والطَّخْماء أَيضاً النَّجِيل، وهو خَيْر الحَمْض كُلِّه وليس له حَطبٌ ولا خَشَبٌ إنما يَنْبُتُ نباتاً تأكله الإبل. انظر: لسان العرب ج١٢/ صفحة ٤١٩.

(511) انظر: لسان العرب ج٢/ص ٤٢٢، ٤٢٤.

(512) المبصر ج٦ / ص ٢٠.

(513) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسّر، من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ١٣٦٧هـ. انظر: الأعلام ج٥/ ص ٣٤٠.

الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم»[٥١٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فُتِّحَتْ﴾ التكثير والتكرير.

بينما أفادت قراءة ﴿فُتِحَتْ﴾ أنَّ سدّ يأجوج ومأجوجَ الذي يُفتح هو سدٌّ واحدٌ، ويفتح بكامله دفعة واحدة.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قرأ ابن عامر بالتشديد، وخفَّفَ الباقون، وهما لغتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، والتخفيف فيه أبيَنُ لأنَّ تقديره: حتّى إذا فُتِحَ سدُّ يأجوج. فهو واحد، فلا معنى للتكثير. وقيل: التشديد أقوى، لأنَّ ثَمَّ سدًّا وبناءً وردماً. فالفتح لأشياء مختلفة يكون، والتشديد أولى به»[٥١٥].

أمّا فيما يتعلَّق بقراءة ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بغير همز فإنَّها تبيِّنُ اسم تينك القبيلتين المُفسدتين في الأرض، وهما اسمان أعجميّان لتينك القبيلتين، وقد يكون الاسمان عربيين وعندها فلهما اشتقاقٌ في العربية.

يقول ابن منظور: «**ويأجُوجُ ومأجُوجُ**: قبليتان من خلق الله جاءَت القراءَة فيهما بهمز وغير همز، قال: وجاءَ في الحديث (أَنَّ الخلق عشرة أَجزاء تسعة منها يأْجوجُ ومأْجوجُ)[٥١٦] وهما اسمان أَعجميان، واشتقاقُ مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَّتِ النارُ، ومن الماء الأُجاج وهو الشديد الملوحة المُحْرِقُ من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يأْجُوجَ يَفْعول، وفي مأْجوج

---

(٥١٤) تفسير السعدي ص ٥٣١، وانظر: زهرة التفاسير مج٩/ ص٤٩١٧ ـ ٤٩١٨.

(٥١٥) الكشف ج٢/ص١١٤. وانظر: المغني لمحيسن ج٣/ص٤٤، والموضح ج٢/ص٨٦٨.

(٥١٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٤/ص٥٣٦، ح ٨٥٠٦، كتاب الفتن والملاحم، وقال: صحيح الإسناد.

مفعول كأنه من أَجِيج النار، قال: ويجوز أَنْ يكون يأجوج فاعولاً، وكذلك مأْجوج، قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأَمَّا الأَعْجَمِيَّةُ فلا تُشْتَقُّ من العربية، ومن لم يهمز وجعل الأَلفين زائدتين يقول: ياجوج من يَجَجْتُ، وماجوج من مَجَجْتُ وهما غير مصروفين قال رؤبة[517]:

لـو أَنَّ يَـاجُـوجَ ومَـاجُـوجَ مـعـاً وعَادَ عادٌ واسْتَجاشُوا[518] تُبَّعا[519][520]

بينما قراءة ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز فإنها تشيرُ إلى صفات تينك القبيلتين.

وقد جاء في حديثٍ لرسول الله ﷺ ذكر بعض صفاتهم في قوله ﷺ: (... ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[521] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط

---

(٥١٧) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحَّاف، أو أبو محمد: من الفصحاء المشهورين، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجُّون بشِعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ سنة ١٤٥هـ. انظر: الأعلام ج٣/ ص٣٤.

(٥١٨) «اسْتَجاشَه: أَي طَلب منه جيشاً». لسان العرب ج٦/ ص٢٧٧.

(٥١٩) البيت لرؤبة من ديوانه، ولم أقف على ديوانه، ولكن بيت الشعر موجود في تهذيب الآثار ج١/ ص١٠١.

(٥٢٠) لسان العرب ج٢ /ص ٢٣٤.

(٥٢١) «النَّغَفُ بفتحتين وغين معجمة الدود الذي يكون في أُنوف الإبل والغنم الواحدة نَغَفَةٌ بفتحتين أيضا قال أبو عبيد وهو أيضا الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أُنقع وفي الحديث (إن يأجوج ومأجوج يسلط عليهم النَّغَفُ فيأخذ في رقابهم)». مختار الصحاح ص ٦٨٨.

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٥٢٢] ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[٥٢٣] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . .)[٥٢٤].

يقول ابن عطية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «يأجوج ومأجوج: قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعاً كثيرة، اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خلقهم تشويه: منهم المفرط الطول، ومنهم مفرط القصر، على قدر الشبر، وأقل، وأكثر، ومنهم صنف: عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة، والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى، وهي تعمه»[٥٢٥].

ويقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في يأجوج ومأجوج: «قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ . . .، واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قَدّهم على شبرٍ واحدٍ، وقيل: في نهايةِ عِظَمِ الجسم وطولِ القامةِ تبلغُ قدودُهم نحو مائةٍ وعشرين ذراعاً، وفيهم من عَرضِه كذلكَ، وقيل لهم مخالبُ وأضراسٌ كالسباع.

وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وقيل عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمزة ـ كما قرأ عاصم ـ وقد قرئ بغير همزة، ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث يفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وقيل كانوا يأكلون الناس أيضاً»[٥٢٦].

---

(٥٢٢) زهمهم: «ز هـ م: الزُّهْمةُ: الريح المنتنة». مختار الصحاح ص٢٨٠.

(٥٢٣) البخت: «البُخْتيَّةُ الأُنثى من الجمال البُخْتِ وهي جمالٌ طوالُ الأَعْناق ويُجْمَع على بُختٍ وبَخَاتٍ وقيل الجمع بَخاتيُّ غير مصروف». لسان العرب ج٢/ ص١٠.

(٥٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٥٠/ح٢٩٣٧، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في صفة الدجال.

(٥٢٥) المحرر الوجيز ج٣/ ص ٥٤٢.

(٥٢٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص٥٣١.

بالجمع بين القراءات الأربع نجد أنَّ في الآية تحذيراً لكلِّ البشر من شرٍ اقترب وهو فتح السد الذي يحجزُ تينك القبيلتين المسميتين يأجوج ومأجوج، واللتين تتصفان بصفاتٍ كثيرةٍ أذكر منها ما أعانني الله ـ تعالى ـ على استنباطه من أقوال علماء اللغة والمفسرين وهي:

١ ـ هم خلقٌ كثيرو العدد حيث ورد أنَّهم تسعة أعشار البشر، ولا يموت الرجل منهم حتى يرى ألفاً من صلبه.

٢ ـ يتَّصفون بالجُبن والحمق والشراهة حتى إنَّ أحدهم لا يستطيع أن يمسك لعابه عن السيلان.

٣ ـ منهم مفرط الطول، ومنهم مفرط القصر ومنهم المتوسط، كما أنَّ الغالب على أجسادهم كثرة اللحم وغلظته، ومنهم صنف: عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة[٥٢٧] والأخرى زعرى[٥٢٨] يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تَعُمُّه[٥٢٩].

٤ ـ منهم من يتَّصف باسترخاء الشدقين كما الرجل الكبير الهرم.

٥ ـ سريعون في مشيتهم وتشبه مشيتهم مشية الذئب، ينسلون من الهضاب والمرتفعات كما في قوله تعالى ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، وهم يذهبون في البلاد وينطلقون فيها.

٦ ـ حيثما حلُّوا يَحُلُّ الخراب والدمار فهم يُدَمِّرون كلَّ شيءٍ ويأكلون الأخضر واليابس، ولا يُبقون على شيء، وقد قيل إنَّهم يأكلون البشر أيضاً.

٧ ـ تأثيرهم مثل أجيج النار والماء الأجاج، وإنَّ في تسميتهم بهذا الاسم نوعاً من الإعجاز، فاسمهم يدل عليهم وجميع ما ذكرتُه من صفات فمن المعنى الاشتقاقي، فمثلاً يأجوج: من أَجَّتِ النارُ أو الماء الأُجاج وهو

---

(٥٢٧) وبرة: «الوَبَرُ للبعير كالصُّوف للغنم». انظر: المصباح المنير ج٢/ص٦٤٦.

(٥٢٨) زعرى: «ز ع ر: الزَّعَرُ: قلة الشعر». مختار الصحاح ص٢٨٠.

(٥٢٩) تعمُّه: «عَمَّ الشيء يعم بالضم عُموماً أي شمل الجماعة». مختار الصحاح ص٤٦٧.

الشديد الملوحة المُحْرِقُ من ملوحته. والله ـ تعالى ـ أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿يُحْزِنُهُمُ﴾ بضم الياء وكسر الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يَحْزُنُهُمُ﴾ بفتح الياء وضمّ الزاي(٥٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الحُزْنُ والحَزَنُ نقيضُ الفرَح وهو خلافُ السُّرور... والمثالان يَعْتَقِبان هذا الضَّرْبَ باطِّرادٍ، والجمعُ أحْزانٌ لا يكسَّر على غير ذلك، وقد حَزِنَ بالكسر حَزَناً، وتحازَنَ، وتحَزَّن، ورجل حَزْنانٌ ومِحْزانٌ: شديد الحُزْنِ، وحَزَنَه الأمرُ يَحْزُنُه حُزْناً، وأَحْزَنَه فهو مَحْزونٌ ومُحْزَنٌ وحَزِينٌ وحَزِنٌ الأخيرة على النَّسب من قوم حِزانٍ وحُزَناءَ، الجوهري: حَزَنَه لغةُ قريش وأَحْزَنه لغةُ تميم وقد قرئ بهما»(٥٣١).

«والفزع: نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجَزع»(٥٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يكون المؤمن يوم القيامة آمناً من فزع ذلك اليوم الذي يهابه كل مخلوق، حيث تستقبلهم الملائكة عند خروجهم من قبورهم لتبشِّرهم بما أعدَّ الله لهم من النعيم.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ

(٥٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٤٤، ٣٢٤.

(٥٣١) لسان العرب ج١٣/ص١٣٤.

(٥٣٢) التحرير والتنوير ج١٧/١٥٦.

﴿ٱلْأَكْبَرُ﴾: «أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر، وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأنَّ الله قد أمَّنهم مما يخافون. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فليُهْنِكم ما وَعَدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمَّنكم اللهُ من المخاوف والمكاره»[٥٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿يُحْزِنُهُمُ﴾ عدم تعرض المؤمنين لأدنى وأخف أنواع الحَزَن.

في حين تفيد القراءة الثانية ﴿يَحْزُنُهُمُ﴾ أنَّ المؤمنين في أمانٍ من هذا الفزع الأكبر مهما اشتدَّ وكان كبيراً، أي أنَّه لا يَفزع فزعاً شديداً.

يقول ابن منظور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «للعرب في الحُزن لغتان: إذا فَتَحوا ثَقَّلوا، وإذا ضَمُّوا خفَّفوا؛ يُقال: أصابه حَزَنٌ شديد»[٥٣٤].

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: قوله: (لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ) يعني النفخة الآخرة. وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعدَه أحرَى أن لا يَفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغيرُ مأمونٍ عليه الفزعُ مما بعده[٥٣٥].

ويقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ بيانٌ لنجاتهم من الأفزاع بالكلية بعد بيان نجاتِهم من النار، لأنهم

---

(٥٣٣) تفسير السعدي ص ٥٣١.

(٥٣٤) لسان العرب ج١٣/ص١٣٤.

(٥٣٥) انظر: تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص١١٨.

إذا لم يُحزُنْهم أكبرُ الأفزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة»(٥٣٦).

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ المؤمن يوم القيامة لا يُصيبه أيّ نوعٍ من أنواع الفزع، سواءً أكان خفيفاً أم ثقيلاً، وهذه بشارةٌ للمؤمن الذيَ يخشى الله ـ تعالى ـ في الدنيا بأنْ يؤمِّنه الله ـ تعالى ـ يوم القيامة من أي نوع من أنواع الفزع، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿تُطْوَى السَّمَاءُ﴾ بالتاء مضمومة على التأنيث وفتح الواو ورفع السماء.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الواو، ونصب السماء.

القراءات في﴿لِلْكُتُبِ﴾:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بضمّ الكاف والتاء من غير ألف على الجمع.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿لِلْكِتابِ﴾ بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد(٥٣٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

طوَى: الطَّيُّ: نقيضُ النَّشر(٥٣٨).

---

(٥٣٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٦٠.

(٥٣٧) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٥٣٨) انظر: لسان العرب ج١٥/ص١٩.

السِّجِلُّ: كتاب العهد ونحوه، والجمع: سجِلاَّت...وجاء في التفسير: أنَّ السِّجِلَّ الصحيفة التي بها الكتاب، وقيل السِّجِلّ ملَك، وقيل السِّجِلُّ بلغة الحبش: رجل[٥٣٩]. الكتاب: «كَتَبَ: من باب نَصَرَ وكِتَّاباً أيضاً وكِتَّابةً، والكِتابُ أيضاً: الفرض والحكم والقدر»[٥٤٠].

ثالثاً: التفسير:

تصف هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث تُطوى السَّماءُ كما تُطوَى الصحيفة.

يقول الطاهر ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وقد رُتِّب نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة. وأصل الجملة: نعيدُ الخلقَ كما بدأنا أولَ خلقٍ يومَ نطوي السماءَ كطيِّ السجلِّ للكتاب وعْداً علينا. فحُوِّل النظمُ فقدِّمَ الظرفُ بادىءَ ذي بَدءٍ للتشويقِ إلى متعلَّقِه، ولِمَا في الجملةِ التي أُضِيفَ إليها الظرفُ من الغرابةِ والطِّباقِ، إذ جعل ابتداءُ خلقٍ جديدٍ وهو البعثُ مؤقَّتاً بوقتِ نقضِ خَلقٍ قديم وهو طيُّ السماء، وقدَّم ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ وهو حال من الضمير المنصوب في ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى لتتمكن في النفس فضلَ تمكّن. وكل ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث، فليس قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ متعلقاً بما قبله من قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وعقب ذلك بما يفيد تحقق حصول البعث من كونه وعداً على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب، فعدي بحرف (على) في قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ أي حقاً واجباً وجملة ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مؤكّدة بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله لأنهم لما نَفَوا البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله»[٥٤١].

---

(٥٣٩) انظر: المرجع السابق ج١١/ص٣٩٠.

(٥٤٠) مختار الصحاح ص٥٨٦.

(٥٤١) التحرير والتنوير ج١٥٨/١٧.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿تُطْوَى السَّمَاءُ﴾ على البناء للمفعول أنَّ السماء يوم القيامة تتلاشى وتُطوَى كطيِّ السجِلِّ للكُتُب، وفيها تعظيم شأن السماء.

«إنَّها صورة كونيةٌ هائلة، اختُصرت في كلمة واحدة ﴿تُطْوَى﴾، عمليةٌ هائلةٌ وعظيمةٌ هي حدث انهيار الكون يوم القيامة فجاء التعبير القرآنيُّ المعجزُ وعبَّر عنها هذا التعبير العجيب»(٥٤٢).

وأفادت القراءة الثانية ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ بالبناء للفاعل تعظيم الخالق - ﷻ - بتخصيصَ فعلِ طيِّ السماءِ بالخالق - ﷻ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

أمّا بالنسبة لكلمة ﴿لِلْكُتُبِ﴾ فأفادت القراءة الأولى ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بالجمع أنَّ السماوات جميعها هي التي ستُطوَى وليس سماءً واحدةً.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿لِلْكِتَابِ﴾ بالإفراد أنَّ كلَّ سماءٍ من السموات السبع ستُطوَى كما يَطوي الطاوِي السِّجلّ فيه الكتاب.

يقول مكّي بن أبي طالب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «وحجّة من وحّدَ أنَّ ابن عباس قال: السِّجل الرَّجُل، فالتقدير: كطيِّ الرّجل الصحيفة... السِّجِل مَلَك يطوي الكتاب. فيكون (طي) على هذين القولين مضافاً إلى الفاعل، واللام في (للكتاب) زائدة... السِّجل الصحيفة بعينها، والمعنى: كطيّ الصحيفة فيها الكتب. فيكون المصدر مُضافاً إلى الفعل. والتقدير: كطيّ الطاوي السِّجِل فبه الكتب أي يدرج الكتب فيها. وتكون اللام غير زائدة، دخلت للتعدِّي، أي قد تعدَّت الطّيّ إلى مفعول وهو السِّجِل، فيكون التوحيد على لفظ السماء، شبَّه تعالى ذكره، طيّه للسماء كطيّ المَلَك للكتاب.

وحجّة من قرأ بالجمع أنَّ لفظ السماء موحّد، يراد به الجمع، لأنَّ

(٥٤٢) صور من سور القرآن ص١٠٦.

السموات كلّها تُطوَى، ليس تُطوَى سماء واحدة، بدليل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وإذا كان السماء يُراد بها الجمع، فمعناه: يوم نطوي السماوات كطيّ المَلَك للكُتُب، فأنَّث الكتب بالجمع... فالقراءة الأولى محمولة على لفظ السماء في التوحيد»(٥٤٣).

بالجمع بين القراءات الأربع يُلاحَظ أنّ الآية تُصَوِّرُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة حين يطوي الله ـ سبحانه وتعالى ـ كلّ سماء من السماوات السبع، كطيّ المَلَك للكُتُب، فليحذر المخالفون لأوامر الله ـ تعالى ـ العاصون له ذلك اليوم العصيب، وليملأ المؤمنون قلوبهم بخشيته ـ تعالى ـ ليؤمِّنهم فزع ذلك اليوم ويجزيهم الجزاء الأوفى، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿ٱلزُّبُورِ﴾ بضم الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ بفتح الزاي(٥٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

زَبَرَ: «الزِّبْرُ بالكسر: الكتاب، والجمع زُبُورٌ كقِدْرٍ وقُدُور، ومنه قرأ بعضهم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زُبُورًا﴾ والمِزْبَرُ كالمبضع: القلم، والزَّبُورُ: الكتاب، وهو فَعول بمعنى مَفعول من زَبَرَ، والزَّبور أيضا كتابُ داود عليه السلام»(٥٤٥).

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارةٌ للمؤمنين من الله ـ عز وجل ـ بما قضَى به، وكتبَه في أمّ الكتاب، ومن ثَمّ في الكتب المُقَدَّسةِ أنّ الأرضَ يرثُها عبادُه الصالحون.

---

(٥٤٣) الكشف ج٢/ص١١٤، ١١٥.

(٥٤٤) انظر: النشر ج٢/ص٢٥٣.

(٥٤٥) مختار الصحاح ص ٢٨٠.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ هو كتاب دواد عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء عليهم السلام من بعد الذكر أي: التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ، أي: وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون، أي عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله»(٥٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿ٱلزُّبُورِ﴾ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته وجلاله قد كتب في الكتب السماويّة المُنَزَّلةِ ما كان قد كتبه وأثبته في اللوح المحفوظ أنَّ أرض الجنة يرثُها عبادُ الله الصالحون، ويكون الخطاب بذلك عامًّا في جميع المؤمنين.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ تخصيص الزَّبور بكتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وتخصيص الذكر بالتوراة وتخصيص الأرض بالأرض المقدَّسة، وعلى ذلك يكون الخطاب الذي كان خاصًّا ببني إسرائيل قد أصبح عاماً في جميع الصالحين.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ الجمهور ﴿فِي ٱلزَّبُورِ﴾ بصيغة الإفراد وهو اسم للمزبور، أي المكتوب، فعول بمعنى مفعول، مثل: ناقة حَلوب ورَكوب. وقرأ حمزة بصيغة الجمع: زُبور بوزن فعول جمع زِبْر بكسرٍ فسكونٍ، أي: مزبور، فوزنه مثل قِشر وقُشور، أي: في الكتب. فعلى قراءة الجمهور هو غالبٌ في الإطلاقِ على كتابِ داوودَ، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، [الإسراء: ٥٥]، فيكون تخصيص هذا الوعد بكتاب داوود لأنَّه لم يذكر وعْد عامّ للصالحين بهذا الإرث في الكتب السماوية قبله. وما ورد في التوراة فيما حكاه القرآن من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فذلك

(٥٤٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٦١، وانظر: تفسير سفيان الثوري ص٢٠٦.

خاص بأرض المقدس وبني إسرائيل»[٥٤٧].

بالجمع بين القراءتين يُرَى أنَّ الله تعالى يعد وعداً عاماً يُبَشِّرُ به الصالحين من عباده في الزابور وفي جميع الكُتُب المُنَزَّلةِ بعده بما أثبته في اللوح المحفوظ، بأنَّهم سيرثون في هذه الحياة الدنيا الأرضَ المُقدَّسة التي كانت لبني إسرائيل حال كانوا صالحين، كما يبشرهم بأنَّهم هم الذين سيرثون أرض الجنَّة في الحياة الآخرة، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَٰلَ﴾:

١ ـ قرأ حفص ﴿قَٰلَ﴾ بالألف على الخبر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ على الأمر من غير ألف.

القراءات في ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿رَبُّ ٱحْكُم﴾ بضم الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بكسر الباء.

القراءات في ﴿تَصِفُونَ﴾:

١ ـ قرأ الصوري عن ابن ذكوان ﴿يَصِفُونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَصِفُونَ﴾ بالخطاب[٥٤٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الربُّ: المالك، والخالق، والصاحب، والمصلح للشيء[٥٤٩].

(٥٤٧) التحرير والتنوير ج١٧/١٦٢.

(٥٤٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥.

(٥٤٩) انظر: مجمل اللغة ص ٣٧٠.

احكم: «الحُكْمُ: العِلْمُ والفِقْهُ والقَضاءُ بالعَدْل»(٥٥٠).

تصفون: «(وصف): وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفةً حَلَّاه والهاء عوض من الواو وقيل الوصْف المصدر والصِّفةُ الحِلْية... الوصف وصفك الشيء بحِلْيته ونَعْته وتواصَفُوا الشيءَ من الوصف وقوله ﷻ وربُّنا الرحمن المُستعان على ما تصفون أَراد ما تصفونه من الكذب واستوْصَفَه الشيءَ سأَله أَن يَصفه له»(٥٥١).

ثالثاً: التفسير:

يدعو النبيّ ﷺ ربّه أنْ يُعَجِّل العذاب لمشركي مكة، ويستعينُ به على ما يصفونه به من الكذب.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك ونقمتك بهم وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]... وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمُّهُم بنعمته، الذي أستعينُه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولِكم لي فيما أتيتُكم به من عند الله ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم: ٨٨]، [الأنبياء: ٢٦] فإنَّه هيِّنٌ عليه تغيير ذلك وفصلُ ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك»(٥٥٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجمهور ﴿قُلْ﴾ على الأمر أنّ الله ـ تعالى ـ أمر سيّدنا

---

(٥٥٠) لسان العرب ج١٢/ص١٦٣. وانظر: روح المعاني ج١٧/ص١٦٠.

(٥٥١) لسان العرب ج٩/ص٤٢٥.

(٥٥٢) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص ١٢٩، ١٣٠ (بتصرف).

محمداً ﷺ أن يدعوه ـ تعالى ـ بتعذيب مشركي قومه.

وأفادت قراءة حفص ﴿قَالَ﴾ بالألف على الخبر أنَّه ﷺ امتثل لأمر الله تعالى فقال ما أمره الله ـ تعالى ـ بقوله.

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وقراءة الجمهور تدل على أنه ﷺ أمر أن يقول ذلك. وقراءة حفص تدل على أنه امتثل الأمر بالفعل»(٥٥٣).

أمّا قراءة ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ﴾ بكسر الباء فإنّها تفيد الدعاء بتعجيل إيقاع العذاب من الله ـ تعالى ـ بمشركي مكة وذلك أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء فيه سرعةٌ في النطق وهو يدلُّ على طلب السرعةِ في الفعل، وذلك باستعجال العذاب لمشركي مكة.

في حين تفيد قراءة ﴿رَبُّ ٱحْكُم﴾ أنَّ العذاب المرجوّ أنْ يقعَ بهم هو العذاب الشديد دون غيره وذلك أنَّ الضمَّةَ هيَ أقوى الحركات وتدلُّ على القوّة والشِّدَّة.

يقول الألوسي: «وقرأ أبو جعفر (ربُّ) بالضّم على أنَّه منادَى مُفرَد ـ كما قال صاحب اللوامح(٥٥٤) ـ وتعقَّبه بأنَّ حذف حرف النداء من اسم الجنس شاذٌ بابُه الشعر، وقال أبو حيان: إنه ليس بمنادى مفرد بل هو منادى مضافٌ إلى الياء حُذِفَ المضاف إليه وبُنِيَ على الضمِّ كقبلُ وبعدُ، وذلك لغةٌ حكاها سيبويه في المضاف إلى ياء المتكلم حالَ ندائِه ولا شذوذَ فيه»(٥٥٥).

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «إنَّ الضَّمة أقوَى الحركات وأثقلها»(٥٥٦).

أمّا قراءة ﴿تَصِفُونَ﴾ بالغيب والخطاب ففي القراءة بالخطاب تناسب مع

---

(٥٥٣) أضواء البيان ج ٤ / ص ٦٩٦.

(٥٥٤) سبق التعريف به. انظر: ص٣٥.

(٥٥٥) روح المعاني ج١٧/ص١٦٠.

(٥٥٦) بلاغة الكلمة ص١١٤.

ما تقدّم من الآيات وفيه إيحاء بالمواجهة مع الكفار، وفي القراءة بالغيب تحقيرٌ للكفار.

يقول أبو حيان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقرأ الجمهور ﴿تَصِفُونَ﴾ بتاء الخطاب. وروي أنَّ النبيّ ﷺ قرأ على أُبيّ ﴿عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ بياء الغيبة، ورُويَت عن ابن عامر وعاصم»[557].

بالجمع بين القراءات الست يتبيَّن أنَّ الله ـ تعالى ـ أمر سيدنا محمداً ﷺ بالدعاء وقد استجاب لأمر الله ـ تعالى ـ فدعا بالتعجيل بالعذاب الشديد من الله القويّ العزيز على مشركي قومه، والاستعانة به تعالى على ما يصفه به هؤلاء الكفار المحتَقَرون من الأوصاف التي يفترونها على شخصه الكريم ﷺ، والله أعلم.

(٥٥٧) البحر المحيط ج ٨ / ص ١٩٦.



الفصل الثالث

تفسير سورة (الحج) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الحج).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة الحج

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة الحج

أولاً: اسم السورة:

تُسَمَّى هذهِ السورةُ بسورةِ الحج، وذلك تخليداً لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، حيثُ بنَى إبراهيمُ عليه السلام الكعبةَ وأمرَه الله ـ تعالى ـ أنْ يُؤَذِّنَ في النَّاسِ بالحَجِّ، وأَسمعَ صوتَه جميعَ المخلوقاتِ فأجابوا نداءَه قائلين: (لَبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْك).

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «ليس لهذه السورة اسم غير هذا، ووجهُ تسميتِها سورة الحجِّ أنَّ الله ذكرَ فيها كيفَ أَمرَ إبراهيمَ عليه السلام بالدعوةِ إلى حجِّ البيتِ الحرامِ، وذكرَ ما شرعَ للناسِ يومئذٍ من النُّسك تنويهاً بالحجِّ وما فيه من فضائلَ ومنافع وتقريعاً للذين يصدُّون المؤمنين عن المسجدِ الحرام، وإنْ كان نزولُها قبلَ أنْ يُفرَضَ الحجُّ على المسلمين بالاتفاق، وإنما فُرِضَ الحجُّ بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران»(٥٥٨).

ثانياً: نوع السورة:

اشتملت هذه السورة على آياتٍ مدنيَّةٍ إلى جانبِ الآياتِ المكية حيثُ يغلبُ على موضوعاتها التوحيد وإثبات البعث وهذه من موضوعات القرآن

---

(٥٥٨) التحرير والتنوير مج٨/ج١٧/ص١٧٩. وانظر: التفسير المنير ج١٧/ص١٤٨. وصفوة التفاسير ج٢ / ص٢٤١. والمبصر ج٦/ ص ٩٣.

المكّي، في حين اشتملت على الإذن بالقتال وهذا لم يَكُن إلاَّ في العهد المدني.

يقول القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وهي مكيّةٌ سوَى ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد، وعن ابن عباس أيضاً أنهن أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وقال الضحاك وابن عباس أيضا: هي مدنية ـ وقاله قتادة ـ إلا أربع آيات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فهنَّ مكيّاتٍ، وعَدَّ النَّقاشُ[559] ما نَزَل بالمدينةِ عشرَ آياتٍ، **وقال الجمهور:** السورةُ مختَلَطَةٌ منها مكّي ومنها مَدَنِي، وهذا هو الأصَحُّ؛ لأنَّ الآيات تَقتَضِي ذلك لأنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مكّي و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مدنيّ»[560].

ويوضِّح الشهيدُ سيّد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ذلك قائلاً: «هذه السورةُ مُشتَرَكةٌ بينَ مكّيّةٍ ومدنيَّةٍ كما يبدو من دلالةِ آياتِها. وعلى الأخصّ آياتُ الإذنِ بالقتال. وآياتُ العقابِ بالمِثْل. فهيَ مدنيَّةٌ قطعاً. فالمسلمون لم يُؤذَن لهم في القتالِ والقصاصِ إلاَّ بعدَ الهجرة، وبعدَ قيام الدولةِ الإسلاميةِ في المدينة. أمَّا قبلَ ذلكَ فقد قال رسول الله ﷺ ـ حين بايَعه أهلُ يثرب، وعَرضوا عليه أنْ يميلوا على أهلِ مِنَى من الكُفَّار، فيقتلوهم ـ: (إني لم أومَر بِهذا)[561]. حتى إذا صارت المدينةُ دارَ إسلامٍ شرَعَ اللهُ القتالَ لردِّ أذَى المشركين عن

---

(559) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقّاش، عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد، كان يعمل بنقش السقوف والحيطان، توفي سنة ٣١٥هـ. انظر: الأعلام ج٦/ص٨١.

(560) تفسير القرطبي ج٦/ص٤٣٩٣. وانظر: تفسير البغوي ج٥/ص٣٦١، تفسير الثعالبي ج٣ / ص ٦٩، حاشية الشهاب ج٦/ص٤٨٧، وروح المعاني جزء ١٧ /ص١٦٣.

(561) ذكر ابن كثير أنَّه «لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي يعنون أهل منى ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أومر بهذا)». تفسير ابن كثير ج٣ / ص٣٨٢. وقد خرَّجه علوي السقاف في كتاب تخريج الظلال ص٢١٣، ح٥٤٢، وقال: حديث صحيح.

المسلمين والدِّفاع عن حريةِ العقيدة، وحريةِ العبادة للمؤمنين.

والذي يغلُبُ على السُّورةِ هو موضوعاتُ السورِ المكيَّة. وجوُّ السورِ المكيَّة. فموضوعاتُ التوحيدِ والتخويفِ منَ السَّاعةِ، وإثباتُ البعثِ، وإنكارُ الشِّرْكِ، ومشاهدُ القيامةِ. وآيات الله المبثوثةُ في صفحاتِ الكونِ بارزةٌ في السُّورةِ وإلى جوارِها الموضوعاتُ المدنيةُ من الإذنِ بالقتال، وحمايةُ الشَّعائرِ، والوعدُ بنصرِ الله لمن يقعُ عليه البَغْيُ وهو يرُدُّ العدوان، والأمرُ بالجهادِ في سبيلِ الله»[٥٦٢].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

يبلغ عدد آيات سورة الحج ثمانٍ وسبعون آيةٍ في العدِّ الكوفيّ، إلاَّ أنَّ هناك خلافاً في عدد آياتها بحسب العدّ المكّي والبصريّ والشاميّ.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وعدة آياتها ثمانٍ وسبعون في الكوفيّ وسبعٌ وسبعون في المكيّ وخمسٌ وسبعون في البصريّ وأربعٌ وسبعون في الشاميّ»[٥٦٣].

رابعاً: فضائل السورة:

ذكَرَ أبو عبيد - رَحِمَهُ اللهُ - في باب فضل هذه السورة عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه سجد في الحجِّ سجدتين وقال: إنَّ هذه السورة فُضِّلت بسجدتين على السُّور[٥٦٤].

وقد ذكر **ابن الجوزي** - رَحِمَهُ اللهُ - أنَّها من أعاجيبِ سورِ القرآن، لأن فيها مكيًّا ومدنيًّا، وحضريًّا وسفريًّا، وحربيًّا وسلميًّا، وليليًّا ونهاريًّا، وناسخاً ومنسوخاً.

---

(٥٦٢) في ظلال القرآن ج ٤ / ص٢٤٠٥، ٢٤٠٦.

(٥٦٣) روح المعاني ج١٧/ص١٦٣. وانظر: فنون الأفنان ص ٥٦. حاشية الشهاب ج٦/ص٤٨٧. وفتح القدير ص١١٥٢. والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٨٣.

(٥٦٤) انظر: كتاب فضائل القرآن ج٢/ص٥٧، وعارضة الأحوذي ج٣/ ص٥٩.

فأما المكيّ، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأمّا المدنيّ، فمن رأس خمسٍ وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليليُّ فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاريُّ فمن رأسِ خمسٍ آياتٍ إلى رأسِ تسع. وأما السفريّ فمن رأسِ تسع إلى اثنتي عشرة. وأما الحضريّ فإلى رأسِ العشرين منها نُسِبَ إلى المدينة لقربِ مدَّته(٥٦٥).

وأضاف **ابن تيميّة** - رَحِمَهُ اللَّهُ - أنَّها تضمَّنت منازلَ المسيرِ إلى الله، بحيث لا يكونُ منزلةً ولا قاطعاً يقطعُ عنها، ويوجدُ فيها ذكرُ القلوبِ الأربعة، الأعمَى والمريضُ والقاسي والمخبت(٥٦٦) الحَيّ المطمئنُّ إلى الله.

وفيها من التوحيدِ والحِكَم والمواعظِ على اختصارِها ما هو بَيِّنٌ لمن تَدَبَّرَهُ، وفيها ذكرُ الواجباتِ والمستحبَّات كلّها توحيداً وصلاةً وزكاةً وحجًّا وصياماً، قد تضمَّنَ ذلك كلّه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧](٥٦٧).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

هناك اتصالٌ وثيقٌ بين سورةُ الأنبياءِ وسورةُ الحجِّ، حيثُ تحدَّثت كلتا السورتين عن الساعةِ، كما خُتِمت سورةُ الأنبياءِ بوصفِ الساعةِ، وابتُدِئت سورةُ الحجِّ بالحديث عن السَّاعةِ وأهوالها.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أقولُ وجهُ اتصالها بسورةِ الأنبياءِ أنّه ختمها بوصفِ الساعةِ في قوله ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ افتتح هذه بذلك فقالَ: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾»(٥٦٨).

---

(٥٦٥) زاد المسير مج٣/ص٢٢٠.

(٥٦٦) خبت: الإخبَاتُ الخشوع، يقال أَخْبَتَ لله تعالى. انظر: مختار الصحاح ص١٩٦.

(٥٦٧) انظر: التفسير الكبير ج٥/ص٢١٩.

(٥٦٨) أسرار ترتيب القرآن ص١١١.

ويقول البقاعي ـ رحمه الله ـ : «لما افتُتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ وكان وارداً في معرضِ التهديد، وتكرَّرَ في مواضعَ منها: قوله تعالى: ﴿إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٧ ـ ٣٨] ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩]. . . إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد، وشديد الوعيد، حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد خُتِمت من ذلك بمثلِ ما به ابتُدِئت، اتَّصلَ بذلك ما يناسبُه من الإعلامِ بهولِ السَّاعةِ وعظيم أمرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ [الحج: ١] ـ إلى قوله ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ٢] ثمَّ اتبعَ ببسطِ الدلالاتِ على البعثِ الأخيرِ وإقامةِ البرهان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ. . .﴾ [الحج: ٥]، ثم قال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ. . .﴾ [الحج: ٦] أي اطَّرَدَ هذا الحكمُ العجيبُ ووضَّحَ من تقلُّبِكم من حالةٍ إلى حالةٍ في الأرحامِ، وبعد خروجِكم إلى الدنيا وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، وتشاهدون الأرض على صفةٍ من الهمودِ والموتِ إلى حينِ نزولِ الماءِ فنحيي الأرض ونخرجُ أنواعَ النباتِ وضروبَ الثمراتِ يُسقى بماءٍ واحد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحج: ٦] كما أحياكُم أولاً، وأخرَجكُم من العدَمِ إلى الوجود، وأحيا الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب ولا شك، ويبعثكم لِما وعدَكُم من حسابِكم وجزائكم ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]»(٥٦٩).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

لسورة الحجِّ هدفٌ واضحٌ وأغراضٌ متعدِّدةٌ، فأمَّا هدفُ السورةِ

(٥٦٩) نظم الدرر ج ٥ / ص١٣٠ (بتصرف بسيط). وانظر: فتح القدير ص١١٥٢.

ومقصودُها فهو الحثُّ على التقوَى **كما ذكرَ البقاعي** - رَحِمَهُ اللهُ - **حيث يقول:** «مقصودُها الحثُّ على التقوَى المَغْلِيّةُ عن دركةِ[٥٧٠] الاستحقاقِ للحكمِ بالعدلِ إلى درجةِ استئهالِ الإنعامِ بالفَضل، في يومِ الجمعِ للفَصْل، وأنسبُ ما فيها لذلك الحجُّ»[٥٧١].

وأما أغراض السورة فقد ذكرها الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول:

«ومن أغراض هذه السورة: خطابُ الناس بأمرهم أنْ يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، والاستدلال على نفي الشرك وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله - تعالى - بالأُلوهية وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين وأنَّ الشياطينَ لا تغني عنهم شيئاً ولا ينصرونَهم في الدنيا وفي الآخرة، وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنَّهم يُعرِضون عن الحجَّة ليضلُّوا الناس، وأنَّهم يرتابون في البعثِ وهو ثابتٌ لا ريبةَ فيه، وكيف يرتابون فيه بعلَّةِ استحالةِ الإحياءِ بعد الإماتةِ ولا ينظرون أنَّ الله أوجدَ الإنسانَ من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم طوَّرَه أطوراً.

وأنَّ الله ينزلُ الماءَ على الأرضِ الهامدةِ فتحيا وتُخرِجُ من أصنافِ النباتِ، فالله هو القادر على كل ذلك. فهو يحيي الموتَى، وهو على كل شيءٍ قدير، وأنَّ مجادلتَهم بإنكارِ البعث صادرةٌ عن جهالةٍ وتكبُّرٍ عن الامتثالِ لقولِ الرسولِ ﷺ، ووصف المشركين بأنَّهم في تردُّدٍ من أَمرِهم في اتباعِ دينِ الإسلام، والتعريضِ بالمشركين بتكبُّرِهم عن سنَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يَنتمون إليه، ويحسبون أنَّهم حُماةُ دينِه وأمناءُ بيته، وهم يخالفونه في أصلِ الدين، وتذكير لهم بما منَّ الله عليهم في مشروعيةِ الحجِّ من المنافع فكفروا نعمته، وتنظيرهم في تلقِّي دعوةِ الإسلام بالأممِ البائدةِ الذين تلقَّوا

(٥٧٠) «الدَّرَكُ: التبعة، يُسكَّن ويُحرّك». مختار الصحاح ص٢١٨.

(٥٧١) نظم الدُّرر ج٥/ص١٢٩.

دعوةَ الرسلِ بالإعراضِ والكفرِ فحلَّ بهم العذاب، وأَنَّه يوشِكُ أنْ يَحلَّ بهؤلاءِ مثله، فلا يغرُّهم تأخيرُ العذابِ فإنَّه إملاءٌ من الله لهم كما أملَى للأمم من قبلِهم. وفي ذلك تأنيسٌ للرسولِ عليه السلام والذين آمنوا، وبشارةٌ لهم بعاقبةِ النَّصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارِهم بغيرِ حق.

وأنَّ اختلافَ الأممِ بين أهل هدًى وأهل ضلالٍ أمرٌ به افترقَ الناسُ إلى مللٍ كثيرة، وأن يومَ القيامة هو يوم الفصل بينهم لمشاهدة جزاءِ أهلِ الهُدَى، وجزاءِ أهلِ الضلال، وأنَّ المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله فكان لكل فريقٍ جزاؤه.

وسلَى اللهُ رسولَه ﷺ والمؤمنين بأنَّ الشيطانَ يُفسدُ في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ولكن الله يحكم دينه ويبطل ما يلقي الشيطان فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن وفيها التنويهُ بالقرآنِ والمتلقِّين له بخشيةٍ وصبرٍ. ووصفُ الكفار بكراهيتهم القرآن وبغضِ المرسَلِ به. والثناءُ على المؤمنين، وأنَّ اللهَ يسَّرَ لهم أتباعَ الحنيفيةِ وسمَّاهم المسلمين والإذن للمسلمين بالقتالِ، وضمانُ النَّصر والتمكين في الأرضِ لهم.

وخُتمت السورةُ بتذكيرِ الناسِ بنعمِ اللهِ عليهم، وأنَّ اللهَ اصطفى خلقاً من الملائكةِ، ومن الناسِ، فأقبلَ على المؤمنين بالإرشادِ إلى ما يقرِّبُهم إلى الله زُلفَى، وأنَّ اللهَ هو مولاهم وناصرُهم»[٥٧٢].

سابعاً: محور السورة:

محورُ سورةِ الحجِّ هو الدعوةُ والحثُّ على التَّقوَى.

يقول سعيد حوَّى في محورِ هذه السورة: «سورة الحجِّ تُفَصِّلُ قوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] فهيَ مثلُ سورةِ النساء، ومثلُ سورةِ هود، إلاَّ أنَّ سورةَ النِّساءِ حدَّدت معالمَ التَّقوَى، وسورةُ هودِ حَدَّدَت معالمَ

(٥٧٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٨٣ ـ ١٨٥.

العبادةِ، وسورةُ الحجِّ تُهَيِّجُ على التَّقوَى وتَبعَثُ عليها. . .وكما تُهَيِّجُ سورةُ الحجِّ على التقوى فإنَّها تدُلُّ على منعَرِجات[٥٧٣] الطريق ومَزالِقه[٥٧٤]، وعلى الصَّوارف[٥٧٥]، وأمثال ذلك»[٥٧٦].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

* ابتدأت السورةُ الكريمةُ بمطلعِ عنيفٍ مُخيفٍ يصَوِّرُ أهوالَ الساعةِ ثمَّ انتقلت إلى أدِلَّةِ البعثِ والنُّشور، تَنتقِلُ السورةُ لتقيمَ الأدِلَّةَ والبراهين على البعثِ بعدَ الفناء، ثمَّ الانتقال إلى دارِ الجزاء؛ لينالَ الإنسانُ جزاءَه إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشرّ.

* وتحدَّثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، حيث يكونُ الأبرارُ في دارِ النعيم، والفُجَّارُ في دارِ الجحيم.

* ثمَّ انتقلت للحديثِ عن الحكمةِ من الإذنِ بقتالِ الكفَّار، وتناولت الحديثَ عن القُرَى المُدَمَّرة بسبب ظلمِها وطغيانِها، وذلك لبيان سُنَّةِ الله في الدعوات، وتطميناً للمسلمين بالعاقبةِ التي تنتظرُ الصابرين.

* وفي ختام السورةِ ضَربت مَثلاً لعبادةِ المشركينَ للأصنام، وبيَّنت أنَّ هذه المعبودات أعجزُ وأحقرُ من أنْ تخلقَ ذبابةً فضلاً عن أنْ تخلقَ إنساناً سميعاً بصيراً، ودعت إلى اتباعِ ملَّةِ الخليلِ إبراهيم فهي كهفُ الإيمان، وركنُ التوحيد[٥٧٧].

---

(٥٧٣) «مُنْعَرَجُ الوادي بفتح الراء: منعطفه يمنةً ويسرةً». مختار الصحاح ص٤٦٧.

(٥٧٤) «المَزْلَقُ والمَزْلَقَةُ: الموضع الذي لا يثبت عليه قدم». المرجع السابق ص٢٨٠.

(٥٧٥) «الصَّرْفُ: التَّقَلُّبُ والحِيلةُ». لسان العرب ج٩/ص١٨٩.

(٥٧٦) الأساس ج٧/ص٣٥٢٠.

(٥٧٧) انظر: صفوة التفاسير ج٢/ص٢٤١، والتفسير المنير ج١٧/ص١٤٩، ١٥٠.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى﴾ بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها[٥٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّكْرَ: حالةٌ تَعترِضُ بين المرءِ وعقْله وأكثرُ ما يُستعْملُ ذلك في الشراب المُسْكِرِ وقد يكونُ من غضبٍ وعِشقٍ»[٥٧٩].

---

(٥٧٨) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٥.

(٥٧٩) تاج العروس ج ٣/ ص ٢٧٣، وانظر: المفردات ص٤١٦، والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٩١، والمعجم المفصل ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ الآيةُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة يعبِّرُ عن هول ذلكَ اليومِ وشدَّته.

يقول السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ من شدةِ الفزع والهول، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ أي: تحسَبُهم - أيُها الرَّائي لهم - سُكارَى من الخمر، وليسوا سُكارَى. ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فلذلك أذهبَ عقولَهم، وفرَّغَ قلوبَهم، وملأها من الفَزَع، وبلغَتِ القلوبُ الحناجرَ، وشخَصَت الأبصارُ، وفي ذلك اليومِ لا يَجزي والدٌ عن وَلَدِه، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً»(٥٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى﴾ تفيدُ أنَّ أهوالَ يوم القيامةِ تؤثِّرُ على أجسادِ الناس كما تؤثِّرُ الآفةُ التي تدخلُ على جسدِ الإنسانَ فتجعله يصابُ بالمرضِ والهلاك.

في حين أنَّ القراءة الثانية ﴿سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ بيَّنت تأثيرَ أهوالِ الساعةِ في عقولِ النَّاسِ وحركَتهم، بعد أنْ بيَّنت القراءةُ الأولى تأثيرَ أهوالِ القيامةِ في أجسادِهم حيثُ إنَّ أهوالَ يوم القيامة تؤثِّرُ في عقول الناس وتُضْعِفُ حركتهم فتجعلهم كالكُسالى.

يقول ابن خالويه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في توجيه القراءتين: «فالحجةُ لمن ضمَّ السِّين وأثبتَ الألف: أنّه لمَّا كان السُّكرُ يُضْعِفُ حركةَ الإنسان شُبِّه بكسلان وكُسالى.

(٥٨٠) تفسير السعدي ص ٥٣٢. وانظر تفسير البغوي ج٥/ص٣٦١.

والحجَّةُ لمن فتحَ وحذَفَ الألف: أنَّه لمَّا كان السُّكْرُ آفةٌ داخِلةٌ على الإنسانِ شُبِّه بمَرْضَى وهَلْكَى»[581].

ويقول ابن جنّي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فأمَّا في الجميع فيقال: سَكارَى بفتح السين، وسُكارَى بضمِّها، وسَكْرَى كَصَرْعَى وجَرْحَى. وذلك لأنَّ السُّكْرَ عِلَّةٌ لَحِقَت عقولَهم، كما أنَّ الصَّرْعَ والجُرح عِلَّةٌ لَحِقَتْ أجسامَهم. وفَعْلى في التكسير ممَّا يَخْتَصُّ به المُبْتَلَون كالمرضَى والسَّقْمَى»[582].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ أهوالَ يوم القيامة تُحْدِثُ في عقولِ الناسِ وأجسادِهم أثراً فيُصبحون كأنَّهم أُصيبوا بآفةٍ في أجسامهم جعلتهم كالمرَضى، كما أثَّرت على عقولهم وحركتهم فأضعفتها ممّا جعلهم يَبدون كالكُسالى الذين فقدوا نشاطهم فأصبحوا لا يَقوون على الحركة، وذلك في الحقيقة ليس بتأثير آفةٍ أصابتهم ولكنَّها أهوال القيامة، وزلزلة الساعة برهبتها، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَرَبَأَت﴾ بهمزة مفتوحة بعد الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَرَبَتۡ﴾ بحذف الهمزة فيهما[583].

---

(٥٨١) الحجّة في القراءات السبع ص ٢٥٢. وانظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٦٥.

(٥٨٢) المحتسب ج٢/ص٧٢. وانظر: طلائع البشر ص١٧٥.

(٥٨٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رَبَا الشيء: زاد»[584].

«ربت: أي زادت وانتفخت»[585].

ربأت: ارتفعت[586].

ثالثاً: التفسير:

يستدلُّ الله - تعالى - على إثباتِ البعثِ بالخلقِ الأولِ، وبإحياءِ الأرضِ الهامدةِ بنزول الماء عليها، «والهمود لا شك متسق مع ذكر الموتى وهم جثث هامدة، لا حراك فيها»[587].

وهو - سبحانه - في هذه الآية يخاطب عباده فيقول: يا أيُّها الناس إن كنتم من البعث في شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أنَّ الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب.

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سيعيده، وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام من تراب، ثُمَّ مِنْ منيّ، وهذا ابتداء أول التخليق، ثُمَّ تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دماً أحمر، ثُمَّ ينتقل الدم قطعة لحم، بقدر ما يمضغ، وتلك المضغة تارة تكون صوَّر منها خلق الآدمي، وتارة تقذفها الأرحام قبل تخليقها، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى، على تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبيِّن لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته.

ونبقي في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه

---

(584) مختار الصحاح ص267.

(585) النهر الماد ج2 من القسم الأول /ص488.

(586) انظر: التحرير والتنوير ج17/ص203.

(587) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ص 113.

إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ من بطون أمهاتكم طِفْلاً لا تعلمون شيئاً، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طوراً بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل، ويضمحل، كما زالت باقي القوة، وضعفت؛ لأجل ألاّ يعلم هذا المعَمَّر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولة ونقصها، وضعف الهرم ونقصه.

والدليل الثاني: إحياء الأرض بعد موتها، حيث تكون الأرض خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضرة، فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ تحركت بالنبات وارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ صنف من أصناف النبات الذي يبهج الناظرين، ويسر المتأملين»(٥٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَرَبَأَت﴾ معنَى الارتفاع، بمعنَى أنَّ الأرضَ ترتفعُ بنزولِ الماءِ عليها أي تتوسَّعُ رأسيًّا.

في حين أنَّ القراءةَ الثانيةَ ﴿وَرَبَتۡ﴾ أفادت معنَى الزيادة، أي أنَّ الأرضَ تزدادُ وتربو بنزولِ الماءِ عليها حيثُ تنتفخُ وتتوسَّعُ أُفقياً.

يقول ابن جنِّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «المسموعُ في هذا المعنَى رَبَتْ؛ لأنَّه من رَبَا يَرْبُو: إذا ذهبَ في جهاته زائداً، وهذه حالُ الأرضِ إذا ربَتْ. أمَّا الهمزُ فمن رَبَأْتُ القوم: إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظرَ لهم وتحفظهم. وهذا إنَّما فيه الشخوصُ والانتصاب، وليس له دلالةٌ على الوفور، والانبساط، إلاَّ أنَّه يجوزُ أنْ يكون ذهابه إلى علو الأرض، لما فيه من إفراط الرُّبُوّ، فإذا وُصِفَ علوّها دلَّ على أنّ الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها؛ فلذلك هَمَز، وأخذه

(٥٨٨) انظر: تفسير السعدي ص٥٣٣، والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٩٦ ـ ٢٠٣.

من رَبَأْتُ القوم، أي: كنت لهم طليعة. وهذا مما يذكر أحد أوصافه، فيدلُّ على بقيَّةِ ذلك وما يصحبه»[٥٨٩].

هكذا بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الأرضَ الهامدةَ ترجعُ لها الحياة بنزول الماء عليها فتهتزّ وتربو وتتوسَّعُ في جميع اتجاهاتها أُفقياً ورأسيّاً، فتنبتُ النبات الذي يحفظُ حياة الإنسان والحيوان، وهذا من عظيم قدرة الله تعالى، وهو أحد دليلين ذكرتهما الآية على إثبات قدرة الله ـ تعالى ـ على البعث، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٩﴾ [الحج: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء[٥٩٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الضَّلال: العُدولُ عن الطريقِ المستقيم، ويضادُّه الهدايةُ، ويقالُ الضلالُ لكلِّ عدولٍ عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنَّ الطريقَ المستقيمَ الذي هو المرتضَى صعبٌ جداً.

ثالثاً: التفسير:

يتوعد الله ـ تعالى ـ من يجادلُ في الله مُتَكَبِّراً بغير علم بعذاب الخزي في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة. يقول أبو عبيدة في قولِه تعالى: ﴿ثَانِيَ

(٥٨٩) المحتسب ج٢/ص٧٤. وانظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٤٠٥. والهادي ج٣/ص٦٣.

(٥٩٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٩٦.

عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ﴾: «يُقال: جاءني فلانٌ ثانيَ عِطفِهِ أي: يَتَبَخْتَرُ من التَّكَبُّر»[591].

يقول الشوكاني: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ على الحال من فاعل يجادل، والعطف الجانب وعطف الرجل جانباه من يمين وشمال وفي تفسيره وجهان:

الأول: أنَّ المرادَ به من يلوي عُنقَه مَرحاً وتكبُّراً، وهذا يوصف به المُتَكبِّر والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله متكبراً، قال المبرد[592]: العطف ما انثنى من العنق.

والوجه الثاني أنَّ المرادَ بقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ الإعراضُ: أي معرضاً عن الذِّكْر، واللام في ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ متعلقٌ بيجادل: أي إنَّ غَرضَه هو الإضلالُ عن السبيل، وإنْ لم يَعترف بذلك، وقرىءَ لِيَضِلَّ بفتح الياء على أنْ تكونَ اللام هي لامَ العاقبةِ كأنَّه جعلَ ضلالَه غايةً لجدالِه، وجملة ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ مستأنفةٌ مبيّنةٌ لمَا يحصلُ له بسببِ جدالِه من العقوبةِ والخِزْي المُذِل وذلك بما ينالُه من العقوبةِ في الدنيا من العذاب المُعَجَّلِ وسوءُ الذكر على ألسُنِ الناس، وقيل: الخزيُ الدنيويُّ هو القتلُ كما وقعَ في يوم بدر. ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي عذابَ النَّارِ المُحرِقة[593].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة ﴿لِيَضِلَّ﴾ وقوعَ الضَّلالِ على نفسه أي يِضِلَّ هو في نَفسِه وذلك باختياره طريقَ الضَّلالِ وابتعادِه عن طريقِ الهُدَى.

---

(591) مجاز القرآن ج٢/ص٤٥.

(592) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ممن كتبه: الكامل، والمقتضب، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. انظر: الأعلام ج٧ / ص١٤٤.

(593) انظر: فتح القدير ص ١١٥٦.

أمَّا القراءة ﴿لِيُضِلَّ﴾ فقد دلَّت على إضلالِه غيرَه من الناسِ عن طريق جدالِه بالباطل.

يقول أبو حيَّان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «(لِيَضِلَّ) بفتح الياء أي (لِيَضِلَّ) في نفسه، والجمهور بضمِّها أي: (لِيُضِلَّ) غيره، وهو يترتب على إضلاله كثرةَ العذاب، إذْ عليه وِزرُ من عملَ به. ولما كان مآل جِداله إلى الإضلال كانَ كأنَّه علَّةٌ له، وكذلك لما كان مُعرِضاً عن الهُدَى مُقبلاً على الجِدال بالباطلِ كان كالخارجِ من الهُدى إلى الضَّلال»(٥٩٤).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ توعَّدَ من ضلَّ في نفسه باختياره طريق الضلال وأضلَّ غيره وهو يجادل بالباطل بالعذابِ الدُّنيويِّ بسوء الذِّكرِ والخِزْيِ في الدنيا، وبعذابِ الحرقِ بالنارِ يوم القيامة، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن مهران عن روح وزيد عن يعقوب ﴿خاسِرَ الدنيا والآخرةِ﴾ بإثبات الألف على وزن فاعل وخفضِ الآخرة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بغير ألف مع نصب الآخرة(٥٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خسر: الخُسْرُ والخُسْران: انتقاصُ رأسُ المال، ويُنسَبُ ذلك إلى الإنسان فيقال: خَسِرَ فلانٌ، وإلى الفعل فيقال: خَسِرَت تِجارَته قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] ويستعمل ذلك في المقتنيات

(٥٩٤) تفسير البحر المحيط ج٦/ص٣٢٩. وانظر: تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧٠.

(٥٩٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥، ٣٢٦.

الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين وقال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]. . . يجوزُ أنْ يكونَ إشارةً إلى تحرِّي العدالةِ في الوزن وتركِ الحَيْفِ فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوزُ أنْ يكونَ ذلك إشارةً إلى تعاطي مالاً يكونُ به ميزانُه في القيامةِ خاسراً فيكون ممن قال فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩] وكلا المعنيين يتلازمان، وكلُّ خُسرانٍ ذكره الله ـ تعالى ـ في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية»(٥٩٦).

ثالثاً: التفسير:

تَصِفُ هذه الآيةُ نوعاً مُذَبذَباً من الناس خسِرَ الدُّنيا والآخرة بسبب ضعف إيمانه وعدم ثباته على الحقّ.

وقد أخرج البخاري عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ في سبب نزول هذه الآية أنّه قال: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ. . .﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء)(٥٩٧).

ويقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذُهِبَ في بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً ذهبَ بصري ومالي وولدي، فنزلت ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ. . .﴾ الآية»(٥٩٨).

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ

---

(٥٩٦) المفردات ص٢٨١.

(٥٩٧) انظر: صحيح البخاري ج٤/ ص١٧٦٨ / ح ٤٤٦٥، كتاب التفسير، سورة الحج.

(٥٩٨) لباب النقول ص ١٤٨.

﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾: شروعٌ في بيانِ حالِ المُذبذبين إثرَ بيانِ حالِ المُجاهـرين أي ومنهُم من يعبدُه سبحانه وتعالى على طَرَفٍ من الدِّين لا ثباتَ له فيه كالَّذي ينحرفُ إلى طَرَفِ الجيشِ فإنْ أحسَّ بظَفرٍ قَرَّ، وإلاّ فَرَّ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي دنيويٌّ من الصِّحَّةِ والسَّعةِ، ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ أي: ثبتَ على ما كانَ عليهِ ظاهراً، لا أنَّه اطمأنَّ به اطمئنانَ المُؤمنينَ الذينَ لا يلويهم عنه صارفٌ، ولا يثنيهم عاطفٌ. ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ أي شيءٌ يُفتتنُ به من مكروهٍ يعتريهِ في نفسِه أو أهلِه أو مالِه. ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ رُوي أنَّها نزلتْ في أعاريبَ قدِمُوا المدينةَ وكانَ أحدُهم إذَا صحَّ بَدَنُه ونُتجتْ فرسُه مُهراً سَرِيّاً وولدتِ امرأتُه ولداً سَوِيّاً وكثُر مالُه وماشيتُه قال: ما أصبتُ منذُ دخلتُ في ديني هذا إلاَّ خَيْراً واطمأنَّ، وإن كانَ الأمرُ بخلافِه قال: ما أصبتُ إلاَّ شرّاً وانقلبَ. وعن أبي سعيدِ الخُدريِّ ﷺ: أنَّ يهُوديّاً أسلمَ فأصابتْهُ مصائبُ فتشاءَم بالإسلام فأتى النبيَّ ﷺ فقالَ: أقِلْني، فقال ﷺ: (إنَّ الإسلامَ لا يُقال...)[599]. فنزلت، وقيل: نزلتْ في المؤلَّفةِ قلوبُهم.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ فقدَهُما وضيَّعهما بذهابِ عصمتِه وحبوطِ عملِه بالارتدادِ. وقُرِىء خاسرَ بالنَّصبِ على الحالِ، والرَّفعُ على الفاعليةِ. ووضعُ الظَّاهرِ موضعَ الضَّميرِ تنصيصاً على خُسرانِه أو على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذُكر من الخُسران وما فيه من معنى البُعد للإيذانِ بكونه في غايةِ ما يكونُ ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ الواضحُ كونُه خُسراناً إذ لا خُسرانَ مثله»[600].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوضح الدكتور فاضل السامرائي أنَّ ورود الفعل في القرآن يدلُّ على الحدوث والتجدُّد في حين أنَّ الاسم يدلُّ على الثبوت حيث يقول: «فمن المعلوم أنَّ الفعلَ يدلُّ على الحدوثِ والتجدُّد، والاسم يدلُّ على

(٥٩٩) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ / ص ١٤. وانظر: ضعفاء العقيلي ج٣/ ص٣٦٨.

(٦٠٠) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧١.

الثبوت»[٦٠١]. واستناداً على ذلك فإنَّ:

القراءة الأولى ﴿خاسِرَ الدنيا والآخرةِ﴾ تفيد ثبوت خسرانه خير الدنيا والآخرة حيثُ سُمِّيَ خاسراً للدنيا والآخرة، فقد عبَّرَ باسم الفاعل ليجعلَ صفةَ الخُسرانِ ملازمةً له ثابتةً في حقِّه.

أمَّا القراءة الثانية ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ فإنَّها تفيدُ معنى تجَدُّد خسرانه الدنيا والآخرة كلَّما أصابته فتنةٌ من الفتن حيث عبَّرَ بالفعل (خَسِرَ) الذي يدلُّ على تجدُّد الحدَث.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والخسران: تلفُ جزءٍ من أصلِ مالِ التجارة، فشبَّه نفعَ الدنيا ونفعَ الآخرةِ بمالِ التاجرِ الساعي في توفيره لأنَّ الناسَ يرغبون في تحصيله، وثنى على ذلك إثبات الخسران لصاحبه، الذي هو من مرادفات مال التجارة المشبه به، فشبَّه فوات النفع المطلوب بخسارة المال. وتعليق الخسران بالدنيا والآخرة على حذف مضاف. والتقدير: خسر خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة. فخسارةُ الدنيا بسبب ما أصابه فيها من الفتنة، وخسارةُ الآخرةِ بسبب عدمِ الانتفاع بثوابها المرجوّ له. والمبين: الذي فيه ما يبين للناس أنه خسران بأدنى تأمل. والمراد أنه خسران شديد لا يخفى»[٦٠٢].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح من معنى الآية ما يجعلنا نَحذَرُ من التذبذُبِ وعدمِ الثَّبات على الإيمان لأنَّ ذلك المُذَبْذَب يخسرُ بسبب ما أصابَه من الفتنةِ خيرَ الدنيا، ويخسرُ بسبب عدم انتفاعه بثوابِ الصَّبرِ على تلك الفتنة خيرَ الآخرة، حتى يكونَ ذلك الخُسرانُ مُلازماً لصاحبه ثابتاً له فيُنْعَتُ به ويُصبح: خاسرَ الدنيا والآخرة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ

(٦٠١) التعبير القرآني ص٢٢. وانظر: معاني الأبنية ص ٩، ١١.

(٦٠٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢١٤.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لْيَقْطَعْ﴾ بإسكان اللام(٦٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قَطَعَ: القطعُ: فصلُ الشيء مُدركاً بالبصر كالأجسام، أو مُدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة»(٦٠٤).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تحدٍّ واضحٌ لكلّ من يشعر بالغيظ من نزول وحي الله على نبيِّه ﷺ، ونصحه بالرجوع إلى الله ـ تعالى ـ لعدم جدوى أيّ وسيلةٍ أخرى أمامه.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الآية: «أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأنَّ دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ذلك الظَّانّ ﴿بِسَبَبٍ﴾ أي: حبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وليرقى إليها ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ النصر النازل عليه من السماء. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ أي: ما يكيد به الرسول، ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي (وأنَّه) لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب.

ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله أنَّ سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب

---

(٦٠٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٠٤) المفردات ص ٦٧٧.

غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول ـ إن كان ممكناً ـ ائت الأمر من بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم»[٦٠٥].

ويقول الدكتور فضل حسن عباس: «قالوا: إنَّ الباء زائدة، والتقدير: (فليمدد سبباً)، أي: فليمدد حبلاً، والغواصون من أجل التقاط المعاني لا يرضون هذا القول، لأنّه ليس المقصود المد وحده، فقد يمد الشخص حبالاً كثيرة من غير أن تكون له بها صلة مباشرة، ولكن المقصود أنْ يصل هو نفسه بهذا الحبل الممدود إلى أعلى.

تلك هي بلاغة القرآن في استعمال الحرف حيناً، وتركه حيناً آخر»[٦٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿لِيَقْطَعْ﴾ الأمر من الله ـ تعالى ـ لهذا الإنسان بمدِّ حبلٍ إلى السماء في الحقيقة، وأن يصل هو نفسه بهذا الحبل الممدود إلى أعلى ليفعل ما يُذهب غيظه، وقد جاءت لام الأمر مكسورة على أصلها لتناسب ذكر السماء على أصلها.

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقال آخرون: المراد منه السماء

(٦٠٥) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦٠٦) سلامة الحرف من الزيادة والحذف ص ٣١.

نفسها فإنه يمكن حمل الكلام على السماء نفسها فهو أولى من حمله على سماء البيت، لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيداً، ولأن الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك، بل الغرض أن يكون ذلك صارفاً له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى، وإذا كان كذلك فكل ما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد ومعلوم أن مد الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت، لأن ذلك ممكن»(٦٠٧).

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿لِيَقْطَعْ﴾ التخفيف عن هذا المُغتاظ من نصر الله لنبيِّه بالإشارة عليه بأمر يسهل فعله وهو مدُّ حبلٍ إلى سقف البيت فيخنق نفسه به حتى يُذهب غيظه.

ويقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ـ**: «اختلفوا في السماء: فمنهم من قال هو سماء البيت، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة، فقالوا المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله، ثم يغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاختنق، فلينظر أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وعلى هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم: سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، وسمي فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء إلا أنه لم يكد به محسوده وإنما كاد به نفسه، والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ. وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يشد الحبل في عنقه وفي سقف البيت، ثم ليقطع الحبل حتى يختنق ويهلك، هذا كله إذا حملنا السماء على سقف البيت وهو قول كثير من المفسرين»(٦٠٨).

بالجمع بين القراءتين يظهرُ أمرٌ ليس على حقيقته وإنَّما هو إشارةٌ على ذلك المُغتاظ من نصر الله لنبيِّه بأن يتَّخذَ أحد أمرين ليُذهِبَ غيظَه، وذلك

---

(٦٠٧) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٦.

(٦٠٨) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٦.

إمَّا بمدِّ حبلٍ إلى سماء بيته ليختنق به، وإمَّا أنْ يَمُدَّ حبلاً إلى السماءِ الحقيقية ليمنعَ النَّصرَ من النزول للنبي ﷺ وهذا غيرُ مُمكنٍ، وإنَّما للحثِّ على صرفِه عن غيظِه ورجوعِه إلى طاعةِ الله تعالى، والله أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿والصابين﴾ بحذف الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بإثبات الهمزة[٦٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صبا: الصبيّ: من لم يبلغ الحلم ورجلٌ مُصْبٍ: ذو صِبيان. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

الصَّابئون: قومٌ كانوا على دين نوح، وقيل لكل خارج من الدين إلى دينٍ آخرَ صابئٌ، من قولهم: صَبَأَ نابُ البعيرِ: إذا طَلَع[٦١٠].

ثالثاً: التفسير:

تُحَذِّرُ الآية جميع طوائف أهل الأرضِ من مؤمنين وغيرهم بأنَّ الله ـ تعالى ـ سيجمعهم يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي هي مُدَوَّنة في صحائف أعمالهم، والله ـ تعالى ـ خير شاهدٍ على كلِّ شيء.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعُهم جميعَهم ليوم القيامة، ويفصل

(٦٠٩) انظر: النشر ج١/ص٣٩٧.

(٦١٠) انظر: المفردات ص٤٧٥.

بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾»(٦١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿والصَّابِين﴾ أنَّهم الذين مالوا عن دينهم إلى دينٍ آخر.

بينما قراءة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ أنَّهم الذين خرجوا من دينهم إلى دينٍ آخر.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ يُقرأ وما شاكله بالهمز وتركه. فالحجة لمن همز: أنَّه مأخوذٌ من: صَبأَ فلان: إذا خرج من دينٍ إلى دين.

والحجَّةُ لمن لم يهمز: أن يكون أراد الهمز، فليَّنَ وتركَ، أو يكون أخذه من صبا يصْبو: إذا مال. وبه سُمِّيَ الصَّبِيُّ صَبيّاً لأنَّ قلبه يميلُ إلى كلِّ لعبٍ لفراغه»(٦١٢).

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الصابئون: قوم يعبدون الملائكةَ، ويصلُّون للقبلة، ويقرءون الزبور»(٦١٣).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الصَّابئين قومٌ خرجوا من دينهم ومالوا إلى دينٍ آخرَ(٦١٤) وهم يُصلُّون إلى جهة القبلة، كما أنَّ قلوبَهم فارغةٌ من كلِّ ثباتٍ ويقينٍ فهيَ تميلُ إلى غير دينِها مثل قلوب الصبيان، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩].

(٦١١) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦١٢) الحجَّة في القراءات السبع ص٨١، وانظر: حجَّة القراءات ص١٠٠.

(٦١٣) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص ١٥٣. وانظر: روح المعاني ج١٧/ص١٩١.

(٦١٤) انظر: رسالة ماجستير الملاحي ص٨٣.

أولاً: القراءات:

١ ـ وقرأ ابن كثير ﴿هٰذَانِّ﴾ بتشديد النون ومدِّ الألف قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿هَٰذَانِ﴾ بتخفيف النون[٦١٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هذان: مبني لدلالته على الإشارة»[٦١٦].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية مثالٌ لجمع الله ـ تعالى ـ جميع طوائف الناس يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل، ومنهم هذان الخصمان اللذَان تتحدَّث عنهما هذه الآية.

وقد ذكر البخاري سبب نزول هذه الآية حيث يقول: «قال قيس بن عباد[٦١٧]: وفيهم أنزلت ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾. قال هم الذين تبارزوا يوم بدر[٦١٨]»[٦١٩].

يقول ابن عطية في بيان معنى هذه الآية: «والمعنى: أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب،

---

(٦١٥) انظر: النشر ج٢/ص ٢٤٨، ٣٢٦.

(٦١٦) مغني اللبيب ص٥٨.

(٦١٧) هو قيس بن عُبَاد القيسي الضبعي، نزيل البصرة، له إدراك، ذكره بن قانع في الصحابة وأورد له حديثاً مرسلاً وقال بن أبي حاتم وغيره قدم المدينة في خلافة عمر فروى عنه وعن أبي ذر وعلي وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وذكر أبو مخنف أنه من جملة من قتلهم الحجاج ممن خرج مع ابن الأشعث. انظر: الإصابة ج٥/ ص٥٣٥.

(٦١٨) هم حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

(٦١٩) أخرجه البخاري في صحيحه ج٤/ص١٤٥٨/ح٣٧٤٧. وانظر: لباب النقول ص١٤٨. والمسند الصحيح ص١٥٥. وأسباب النزول للواحدي ص ٢٣٦. والمصنف الحديث ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

وقوله تعالى: ﴿خَصۡمَانِ﴾ يريد طائفتين لأن لفظة خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على أنه أراد الجمع قوله ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ فإنها قراءة الجمهور... وقوله ﴿فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ معناه في شأن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل أن يريد في رضاء ربهم وفي ذاته، ثم بين حكمي الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذاب جهنم، و﴿قُطِّعَتۡ﴾ معناه جعلت لهم بتقدير، كما يفصل الثوب، وروي أنها من نحاس وقيل ليس شيء من الحجارة والفلز أحر منه إذا حمي، وروي في صب ﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾ وهو الماء المغلى أنه تضرب رؤوسهم بـ (المقامع)[٦٢٠] فتنكشف أدمغتهم فيصب ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾ حينئذ، وقيل بل يصب أولاً فيفعل ما وصف، ثم تضرب بـ(المقامع) بعد ذلك، ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾ الماء المغلى، و﴿يُصۡهَرُ﴾ معناه يذاب، وقيل معناه يعصر ...، وقيل معناه ينضج»[٦٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿هَٰذَانِّ﴾ كثرة الفِرَق والطوائف المُتخاصمة، وتكرار التخاصُم، كأنَّه خِصامٌ بعد خصامٍ بينها؛ حيثُ التشديدُ يفيد التكثير والتكرير.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»[٦٢٢].

بينما قراءة ﴿هَٰذَانِ﴾ بالتخفيف أنَّ المُتخاصمين معروفون وليسوا مبهمين حيثُ التخفيف هنا إجراءُ المبهمِ مُجْرَى الأسماءَ المعروفة.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ: «وحجّة من شدَّدَ النون أنَّ في ذلك ثلاثة أقوال:

---

(٦٢٠) «قمع: المِقْمَعَةُ بالكسر واحدة المَقَامِع من حديد، كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل، وقَمَعَهُ: ضربه بها، وقمعه وأقْمَعَهُ أي: قهره وأذله فانْقَمَعَ». مختار الصحاح ص٥٦٠.

(٦٢١) المحرر الوجيز ج ٤ / ص ١١٤. وانظر: تفسير ابن أبي زمنين ج٢/ ص ٢٥.

(٦٢٢) الكشف ج٢/ص٩١.

الأول: أنَّه شدَّدَ النون، ليكون التشديد عِوضاً من الحذف، الذي دخل هذه الأسماء المبهمة في التثنية، لأنَّه قد حُذِفَ ألفٌ منها، لالتقاء الساكنين، وهما الألف التي كانت في آخر الواحد، وألف التثنية، فجعل التشديد في النون عوضاً من المحذوف.

الثاني: أنَّ التشديد وَجَبَ لهذه النون، للفرق بين النون، التي هي عِوض من تنوينٍ ملفوظ به في الواحد، نحو: زيد وعمرو، وبين النون التي لا تنوين في الواحد ملفوظ به، تكون النون عوضاً منه.

والثالث: أنَّ النون شُدِّدَت للفرق بين النون، التي تُحذَف للإضافة، لأنَّ المُبهَم معرفة، فهو لا يُضاف البتة...

وحجَّة من خَفَّفَ أنَّه أجرى المُبهم مُجْرَى سائرِ الأسماء، فخَفَّفَ النون، كما تُخفَّفُ في كلِّ الأسماء، وهو الاختيار، وعليه أتى كلام العرب، وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء»[٦٢٣].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله ـ تعالى ـ يجمعُ يوم القيامةِ أهلَ الطوائفِ الذين اختصموا في شأنِ ربِّهم على اختلافِ أسمائهم وانتماءاتهم، وهو العليم بهم، ويفصِلُ بينهم على رغم كثرتهم وتكرار تخاصمهم، كما توَعَّدَ الكافرين منهم بما أعدَّه لهم من عذاب النار المُحرِقَة، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وحفص، ويعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بنصب الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأ شعبة، وأبو جعفر ﴿وَلُولُؤاً﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً ساكنة مدِّيَّة مع نصب الهمزة الثانية.

(٦٢٣) المرجع السابق ج١/ ص٣٨٢. وانظر: معاني القراءات ص١٢٢.

٣ ـ وقرأ السوسي ﴿ولوْلُؤِ﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً ساكنةً مدِّيَّةً مع خفض الهمزة الثانية.

٤ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلؤلؤِ﴾ بخفض الهمزة الثانية[٦٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لألأ: اللُّؤْلُؤَةُ: الدُّرَّةُ، والجمعُ: اللُّؤْلُؤُ والَّلآلِئُ[٦٢٥].

ثالثاً: التفسير:

يبَشِّرُ الله ـ تعالى ـ في هذه الآية المؤمنين بما أعدَّه لهم من ألوان النعيم في الجنَّة.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في بيان هذه الآية: «بيان لحسن حال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الأسلوب فيها بإسناد الإدخال إلى الله ـ عز وجل ـ وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذاناً بكمال مباينةِ حالهم لحالِ الكفرةِ وإظهاراً لمزيدِ العنايةِ بأمرِ المؤمنين، ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية، وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس، أي: يحلِّيهِم الملائكةُ بأمرِهِ تعالى، وقرىءَ يحلَّونَ من حليةِ المرأةِ إذا لبِسَت حليتَها، ومن في قوله تعالى ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ إما للتبعيض أي: بعض أساور وهي جمعُ أسورةٍ جمعُ سوارٍ، أو للبيانِ لمَّا أنْ ذَكَرَ التحليةَ ممَّا يُنَبِىءُ عنِ الحُليِّ المُبهم وقيل: زائدة، وقيل: نعتٌ لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للأساور ولؤلؤاً عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أي يؤتون وقرىء بالجر عطفاً على أساور وقرئ ﴿لؤلواً﴾ بقلب الهمزة الثانية واواً، ولولياً بقلبها ياء بعد قلبهما واواً، وليلياً بقلبهما ياء، ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ غيّر الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريراً، لكنْ لا للدلالة على أنَّ الحريرَ ثيابُهم المُعتادة، أو

(٦٢٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦. والبدور الزاهرة ص٢١٢.

(٦٢٥) لسان العرب ج ١ / ص ١٨١.

لمجَردِ المحافظةِ على هيئةِ الفواصِلِ، بل للإيذان بأنَّ ثبوتَ اللباسِ لهم أمرٌ مُحَقَّقٌ غنيٌّ عن البيانِ، إذ لا يمكنُ عراؤُهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أنَّ لباسَهم ماذا بخلافِ الأساورِ واللؤلؤ؟ فإنها ليست من اللوازم الضرورية، فجعلَ بيانَ تحليتِهم بها مقصوداً بالذات، ولعلَّ هذا هو الباعث إلى تقديم بيانِ التحليةِ على بيانِ حالِ اللباس»[٦٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب أنَّ المؤمنين يُحَلَّون في الجنَّةِ لؤلؤاً خالصاً.

كما أفادت قراءةُ ﴿ولؤلؤٍ﴾ بالخفض أنَّ المؤمنين يُحَلَّونَ أساورَ من الذهبِ المُرَصَّعِ باللؤلؤ.

أمَّا القراءتان ﴿ولوْلُؤاً﴾، ﴿ولوْلُؤٍ﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً مدِّيَّةً في القراءتين السابقتين فإنَّها تفيد أنَّ حصول المؤمنين على اللؤلؤ دائمٌ، ومُيَسَّرٌ لهم، وسهل المنال بلا جهدٍ ولا مشقَّةٍ.

يقول ابن أبي مريم: «وقرأ يعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب. . .والوجه في نصبِه أنَّه محمولٌ على قوله ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، كأنه قال: ويُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤاً، يقالُ حَلَّيْتُهُ بالذَّهَبِ وحَلَّيْتُهُ الذَّهَبَ.

وأمَّا الهمزتان في اللؤلؤ فيجوز تحقيقهما على الأصل، وتخفيفهما أيضاً بأنْ تُقْلَبَ كلّ واحدة منهما واواً، ويجوزُ أنْ تخَفَّفَ الأولى وتُحَقَّق الثانية، وأنْ تُحقَّق الأولى وتُخَفَّف الثانية، والتخفيف هَاهنا بأنْ تُقْلَبَ الهمزةُ واواً، والتحقيقُ بأنْ تُتْرَكَ همزةً.

وقرأ الباقون ﴿ولؤلؤٍ﴾ بالجرّ في السورتين، والوجه أنّه معطوفٌ على ﴿ذَهَبٍ﴾ من قوله ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، كأنَّه قال: أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ ومنْ لؤلؤٍ»[٦٢٧].

---

(٦٢٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٦٢٧) الموضح: ج٢ ص٨٧٦، ٨٧٧. (بتصرف بسيط).

ويقول الألوسي: «ولؤلؤٍ بالخفض عطفاً على (أساورَ) أو على (ذهبٍ) لأن السّوارَ قد يكونُ من ذهبٍ مرصعٍ بلؤلؤٍ وقد يكون من لؤلؤٍ فقط كما رأيناه، ويسمى في ديارنا خصراً وأكثرُ ما يكون من المُرجان»[628].

بالجمع بين القراءات الأربع يتحقّق أنَّ الله تعالى أعدَّ للمؤمنين في الجنةِ نعيماً كثيراً حيثُ يلبسون لؤلؤاً خالصاً، كما يلبسون أساور الذهب المُرَصَّع باللؤلؤِ الصغيرِ، الذي يُسَمَّى مرجاناً، وهم ينالون ذلك كلّه بيسر، وسهولةٍ، وديمومة فلا يَحُول بينهم وبين الحصول عليه غلاءُ ثمنٍ، ولا قلّةُ مالٍ فقد نالوا الجنّةَ التي هي أغلَى من أيِّ ثمن، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٢٥﴾ [الحج: ٢٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾:

١ ـ قرأ حفص عن عاصم ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَوَاءٌ ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع[629].

القراءات في ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾:

١ ـ وقرأ ورش، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿وَٱلْبَادي﴾ بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأ ابن كثير، ويعقوب ﴿والبادي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً[630].

---

(٦٢٨) روح المعاني ج١٧/ص٢٠٢.

(٦٢٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سواء: بمعنى عدل»[٦٣١].

العاكف: المقيم به الحاضر.

البادي: الطارىء من البدو وهو النازع إليه من غربته، وقال بعضهم يدخل في العاكف القريب إذا جاور ولزمه للتعبد وإن لم يكن من أهله[٦٣٢].

بدا: بدا الشيء بدوًا، وبداءً، أي: ظهر ظهوراً بيِّناً، والبدو خلاف الحضر، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ...﴾ [يوسف: ١٠٠] أي البادية: وهي كل مكان يبدو ما يعنّ فيه، أي: يعرض، ويقال للمقيم في البادية: بادٍ، كقوله تعالى: ﴿...سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ...﴾[٦٣٣].

ثالثاً: التفسير:

في الآيةِ تحذيرٌ للذين جمعوا بين الكفر والصدِّ عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان بأن يذيقهم الله ـ تعالى ـ العذاب الأليم.

يقول السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يخبرُ تعالى عن شناعةِ ما عليه المشركونَ الكافرون بربِّهم، وأنَّهم جمعوا بين الكفرِ باللهِ ورسوله، وبينَ الصدِّ عن سبيلِ اللهِ ومَنْع الناسِ من الإيمان، والصدِّ أيضاً عن المسجدِ الحرام، الذي ليسَ ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناسُ فيه سواء، المقيمُ فيه، والطارئُ إليه، بل صدُّوا عنه أفضلَ الخلق محمداً وأصحابَه، والحالُ أنَّ هذا المسجد الحرام، من حرمته واحترامه وعظمته، أنَّ من يُرِدْ فيهِ بإلحادٍ بظلمٍ نذِقْهُ من عذاب أليم.

فمجردُ إرادةِ الظلمِ والإلحادِ في الحَرَم، مُوجِبٌ للعذاب، وإنْ كانَ

(٦٣١) دقائق لغة القرآن ج١/ص٧٣. وقد ذكرت معناها عند الحديث عن (مكاناً سوى) في سورة طه ص ٥٤.

(٦٣٢) انظر: تفسير الرازي ج٢٣/ص٢٤.

(٦٣٣) انظر: المفردات ص ١١٣.

غيره لا يعاقَبُ العبدُ عليه إلا بعملِ الظلم، فكيفَ بمن أتى فيهِ أعظَمَ الظُّلم، منَ الكُفر والشِّرك، والصَّدِّ عن سبيله، ومَنْعِ من يريدُهُ بزيارة، فما ظَنُّكم أنْ يَفْعَلَ اللهُ بهم؟»[٦٣٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ جعلَ البيت الحرام سواءً للمقيم والزائر.

أمَّا قراءة ﴿سَوَاءٌ ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع فقد أفادت أنَّ المُقيمَ والزائرِ لبيت الله الحرام يستويان في حق السكن والعبادة فيه.

يقول الفخر الرَّازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «رُفع على أنه خبر مبتدأ مقدم أي العاكف والباد فيه سواء، وتقدير الآية المسجد الحرام الذي جعلناه للناس منسكاً فالعاكف والبادي فيه سواء وقرأ عاصم ويعقوب (سواءً) بالنصب بإيقاعِ الجعلِ عليه؛ لأنَّ الجعلَ يتعدَّى إلى مفعولين، والله أعلم»[٦٣٥].

أمَّا قراءة ﴿وَٱلْبَادي﴾ فإنَّ المقصود بها الزائر لبيت الله الحرام المُطيل لزيارته.

في حين أنَّ قراءة ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ يُقصدُ بها الزائر الذي لا تطول زيارته لبيت الله الحرام.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»[٦٣٦].

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكرَ أصلاً عامًّاً في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ

(٦٣٤) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

(٦٣٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص ٢٣.

(٦٣٦) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.

ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»(٦٣٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ قد جعل البيت الحرام سواءً وعدلاً في العبادةِ وفي الإقامةِ بين المقيمِ في مكةَ الملازم لبيته الحرام فيها، والمسافر الذي يحضرُ من البادية للعبادة، سواءً أطالت زيارته أم قَصُرَت، فإنَّ له حقَّ العبادة والإقامة في بيت الله الحرام، ولا يحقُّ لأيٍّ من العاكف أو البادي منعَ الآخر من هذين الحقَّين اللذَيْن جعلهما الله ـ تعالى ـ لكلٍّ منهما سواءً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾:

١ ـ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ بكسرِ اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾ بإسكان اللام.

القراءات في: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾

١ ـ قرأ ابن ذكوان ﴿وَلِيُوفوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوْا﴾ بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ شعبة ﴿وَلْيُوفوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوْا﴾ بإسكان اللام وفتح الواو وتشديد الفاء من (ولْيُوَفُّوا).

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ بإسكان اللام منهما(٦٣٨).

---

(٦٣٧) التعبير القرآني ص٨٠.

(٦٣٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً»[٦٣٩].

«**وفَى**: الوافي: الذي بلغَ التَّمام ... وفَى بعهده يفي وفاءً وأوفَى: إذا تمَّمَ العهدَ ولم ينقضْ حفظَه»[٦٤٠].

«**الطّوف**: المشي حولَ الشيءِ ومنه: الطائفُ لمن يدورُ حولَ البيوتِ حافظاً»[٦٤١].

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: «أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام، ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا، ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتق: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً، لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما قبله وسائل إليه.

ولعله - والله أعلم أيضاً - لفائدة أخرى، وهو: أنَّ الطَّوافَ مشروعٌ كلَّ وقتٍ، وسواءٌ أكان تابعاً لنُسُك، أم مستقلاً بنفسه»[٦٤٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لِيَقْضُواْ﴾ أمرَ الحجاجِ والمعتمرين بالتحلُّلِ من إحرامِهم بعد أنْ يُتِمُّوا أداءَ مناسِكهم.

في حين أنَّ قراءة ﴿لْيَقْضُواْ﴾ أشارت إلى الأخذِ بالرُّخصِ التي أباحَها

(٦٣٩) المفردات ص٦٧٤.

(٦٤٠) المرجع السابق ص٨٧٨.

(٦٤١) المرجع السابق ص٥٣١.

(٦٤٢) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

الإسلامُ لأجلِ التسهيل والتيسير في التحلُّل من الإحرام وإذهاب ما لحقَهم من أذىً خلالَ فترةِ الإحرام.

أمَّا قراءة ﴿وِلِيُوفوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ فقد أفادت حثَّ الحجَّاجِ والمعتمرين على إيفاءِ نذورِهم على أصولِها كما نَذَروها، والإكثارِ من الطواف بالبيت.

في حين أفادت قراءة ﴿ولْيُوَفُّوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ الحثَّ على أنْ يوَفُّوا نذورَهم بغير تكلُّفٍ ومشقَّة بأخذهم بالرُّخص التي أباحها الله - تعالى - لهم، وأنْ يكثِروا منها ومن الطواف حول الكعبة المشرَّفة.

كذلك فإنَّ قراءةَ ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ تفيد أخذَ الحجاجِ والمعتمرين بالرُّخَصِ الشرعيةِ التي شرَعها لهم الدِّين في إيفائِهم بالنُّذورَ، وكذلك عندَ الإكثارِ من الطَّوافِ بالبيت الحرام.

يقول الرازي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: أصلُ التَّفث في كلام العربِ: كلُّ قاذورةٍ تلحقُ الإنسانَ فيجبُ عليه نقضُها. والمراد هَهُنا قصُّ الشَّاربِ والأظفارِ ونتف الإبط وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالةُ التَّفث...

أما قوله: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ فقرئ بتشديدِ الفاء ثم يحتملُ ذلك ما أوجبه الدخول في الحج من أنواع المناسك، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ ما أوجبوه بالنَّذرِ الذي هو القول، وهذا القول هو الأقرب فإنَّ الرَّجل إذا حجَّ أو اعتمرَ فقد يوجِبُ على نفسه من الهَدْي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحجُّ يقتضيه، فأمَرَ اللهُ تعالى بالوفاءِ بذلك.

أما قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ فالمرادُ الطوافُ الواجبُ وهو طوافُ الإفاضةِ والزيارة، أما كونُ هذا الطَّواف بعد الوقوفِ ورمي الجمارِ والحلق، ثم هو في يوم النَّحرِ أو بعدَه ففيه تفصيل(٦٤٣).

---

(٦٤٣) انظر: تفسير الرازي ج٢٣/ص٣٠. تفسير ابن كثير ج٣/ص٣٧١، تفسير البيضاوي ص٤٥٤، تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٧٩، والدُّر المصون ج٥/ص١٤٥.

بالجمع بين القراءات تتبيَّنُ سماحةُ الإسلام ويُسرُه بأمرِ الحجاج بالتحلُّلِ من إحرامِهم وإذهابِ ما لَحِقَ بهم من أذىً في أثناءِ إحرامِهم، بما تيسَّرَ لهم من وسائلَ، وأخذِهم بالرُّخَصِ المباحةِ في الدِّين، وبأنْ يوفُوا نذورَهم كما نَذَروها على أصولِها بغيرِ تكلُّفٍ، وبما يتيسَّرُ لهم وليكثروا منها تقرُّباً إلى الله - تعالى - كما يُكثِروا من التعبُّد لله بالطواف حولَ البيتِ العتيق.

١١ - قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ [المدنيان] نافع وأبو جعفر ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الطاء[٦٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خطف: الخطف والاختطاف: الاختلاس بالسرعة»[٦٤٥].

ثالثاً: التفسير:

يأمرنا الله - تعالى - بعبادته وحده ويُحذِّرنا من الإشراك به وترك الاعتصام بالإيمان حتى لا تَخَطَّفنا الشياطينُ من كلِّ جانبٍ فتُمَزِّقنا وتذهب بديننا ودنيانا.

يقول السعدي - رحمه الله -: «أمَرَهم أنْ يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقط منها ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمانُ

(٦٤٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٤٥) المفردات ص ١٥٠.

بمنزلةِ السماء، محفوظةٌ مرفوعةٌ. ومن تَرَكَ الإيمانَ، بمنزلةِ الساقطِ من السماء، عُرضَةٌ للآفاتِ والبليَّات، فإمَّا أنْ تَخطَفَه الطيرُ فتقطِّعه أعضاءً، كذلك المشركُ إذا تَرَكَ الاعتصامَ بالإيمانِ تخطَّفَته الشياطينُ من كلِّ جانبٍ، ومزَّقوه، وأذهبوا عليه دينَه ودنياه»(٦٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ سرعةَ خطفِ الشياطين للذينَ تَرَكوا الاعتصامَ بالإيمانِ بالله تعالى.

أمَّا قراءة ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ فتفيد كثْرةَ الخطفِ وشدَّته.

يقول النسفي: «﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: تَسلبه بسرعةٍ ﴿فتخَطَّفه﴾ أي تتخَطَّفه مدني، ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تُسقطُهُ، والهوي: السقوطُ ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد. يجوز أنْ يكونَ هذا تشبيهاً مُركَّباً، ويجوز أنْ يكونَ مفرَّقاً. فإنْ كان تشبيهاً مركباً فكأنَّه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأنْ صوَّرَ حالَه بصورةِ حالِ من خَرَّ من السماء فاختطَفَتْه الطيرُ فتفرَّق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريحُ حتَّى هوَت به في بعض المهالك البعيدة. وإنْ كان مفرقاً فقد شُبِّه الإيمانُ في علْوه بالسماء، والذي أشركَ بالله بالساقطِ من السماء. والأهواءُ المرديةُ بالطيرِ المتخَطِّفَةِ، والشيطانُ الذي هو يُوقِعُه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المُتْلِفَة»(٦٤٧).

«وليس يخفى أنَّ هذه الصورة تدفع الخيال لمتابعة الحركات السريعة لسقوط المشرك من السماء، وفي لمح البصر تخطفه الطير، أو ترميه في مكان سحيق، بعيد عن الأنظار، ويترك للخيال أنْ يتأمَّل صورة خطف الطير له، وصورة تمزيقه قطعاً، أو يتابع حركة سقوطه في مكان سحيق بعيد»(٦٤٨).

---

(٦٤٦) تفسير السعدي ص ٥٣٨. وانظر: تفسير ابن عربي ج٢/ ص ٣٨٩.

(٦٤٧) تفسير النسفي ج٣/ص١٥٤. وانظر: التفسير القرآني مج٥/ ج١٧/ ص١٠٢٩.

(٦٤٨) دلالات الظاهرة الصوتية ص٢٣٣.

ويصور الشهيد سيد قطب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ هذا المشهد فيقول: «انظر: لقد خرّ من السماء، انظر: لقد خطفته الطير، انظر: لقد اختفى المسرح ومن فيه!... ولم هذه السرعة الخاطفة؟ لئلاّ يتوهم أحد أنَّ لمن يشرك بالله منبتاً، أو وجوداً أو قراراً، أو امتداداً مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين؛ إنّما يأتي في ومضة من المجهول، ليذهب في ومضة إلى المجهول»(٦٤٩).

بالجمع بين القراءتين ترسمُ الآيةِ صورةً مُرعبةً، فيها تحذيرٌ من الشِّركِ بالله، ومن تركِ التمسُّك بالإيمان به، كما أنَّ فيها تهديدٌ لمن يفعل ذلك؛ لأنَّ من يفعل ذلك ستُرْديه الأهواءُ في المهالكِ كمن تخطفه الشياطين بشدة وبسرعة وبكثرة، وستوقعُه في الضلال فتُذهب عليه دينَه ودنياه، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿مَنسِكاً﴾ بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين(٦٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نسك: النُسُك: العبادةُ، والنَّاسِكُ: العابدُ، واختصّ بأعمالِ الحج، والمناسك: مواقفُ النُسُك وأعمالها(٦٥١).

«والمنسِك في كلام العرب هو الموضعُ المعتاد، ومنه تسميةُ مناسكِ

---

(٦٤٩) التصوير الفني في القرآن ص ١١١.

(٦٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٥١) المفردات ص ٨٠٢.

الحجّ، لاعتيادِ مواضِعِها»[٦٥٢].

ثالثاً: التفسير:

تثبتُ هذه الآية أنَّ دعوةَ جميعِ الرُّسُلِ واحدةٌ حيثُ تدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، فعلى رغمِ تعدُّدِ الشرائع فإنَّ أصلَها واحدٌ، كما أنَّ لكلِّ أمَّةٍ منسكاً واحداً دون غيره.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: لكلِّ أهلِ دينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: مُتعبَّداً وقُرباناً يتقرَّبون به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ. وقُرِىء بكسر السِّين أي: موضعَ نُسُكٍ. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على الفعل للتَّخصيص، أي: لكلِّ أُمَّةٍ من الأُممِ جعلنا منسكاً لا لبعضٍ دونَ بعضٍ. ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ خاصَّةً دون غيرِه ويجعلُوا نسيكتهم لوجهه الكريم عُلِّلَ الجعلُ به تنبيهاً على أنَّ المقصودَ الأصليَّ من المناسكِ تذكُّرُ المعبودِ. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحِها، وفيه تنبيهٌ على أنَّ القُربان يجبُ أنْ يكونَ من الأنعام. والخطابُ في قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ للكلِّ تغليباً. والفاءُ لترتيبِ ما بعدها على ما قبلَها فإنَّ جَعْلَه تعالى لكلِّ أُمَّةٍ من الأُمم مَنْسكاً ممَّا يدلُّ على وحدانيَّته تعالى. وإنَّما قيل إله واحدٌ ولم يُقل واحدٌ لما أنَّ المرادَ بيانُ أنَّه تعالى واحدُ في ذاتِهِ كما أنَّه واحدٌ في إلهيته للكلِّ. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ لترتيبِ ما بعدها من الأمرِ بالإسلام على وحدانيَّتِهِ تعالى، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على الأمرِ للقصر، أي: فإذا كان إلهُكُم إلهاً واحداً فأخلصوا له التَّقرُّبَ أو الذِّكرَ واجعلُوه لوجهِهِ خاصَّةً، ولا تشوبُوه بالشِّرك، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ تجريدٌ للخطاب إلى رسول اللهِ ﷺ أي: المُتواضعينَ أو المُخلِصين؛ فإنَّ الإخباتَ من الوظائفِ الخاصَّةِ بهم»[٦٥٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَنسَكًا﴾ تخصيص المنسك حيث إنَّ الله ـ تعالى ـ جعلَ

---

(٦٥٢) تفسير الماوردي ج٤/ ص ٢٥.

(٦٥٣) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٨١.

ذبحَ القرابين وإراقةَ الدماء تقرُّباً لله ـ تعالى ـ منسكاً خاصاً بكلِّ أُمَّةٍ من الأمم.

بينما قراءة ﴿مَنسِكاً﴾ فتفيد تحديدَ المكانِ والزمان الذي يتمُّ فيه ذبحُ قرابينهم وإراقةُ دِمائها.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «وهذا الوزن (مَفْعِل) يصلح أنْ يكون مصدراً ميمياً(٦٥٤) ومعناه: النُّسُك، والمرادُ به هنا: (الذَّبْح).

ويصلحُ أنْ يكونَ اسمَ مكانٍ، أي: مكاناً للنُّسُك، أو اسمَ زمانٍ، أي: وقتُ النُّسُك، والفتحُ هو القياسُ والكسرُ سماعيّ»(٦٥٥).

ويقول البغوي: «﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السِّين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المَسْجِد والمَطلِع، أي: مذبحاً، وهو موضعُ القربان، وقرأ الآخرون بفتح السِّين على المصدر، مثل المَدخَل والمَخرَج، أي: إراقةُ الدماءِ وذبحُ القرابين»(٦٥٦).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ اختصَّ كلَّ أمَّةٍ من الأمم بذَبحِ القرابين وإراقةِ دمائِها تقرُّباً إليه ـ ﷻ ـ كما جعلَ لهم مكاناً خاصًّا بالذَّبح وزماناً خاصًّا به كذلك، يؤدُّون فيه هذا المنسك، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧].

---

(٦٥٤) يُصاغ المصدر الميمي من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعَل) نحو: مَقْدَم، إلاَّ إذا كان مثالاً صحيحَ اللام تُحذَف فاؤه في المضارع، فإنَّه يُصاغُ على (مَفْعِل) نحو: موعِد. وشذَّت ألفاظ منها المزيد، والمرجع، والمصير، وقياسها فتح العين. أمَّا من غير الثلاثي فإنَّه يُصاغ على زنة اسم المفعول كالمنطلق والمُستخرَج. انظر: معاني الأبنية ص ٣٤.

(٦٥٥) الهادي ج٣/ص٦٧.

(٦٥٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٥. وانظر: تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص ٢٠٣، الكشاف ج٣/ص٢١، وتفسير البيضاوي ص٤٥٥.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿لَن تَنالَ اللهَ، ولاَكِن تَنالُهُ﴾ بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ، وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ بالياء على التذكير[٦٥٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«نَالَ خيراً يَنَالُ نَيْلاً: أصاب»[٦٥٨].

ثالثاً: التفسير:

تقَرِّرُ هذه الآية الهدف من القرابين التي تُذْبح حيثُ لا يصلُ الله تعالى منها لحومها ولا دماؤها، ولكن لا يصله منها إلا تقوى الله وإخلاص النية له تعالى.

يقول الطبري: «﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ قال: إنِ اتقيتَ اللهَ في هذه البُدن، وعملتَ فيها لله، وطلبتَ ما قال الله تعظيماً لشعائرِ الله ولحرمات الله، فإنّه قال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ قال (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) قال: وجعلتَه طيِّباً، فذلك الذي يَتقبَّلُ الله. فأمَّا اللحومُ والدماء، فَمِن أين تنالُ الله؟ وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ يقول: هكذا سخر لكم البُدن. يقول: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ يقول: كي تعظِّموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقِه إيَّاكم لدينه وللنُّسك في حجِّكم. . . ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ قال: على ذبحِها في تلك الأيام: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وبشِّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إيَّاه في الدنيا بالجنة في الآخرة»[٦٥٩].

---

(٦٥٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٥٨) مختار الصحاح ص٦٨٨. وانظر: التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٦٧.

(٦٥٩) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ، وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ بالتذكير تفيدُ عدمَ نيلِ الله تعالى أو إصابته أيًّا من لحومِ تلك الذبائح التي تُنْحَرُ كقرابينَ لله أو دمائها، فهنا نفيُ الفعل كائنٌ عن الله تعالى.

أمَّا قراءة التأنيث ﴿لَن تَنَالَ اللهَ، وَلاَكِن تَنالُهُ﴾ فإنَّها تفيدُ عدم إصابةِ اللحوم أو الدِّماءِ أو وصولِها إلى الله تعالى، حيث الفاعلُ المقصودُ بنفي فعلِه هنا هو الدماءُ واللُّحوم.

يقول ابن أبي مريم: «والوجه أنَّه إنَّما أُنِّثَ الفعل فيهما لتأنيث الفاعل.

أمَّا الأولُ وهو قوله: ﴿لَن تَنالَ اللهَ لحُومُها﴾ فإنَّما أُنِّثَ ﴿تَنالَ﴾؛ لأنَّ فاعله جماعة، وهي قوله ﴿لُحُومُهَا﴾.

وأمَّا الثاني وهو قوله: ﴿تنالُهُ التقوى﴾ فإنَّما أُنِّثَ؛ لأنَّ فاعله ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي مصدرٌ مؤنث؛ لكونه فَعْلَى.

وقرأ الباقون بالياء فيهما، والوجه أنَّ تذكير الفعل إنَّما هو للفصل بين الفعل وفاعله. أمَّا الأول فقد فصل بين الفعل منه وهو ﴿يَنَالَ﴾ وبين فاعله وهو اللحوم، بلفظ ﴿ٱللَّهَ﴾، وأكَّدَ التذكير أنَّ تأنيث اللحوم تأنيثُ جمع، فيجوز تذكيره.

وأمَّا الثاني فقد فصَل بين الفعل منه وفاعلِه بالهاء وهو ضميرُ المفعول في قوله: ﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، والتأنيث في الفاعلَين كليهما غير حقيقي، فالأمرُ فيه أسهل»[٦٦٠].

بالجمع بين قراءتي التذكير والتأنيث يتأكَّدُ النفيُ المذكور في الآيةِ حيثُ لن يَصِلَ أو يبلغَ أو يُدرِكَ اللهُ ـ تعالى ـ لحومَ تلك الذبائح ولا دماءَها، كما لن تَصِلَ اللحومُ والدماء إلى الله تعالى، وذلك أنَّ الله ـ تعالى ـ هو الغنيُّ عنها ولكنَّها وسيلةُ تَقَرُّبٍ إليه سبحانه فلا بدَّ للمُتَعَبِّدِ إلى الله بها أن

---

(٦٦٠) الموضح ج٢/ص ٨٨١.

يستَشْعِرَ التقوى وإخلاص النية لله ﷻ، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير و[البصريان] أبو عمرو ويعقوب ﴿إن اللهَ يَدْفَعُ﴾ بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ بضمّ الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء(٦٦١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الدَّفع: الدَّفعُ إذا عُدِّيَ بـ(إلى) اقتضَى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾، وإذا عُدِّيَ بِعَن اقتضَى معنَى الحماية، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨]»(٦٦٢).

ثالثاً: التفسير:

يؤكِّدُ الله ـ تعالى ـ في هذه الآية دفاعَه عن المؤمنين، وبغضَه للكفار.

وهنا تعبيرٌ جميلٌ للشهيد سيِّد قطب ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

«ولم يشأ الله أنْ يتركَ الإيمانَ، والخيرَ، والحقّ عُزْلاً تكافحُ قوَى الطغيان، والشَّرّ، والباطل، اعتماداً على قوة الإيمان في النفوس وتغَلغُلِ الحقِّ في الفِطَر، وعُمْقِ الخيرِ في القلوب. فالقوةُ الماديَّةُ التي يملِكها الباطلُ قد تُزلزلُ القلوبَ وتَفتنُ النفوسَ وتُزيغُ الفِطَر. وللصَّبر حَدٌّ وللاحتمالِ أَمَدٌ، وللطاقةِ البشريةِ مَدىً تنتهي إليه. والله أعلمُ بقلوبِ الناسِ، ونفوسهم. ومن ثَمَّ لم يشأ أنْ يتركَ المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدُّون للمقاومة، ويتهيَّؤون

---

(٦٦١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٦٢) المفردات ١٧٠.

للدفاع، ويتمكنون من وسائلِ الجهاد... وعندئذ أُذِن لهم في القتالِ لردِّ العدوان.

وقبل أنْ يأذنَ لهم بالانطلاق إلى المعركةِ آذنهم أنَّه هو سيتولَّى الدفاعَ عنهم؛ فهُم في حمايته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وأنَّه يَكْرَه أعداءَهم لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾»[٦٦٣].

ويقول ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يخبرُ تعالى أنَّه يَدفعُ عن عبادِه الذين توكَّلوا عليه وأنابوا إليه شرَّ الأشرار وكيدَ الفجار، ويحفظُهم ويكلؤُهم وينصرُهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحبُّ من عباده من اتَّصَفَ بهذا، وهو الخيانةُ في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها»[٦٦٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿إن اللهَ يَدْفَعُ﴾ تفيد أنَّ الدفعَ عن المؤمنين يكونُ من الله تعالى وحدَه فيدفعُ عنهم أذَى المشركين وغيرهم، كما يمنعُ أنْ يصيبهم قليلُ الأذَى أو كثيرُه.

أمَّا قراءة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ فإنَّها تفيد معنى المفاعلة لا على حقيقتها وإنَّما الدفاع من الله وحده ولكن صيغة المفاعلة جاءت لتدلَّ على المبالغة في الدفاع وقوَّته وتكراره مرَّةً بعد مرَّة.

يقول الشوكاني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قرأ أبو عمرو وابن كثير: «يدفع» وقرأ

---

(٦٦٣) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٢٤.

(٦٦٤) تفسير ابن كثير ج٣/ص٣٨١.

الباقون: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ وصيغة المفاعلة هنا مجرّدة عن معناها الأصلي، وهو وقوع الفعل من الجانبين كما تدلّ عليه القراءة الأخرى. وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيراً مثل: عاقبتُ اللصَّ ونحو ذلك»[٦٦٥].

ويقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كلامٌ مُستأنفٌ مسوقٌ لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أنَّ الله تعالى ناصرُهم على أعدائهم بحيثُ لا يقدرون على صدِّهم عن الحجّ، وذكرَ أنَّ ذلك متَّصِلٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ [الحج: ٢٥] وإنَّ ما وقعَ في البين من ذِكر الشعائر مستطرد لمزيدِ تهجينِ فعلِهم وتقبيحِهم لازديادِ قبح الصدِّ بازدياد تعظيم ما صُدَّ عنه، وتصديره بكلمةِ التحقيقِ لإبرازِ الاعتناءِ التَّامّ بمضمونه، وصيغةُ المفاعَلةِ إما للمبالغةِ أو للدلالةِ على تكرُّر الدفعِ، فإنَّها قد تتجرَّدُ عن وقوعِ الفعل المتكرِّر من الجانبين فيبقَى تكرُّره كالممارسة، أي: إنَّ اللهَ تعالى يبالغُ في دفعِ غائلةِ المشركين وضررهم الذي من جملته الصدُّ عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام مبالغةً من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرةً بعد أخرى بحسبما يتجدَّدُ منهم القَصْدُ إلى الإضرارِ بهم كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير ﴿يدفع﴾ والمفعولُ محذوفٌ كما أُشيرَ إليه، وفي (البحر)[٦٦٦] أنَّه لم يذكر ما يدفعُه سبحانه عنهم ليكونَ أفخمَ وأعظمَ وأعمّ»[٦٦٧].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يبشِّرُ المؤمنين بأنَّه يحميهم ويبالغُ في الدفاعِ عنهم بقوَّةٍ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ فيدفعُ عنهم الشُّرورَ والمكائدَ ويُذهبُها عنهم، ولن يتركَهم بمفردِهم لينالَ الكفارُ منهم، أو يصيبوهم بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الأذى مهما قلَّ أو كَثُر، والله أعلم.

---

(٦٦٥) فتح القدير ص١١٦٨. وانظر: القراءات المتواترة ص ١٩٥.

(٦٦٦) هو تفسير البحر المحيط لأبي حيَّان.

(٦٦٧) روح المعاني ج١٧/ص٢٣٨، ٢٣٩. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٥٥. والتحرير والتنوير ج١٧/ص٢٧١، ٢٧٢. وتفسير الرازي ج٢٣/ص٣٨.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾:

١ ـ قرأ المدنيَّان، والبصريّان[٦٦٨]، وعاصم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بضمّ الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بفتح الهمزة.

القراءات في ﴿يُقَـٰتِلُونَ﴾:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامر وحفص ﴿يُقَاتَلُون﴾ بفتح التاء مجهلاً[٦٦٩].

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُقَـٰتِلُونَ﴾ بكسر التاء[٦٧٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإذن في الشيء: إعلامٌ بإجازته والرُّخصةُ فيه نحو ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] أي: بإرادتِه وأمرِه . . . وقيل: معناه: بعلمِه.

لكنْ بينَ العلم والإذنِ فرقٌ، فإنَّ الإذنَ أخصُّ ولا يكادُ يستعملُ إلا فيما فيه مشيئةٌ به[٦٧١].

«أُذن لهم: أي أُبيح لهم القتال، دفاعاً عن النفس»[٦٧٢].

---

(٦٦٨) المدنيان هما [نافع وأبو جعفر]، والبصريان هما [أبو عمرو ويعقوب].

(٦٦٩) مجهلاً أي: مبني للمجهول.

(٦٧٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٧١) المفردات ص ٧١.

(٦٧٢) التفسير القرآني للقرآن مج٥/ ص١٠٤٣.

«ق ت ل: القَتْلُ معروف وبابه نَصَرَ، وتَقْتالا وقَتَلَهُ قِتْلَةَ سوء بالكسر، ومَقَاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قَتَلَتْهُ، يقال: مَقْتَلُ الرجل بين فكيه وقَتَلَ الشيء خُبْراً قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] أي: لم يحيطوا به علماً، والمُقاتَلَةُ القتال، وقَاتَلَهُ قِتَالاً، والمُقَاتِلَةُ بكسر التاء: القومُ الذين يصلُحون للقتال، وأَقْتَلَهُ: عرَّضَهُ للقتل وقُتِّلُوا تَقْتِيلاً: شدَّدَ للكَثْرَة»[٦٧٣].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تبَشِّرُ المؤمنين بأنَّ الله تعالى قد أَذِنَ لهم بالقتال وقد تكَفَّلَ بنصرهم على عدوِّهم فجاءت خاتمةُ الآيةِ مناسبةً لمضمونِها.

وقد جاء في سبب نزولها عن ابن عباس قال: (لمّا خرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيّهم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ليهلكنّ، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ...﴾ قال: فعرف أنّه سيكون قتال)، قال ابن عباس: هي أوّل آية نزلت في القتال[٦٧٤].

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في بيان معنى هذه الآية: «﴿أُذِنَ﴾ أي رُخِّصَ. وقُرِىءَ على البناء للفاعلِ أي أَذِن اللهُ تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ أي يُقاتلهم المشركون. والمأذونُ فيه محذوفٌ لدلالة المذكورِ عليه فإنَّ مقاتَلة المُشركينَ إيَّاهُم دالَّةٌ على مقاتلتهم إيَّاهُم دلالةً نيِّرَةً. وقُرىء على صيغةِ المبنيِّ للفاعلِ أي يُريدون أنْ يُقاتِلوا المشركين فيما سيأتي ويَحرصون عليه. فدلالتُه على المحذوفِ أظهرُ ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي بسببِ أنَّهم ظُلموا. وهم أصحابُ النبيِّ ﷺ ـ ورضي عنهم ـ كانَ المشركون يُؤذونهم وكانُوا يأتونَه عليه السلام بين مضروبٍ ومَشْجُوجٍ ويتظلَّمون إليه فيقولُ عليه السلام: (اصبرُوا فإنِّي

---

(٦٧٣) مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٦٧٤) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ج ٦/ ص٢ / ح ٣٠٨٥ كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد. وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر: السنن الكبرى ج٣ / ص٣ / ح ٤٢٩٢، وسنن الترمذي ج٥ / ص ٣٢٥/ ح ٣١٧١، والصحيح المسند ص١٥٦ ـ ١٥٧.

لم أُومر بالقتالِ)[٦٧٥] حتَّى هاجرُوا فأُنزلتْ وهي أوَّلُ آيةٍ نزلتْ في القتالِ بعد ما نُهيَ عنه في نَيِّفٍ وسبعينَ آيةً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ وعدٌ لهم بالنَّصرِ وتأكيدٌ لما مرَّ من العدةِ الكريمةِ بالدَّفعِ، وتصريحٌ بأنَّ المرادَ به ليسَ مجرَّدَ تخليصِهم من أيدي المشركين بلْ تغليبَهم وإظهارَهم عليهم. والإخبارُ بقُدرتهِ تعالى على نصرِهم واردٌ على سَننِ الكبرياءِ، وتأكيدُه بكلمةِ التَّحقيقِ واللَّامِ لمزيدِ تحقيقِ مضمونِه وزيادةِ توطينِ نفوسِ المؤمنينَ»[٦٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿أُذِنَ﴾ تفيدُ أنَّ الإذنَ قد حصلَ من الله تعالى للمؤمنين بقتال الكافرين الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم، وسهولة ذلك عليه سبحانه.

يقول البقاعي - رحمه الله -: «ولمَّا كان كأنَّه قد قيل: كيف تكون المدافعةُ وبِمَن؟ قيل: بعبادِه المؤمنين، عَبَّرَ عن ذلك بقوله: ﴿أُذِنَ﴾ وأشارَ بقراءة من بناه للمجهول إلى سهولةِ ذلك عليه سبحانه»[٦٧٧].

في حين تفيدُ قراءة ﴿أَذِنَ﴾ أنَّ الله - تعالى - هو الذي أَذِنَ لهم بالقتال وعليه فقد تكَفَّلَ لهم بالنصرِ على عدوِّهم.

أمَّا قراءة ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ فإنَّها تعني النبيّ ﷺ والمؤمنين معه.

في حين تفيد قراءة ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ أنَّ الذين أُذِنَ لهم بالقتال هم المؤمنون القادرون على القتال بمعنى أنَّه خرج من التكليف بالقتال بهذه القراءةِ كلّ من لا يستطيع القتال كالضعفاءُ والمرضَى وغيرهم.

يقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أُذِن﴾ بالبناء للنائب. وقرأه الباقون بالبناء إلى الفاعل.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ بفتح التاء

---

(٦٧٥) أخرجه النسائي بمعناه عن ابن عباس في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ج٦/ ص٢ / ح ٣٠٨٦. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٦٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٨٢، ٣٨٣.

(٦٧٧) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧.

الفوقية مبنياً إلى المجهول. وقرأه البقية بكسر التاء مبنياً للفاعل.

والذين يقاتَلون مرادٌ بهم المؤمنون على كلتا القراءتين لأنَّهم إذا قوتِلوا فقد قاتَلوا. والقتالُ مُستعمَلٌ في المعنَى المجازيّ إما بمادته، وإما بصيغةِ المُضِيّ.

فَعَلَى قراءةِ فتح التاء فالمرادُ بالقتال فيه القتلُ المجازيّ، وهو الأذَى. وأمّا على قراءة ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاء فصيغةُ المُضِيِّ مستعملةٌ مجازاً في التهيُّؤ والاستعداد، أي أُذِنَ للذين تَهَيَّئوا للقتال وانتظروا إذنَ الله. وذلك أنَّ المشركين كانوا يُؤذون المؤمنين بمكةَ أذىً شديداً فكان المسلمون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: (اصبروا فإني لم أومَر بالقتال)[٦٧٨]، فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذناً لهم بالتهيُّؤ للدفاع عن أنفسهم ولم يكن قتال قبل ذلك كما يؤذن به قوله تعالى عقب هذا: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]»[٦٧٩].

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾: «أي أُذِنَ لهم في القتال بدليلِ قوله: يقاتلون، وقد صرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أَذِنَ للذين يقاتَلون وهم النَّبي ﷺ وأصحابُه، ودلَّ قوله: يقاتِلون: على أنَّ المرادَ من يصلحُ للقتال منهم دون من لا يصلحُ له، كالأعمى والأعرج والمريض والضعيف والعاجز عن السفر للجهاد لفقره بدليل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ [النور: ٦١] و[الفتح: ١٧]. وقوله جل وعلا: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]»[٦٨٠].

بالجمع بين القراءات الأربع يتبينُ أنَّ الله ـ تعالى ـ أَذِنَ لفئةٍ من

---

(٦٧٨) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٦٧٩) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٦٨٠) أضواء البيان ج ٥ / ص ٦٩٩.

المؤمنين بمقاتلةِ الكافرين وهذه الفئةُ هم القادرون منهم على الجهاد، وإذنه تعالى لهم يعني تهيّؤهم واستعدادهم للقتال وأنّه تعالى تكَفَّلَ بنصرهم على عدوهم، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾:

١ ـ قرأ المدنيّان، ويعقوب ﴿دِفاعُ اللهِ﴾ بكسر الدال وألف بعد الفاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء[٦٨١].

القراءات في ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾:

١ ـ قرأ المدنيّان [نافع وأبو جعفر]، وابن كثير ﴿لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ بتشديدها[٦٨٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات[٦٨٣]:

«الهَدْمُ نَقِيضُ البناء هَدَمَه يَهْدِمُه هَدْماً وهَدَّمه فانْهَدَمَ وتَهَدَّمَ وهَدَّمُوا بُيوتهم شُدِّدَ للكثرة . . . الهَدْمُ: قَلْعُ المَدَرِ يعني البيوت»[٦٨٤].

(٦٨١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٨٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٨٣) سبق المعنى اللغوي لـ (دفع). انظر: ص ٢٤٧.

(٦٨٤) لسان العرب ج١٢/ص٦٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «ثم وصفهم بما يبين مظلوميتهم على وجه يجمعهم ويوثقهم بالله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ إلى الشِّعْبِ والحبشةِ والمدينة ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أوجبَ ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي: غير قولهم، أو إلاّ قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ المحيطُ بصفات الكمال، الموجبُ لإقرارِهم في ديارهم، وحبِّهم ومدحِهم واقتفاءِ آثارهم، . . . وفي سَوقِ ذلك المساق الاستثناءُ عند من يجعله منقطعاً إشارةٌ إلى أنَّ من أخلصَ لله، صَوَّب الناسُ إليه سهامَ مكرِهم، ولم يَدَعُوا في أذاه شيئاً من جهدهم.

ولما ذكر مدافعتَه، وذكر أنَّها عن المؤمنين، بيَّنَ سرَّها عموماً ليُفهَم منها هذا الخاصّ، وصوَّرها تقريباً لفهمها، فقال عاطفاً على ما تقديره: فلولا إذنُ الله لهم لاستمرَّ الشركُ ظاهراً، والباطلُ ـ باستيلاء الجَهَلةِ على مواطنِ الحجِّ ـ قاهراً، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ أي: المحيطُ بكلِّ شيءٍ علماً وقدرةً في كلِّ شريعة، وفي زمن كلِّ نبيٍّ أرسلَه.

﴿ٱلنَّاسَ﴾ أي: عموماً ﴿بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: بتسليطِ بعضِهم على بعض، ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ وهي معابدُ صغارٌ مرتفعةٌ للرهبان، ﴿وَبِيَعٞ﴾ للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ أي: كنائسَ اليهود، ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ أي: للمسلمين، أخَّرَها لتكون بعيدةً من الهدمِ قريبةً من الذِّكر، ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾ أي: المَلِكُ الذي لا مَلِكَ غيرُه، ولعلَّ العدولَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ للإشارةِ إلى اختلافِ ذكرِه تعالى في الأماكنِ المذكورةِ بالإخلاصِ وغيرِه، ﴿كَثِيرٗا﴾ لأنَّ كلَّ فرقةٍ تريدُ هدمَ ما للأخرى، بل ربَّما أرادَ بعضُ أهلِ ملَّةٍ إخرابَ بعضِ معابد أهلِ ملَّتِه، فيدفعه الله بمن يريد من عباده، وإذا تأملت ذلك وجدت فيه من الأسرار، ما يدقُّ عن الأفكار، فإنَّه تعالى لمَّا أرادَ بأكثر الناس الفساد، نصبَ لهم من الأضداد، ما يخفِّفُ كثيراً من العناد.

ولما كان التقدير: ولكنْ لم تُهدَمُ المذكورات، لأنَّ اللهَ دفعَ بعضَهم ببعض، وجعلَ بعضَهم في نحور بعض، عطفَ عليه أو على قوله: ﴿أُذِنَ﴾ قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: الملكُ الأعظمُ، وأظهَرَ ولم يُضمر تعميماً

وتعليقاً للحكم بالوصفِ فقال: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ كائناً كم كان منهم ومن غيرهم، بما يهيئ له من الأسباب، إجراءً له على الأمرِ المعتاد، وبغير أسبابِ خرقاً للعادة، كما وقَعَ في كثيرٍ من الفتوحات...؛ ثم علَّل نصرَه وإنْ ضَعُفَ المنصور، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي لا كفءَ له ﴿لَقَوِيٌّ﴾ أي: على ما يريد، ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يقدرُ أحدٌ على مغالبته، ومن كانَ ناصِرَه فهو المنصور، وعدوُّه المقهور، ولقد صدقَ سبحانَه فيما وعَدَ به، فأذَلَّ بأنصارِ دينِه ﷺ - جبابرةَ أهلِ الأرض وملوكَهم، ومن أصدقُ من اللهِ حديثاً»[٦٨٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءةُ ﴿دِفَاعُ اللهِ﴾ المبالغةَ والقوَّةَ في الدفاعِ عنهم، وتكرارَ الدفعِ مرةً تلو الأخرى.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ أنَّ اللهَ تعالى وحدَه هو الذي يدافعُ عن المؤمنين فيدفعُ الأذى عنهم دفعةً واحدةً.

أمَّا بالنسبة لقراءة ﴿لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ فبالتخفيف تفيدُ قلَّةَ الهدمِ أو كثرته.

في حين تفيد قراءة ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ بالتشديدِ كثرةَ الهدمِ والمبالغةَ فيه، لأنَّ التشديد يفيدُ الكثرةَ والمبالغةَ في الشيء.

يقول البغوي: «﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير، فالتخفيف يكون للقليل والتكثير، والتشديد يختص بالتكثير»[٦٨٦].

يقول الطاهر بن عاشور: «وقرأه الباقون بتشديد الدال للمبالغة في الهدم، أي لهدّمت هدْماً ناشئاً عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثراً»[٦٨٧].

---

(٦٨٥) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧، ١٥٨.

(٦٨٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٩.

(٦٨٧) التحرير والتنوير ١٧/ص٢٧٧.

بالجمع بين القراءات الأربع يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هو الذي يدفعُ الكافرين بالمؤمنين، ولولا ذلك لهَدَم أصحابُ الطوائف المختلفةِ معابدَ غيرِهم هدماً قليلاً أو هدماً كثيراً ناشئاً عن غيظٍ بحيث لا يبقون لها أثراً، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَكَأَيِّن﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿كائِن﴾ بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَكَأَيِّن﴾ بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مُشدَّدة(٦٨٨).

القراءات في ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾:

١ ـ قرأ البصريَّان [أبو عمرو ويعقوب] ﴿أهلَكْتُها﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ بالنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها ألف(٦٨٩).

القراءات في ﴿وَبِئْرٍ﴾:

١ ـ قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿وبيْرٍ﴾ بإبدال الهمزة ياءً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَبِئْرٍ﴾ بالهمزة(٦٩٠).

---

(٦٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٣، ٢١٤.

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٩٠) انظر: النشر ج١/ص ٣٩١، ج٢ / ص٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كان: «كَانَ ناقصةُ وتحتاجُ إلى خبرٍ، وتامةٌ بمعنَى حدثَ ووقعَ، ولا تحتاجُ إلى خبرٍ، تقول: أنا أعرفُه مذْ كان، أي: مُذْ خلق»(٦٩١).

«﴿فَكَأَيِّن﴾: اسمٌ دالٌّ على الإخبارِ عن عددٍ كثير»(٦٩٢).

هلك: «هَلَكَ يَهْلِكُ هُلْكاً وهَلْكاً وهَلاكاً: مات»(٦٩٣).

«[بأر]: البِئْرُ جمعها في القلة أبْؤُرٌ كأفلس، وآبَآرٌ كأحجار، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: آبار»(٦٩٤).

ثالثاً: التفسير:

يُنذِرُ الله ـ تعالى ـ أهل مكّة وجميع المكذِّبين مثلهم بما حدث للأمم السابقة من الإهلاك، وقد وجبَ على أصحاب العقول الرشيدةِ أنْ يعتبروا بما حَدث لهم.

يقول البغوي: «﴿فَكَأَيِّن﴾ فكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُها﴾ بالتاء هكذا قرأ أهلُ البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون: ﴿أَهْلَكْنَهَا﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: وأهلها ظالمون، ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ على سقوفها، ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئرٍ معطَّلَةٍ متروكةٍ مُخْلاةٍ عن أهلها، ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيعٍ طويل، من قولهم شادَ بناءَه إذا رفعَه. وقيل: مجصص، من الشيد، وهو الجصّ. وقيل: إنَّ البئرَ المعطَّلةَ والقصرَ المشيدَ باليمن، أمَّا القصرُ فعلَى قمة جبل، والبئرُ في سَفْحِه، ولكلٍّ واحدٍ منهما قوم كانوا في نعمةٍ فكفروا فأهلكهم الله، وبَقِيَ البئرُ والقصرُ خاليين.

---

(٦٩١) مختار الصحاح ص ٥٨٦.

(٦٩٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٨.

(٦٩٣) لسان العرب ج١٠/ص٥٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

(٦٩٤) مختار الصحاح ص ٧٣.

وروي أنَّ هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك أنَّ أربعةَ آلافِ نفرٍ ممَّن آمن بصالح، نَجَوا من العذاب أتَوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمِّيَ حضرَموت، لأنَّ صالحاً لمّا حضرَ مات فبنوا حاضوراء، وقعدوا على هذه البئر وأمَّروا عليهم رجلاً فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله إليهم نبياً كان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوقِ فأهلكهم اللهُ، وعطِّلت بئرُهم وخربَت قصورهم»[695].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿**كائِن**﴾ أنَّه حادثٌ وواقعٌ وجودَ قريةٍ أهلكَها اللهُ تعالى لظلمِ أهلها فقد مرَّ الصحابة عنها وعلموها.

يقول الطاهر بن عاشور: «وقد وجدَ المسلمون في مسيرهم إلى تبوك بئاراً في ديار ثمود ونهاهم النبي ﷺ عن الشربِ منها إلا بِئراً واحدةً التي شربَت منها ناقةُ صالح عليه السلام»[696].

في حين أفادت قراءة ﴿فَكَأَيِّن﴾ التكثير أي هناك قُرىً كثيرةً أهلكها الله ـ تعالى ـ بسبب ظلم أهلها وكفرِهم وتكذيبهم الرُّسل.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «﴿فَكَأَيِّن﴾ اسمٌ دالٌّ على الإخبار عن عدد كثير»[697].

أمَّا قراءة ﴿أهْلَكْتُها﴾ فإنَّها أفادت أنَّ الذي أهلكها هو الله عز وجل.

وأضافت قراءة ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بنون العظمة أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته هو الذي أهلكها وقد يكون فيها إشارةٌ إلى إهلاكها بوساطة جنوده من الملائكة وغيرهم والله أعلم.

---

(٦٩٥) تفسير البغوي ج٥ / ص٢٩٠، ٢٩١ (بتصرف). وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٩.

(٦٩٦) التحرير والتنوير ج١٧/ص ٢٨٦.

(٦٩٧) المرجع السابق ج١٧/ص ٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٨.

وأمّا قراءة ﴿وبِيْرٍ﴾ فإنَّها تفيدُ عمق البئر حيث حرف المد الياء يفيد الإطالة كما تفيد هذه القراءة سهولةَ استخدام هذا البئر لوجود الماءِ فيه وآلاتِ الاستقاءِ كذلك.

قال الزمخشري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ومعنى المعطَّلة: أنها عامرةٌ فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطّلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها»(٦٩٨).

في حين أفادت قراءة ﴿وَبِئْرٍ﴾ إلى أنَّ تلك البئر محفورةٌ بكلِّ ما في حفرها من صعوبات، كما أنَّ الهمزةَ بثقلها وصعوبةِ النطق بها قد تشيرُ إلى ما حصل لتلك البئر من الإهلاك، والله أعلم.

يقول أبو حيّان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وينبغي أن يكون ﴿وَبِئْرٍ﴾ ﴿وَقَصْرٍ﴾ من حيث عُطِفا على ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أنْ يكونَ التقديرُ أهلكتهما كما كان أهلكتُها مخبراً به عن ﴿فَكَأَيِّن﴾ الذي هو القريةُ من حيث المعنى»(٦٩٩).

بالجمع بين القراءات الستّ يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى يُحَذِّرُ الكافرين ويَحُثُّهم على التفكُّرِ فيما حدثَ لكثيرٍ من الأُمَمِ السابقةِ التي أهلَكَها الله ـ تعالى ـ بعظمتِه، فيصيبُ هؤلاء ما أَصابَ أولئكَ حيثُ أصبحَت قصورُهم التي في قُراهم خاويةً على عروشها، كما أصبحت آبارُهم معطَّلةً رغمَ عمقِها ووجود الماءِ وآلات السقيا فيها وذلك لهلاك أهلها، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعُدُّونَ﴾ بالغيب.

---

(٦٩٨) الكشاف ج٣/ص١٧.

(٦٩٩) البحر المحيط ج ٦ / ص ٢٤٨.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالخطاب[٧٠٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَدَّهُ: أحصاهُ»[٧٠١].

ثالثاً: التفسير:

يُخبِرُ الله ـ تعالى ـ النبي ﷺ أنَّ يوماً عند الله كألفِ سنةٍ ممَّا يَعدُّ هو والمؤمنون.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم .﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ ولن يؤخرَ عذابَه عن وقته.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها: أنَّ يوماً من الأيام التي خلقَ الله فيها السمواتِ والأرض كألفِ سنةٍ. . .

الثاني: أنَّ طول يومٍ من أيامِ الآخرةِ كطولِ ألفِ سنةٍ من أيامِ الدنيا في المدة.

الثالث: أنَّ ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدَّةِ وكذلك يوم النعيم»[٧٠٢].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وحُكيَ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ بصيغةِ المضارع للإشارة إلى تكريرهم ذلك تجديداً منهم للاستهزاء.

والخطاب للنبي ﷺ والمقصود إبلاغه إياهم.

والباء من قوله ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ لتأكيد معنَى الاستعجالُ بشدّته كأنّه قيل:

---

(٧٠٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٠١) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٢) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٣٣.

يحرصون على تعجيله»[٧٠٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَعُدُّنَ﴾ بالغيب ما يعدُّه الكافرون الذين يستعجلون بالعذاب وخاطبهم بالغيب تحقيراً لهم.

بينما تفيد قراءة ﴿تَعُدُّونَ﴾ ما يَعُدُّه النبيُّ والصحابة معه، والخطابُ مُلزمٌ بما سيؤولُ إليه هذا العدُّ من الحسابِ والجزاء.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «والخطابُ في ﴿تَعُدُّونَ﴾ للنبي ﷺ والمؤمنين. وقرأ الجمهور ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالفوقية، وقرأه ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿ممَّا يَعُدُّون﴾ بياء الغائبين. أي مما يعده المشركون المستعجلون بالعذاب»[٧٠٤].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ فيهما خبرٌ مستعملٌ في التعريض بالوعيد للكافرين[٧٠٥]، حيثُ يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هيَّأ في هذه الدنيا أياماً تناسبُ أوهامَ المخلوقات، وأزماناً تناسبُ شأنهم، ولكنَّه حليمٌ لا يستطيلُ الزمان، وقادرٌ لا يخافُ الفوتَ[٧٠٦]، لذا فإنَّ يوماً عنده ـ عز وجل ـ كألفِ سنَةٍ ممَّا يَعدُّه النبيُّ والمؤمنون معه، وممَّا يَعُدُّه المشركون المحتقرون الذين يستعجلون بالعذاب، وهذا اليوم قادمٌ وقد قَدَرَ الله ـ تعالى ـ له قَدْرَه الذي يتناسبُ مع عظمةِ شأنه، والله أعلم.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٥١].

---

(٧٠٣) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٩١ (بتصرف بسيط).

(٧٠٤) المرجع السابق ج١٧/ص٢٩٢ (بتصرف بسيط).

(٧٠٥) انظر: المرجع السابق ج١٧/ص٢٩١.

(٧٠٦) انظر: نظم الدرر ج٥/ص١٦١.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بتشديد ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بتشديد الجيم من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بتخفيف الجيم والألف فيها[٧٠٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

العَجُزُ بضمِّ الجيم: مؤخَر الشَّيءِ يذَكَّرُ ويؤَنَّثُ وهو للرَّجلِ والمرأةِ جميعاً، وجمعُه: أعْجَازٌ، والعَجِيزةُ للمرأة خاصة والعَجْزُ الضعف... أعْجَزَهُ الشيء فاته وعَجَّزَهُ تعجيزاً ثبطه أو نَسَبَهُ إلى العَجْز[٧٠٨].

ثالثاً: التفسير:

يتوعَّدُ الله ـ سبحانه ـ الذين يكَذِّبون الرسول ﷺ ويُشاقُّونه مُثَبِّطين له مُحاولين إعجازَه وهم لا يعلمون أنَّهم يحاولون إعجازَ ربِّ العزَّةِ سبحانه، بالبقاء في النار وملازمتها.

يقول النسفي: «ثم أنذر فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ حال ﴿مُعَجِّزِين﴾ حيث كان: مكي وأبو عمرو. وعاجزَه: سابقَه كأن كل واحد منهما في طلبِ إعجازِ الآخرَ عن اللَّحاق به، فإذا سبقه قيلَ أعجزَه وعجَّزَه. والمعنى: سعَوا في معناها بالفساد من الطَّعنِ فيها، حيث سمَّوها سحراً وشعراً وأساطيرَ مسابقين في زعمهم وتقديرهم، طامعين أنَّ كيدَهم للإسلام يتمّ لها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي النار الموقدة»[٧٠٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ فيما يتعلَّق بآيات الله المبالغة في فعل ما يُعجِزُ

---

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٠٨) انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٩) تفسير النسفي ج٣/ص١٦٠.

النبي ﷺ والمؤمنين من المسارعة في الشِقاقِ والمعاندةِ والتكذيب لها.

بينما تتعلَّقُ قراءة ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بالنبيّ ﷺ والمؤمنين معه حيثُ إنَّ الكفَّارَ يُثَبِّطون عزيمة النبيّ ﷺ ومعه المؤمنين ويَنسُبونهم إلى العجز، وهم يُحاولون إعجاز الله تعالى وهم لا يعلمون.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿مُعَجِّزِينَ﴾ قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾، فمن قرأ ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مثبِّطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ.

الثاني: مثبطين في اتباع النبي ﷺ.

الثالث: مكذبين.

والرابع: مَعَجِّزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه.

ومن قرأ ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مشاقين.

الثاني: متسارعين.

الثالث: معاندين.

والرابع: مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً»(٧١٠).

ويقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي: مبالغين في فعل ما يلزم ـ في زعمهم ـ منه عجْزنا، ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ أي: مقدرين أنهم يعجزوننا بإخفائهم آياتنا، وإضلالِ النَّاس وصدِّهم عنها بإلقاء الشُّبَه والجدال، اتباعاً للشيطان المَريد، من غير علمٍ ولا هُدَى»(٧١١).

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والمُعاجز: المسابقُ الطالبُ عجزَ مُسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به، فصيغَ له المفاعلةُ لأنَّ

(٧١٠) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٧١١) نظم الدرر ج٥/ص١٦٣. وانظر: المستنير ج٢/ص٩٠.

كلَّ واحدٍ يطلبُ عجزَ الآخرِ عن لحاقه. والمعنى: أنهم بعملهم يغالبون رسول الله ﷺ وهم لا يشعرون أنَّهم يحاولون أنْ يغلبوا الله، وقد ظنُّوا أنَّهم نالوا مُرادهم في الدنيا ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة»(٧١٢).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكفَّار يُحاولون تثبيط النبي ﷺ والمؤمنين معه بتعجيزهم بالمجادلاتِ والمناقضات والتكذيب، والمعاندةِ والشِّقاق له ﷺ، وبإخفاء الآيات وصدِّهم عنها وإضلال الناس بهيئةِ السَّاعي في طريقٍ ليسابقَ غيرَه ليفوزَ بالوصول، ولكنَّهم لا يعلمون أنَّهم يُحاولون إعجاز الله ـ تعالى ـ وهم يظنُّون أنَّهم نالوا مرادهم في الدنيا بما يفعلونه، لكنَّهم لم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿أُمْنِيتِهِ﴾ بتخفيف الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ بتشديد الياء(٧١٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الأُمْنِيَّةُ: واحدةُ الأَمَانِيّ، قلت: يقال في جمعها أَمَانٍ وأَمَانِيُّ بالتخفيف والتشديد»(٧١٤).

«والتمنّي: كلمةٌ مشهورة، وحقيقتها: طلبُ الشيءِ العسيرِ حصولُه. والأمنيةُ: الشيءُ المتمَنَّى»(٧١٥).

(٧١٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ ص ٢٩٥. وانظر: حاشية القونوي مج١٣/ ص٩٠ ـ ٩١.
(٧١٣) انظر: النشر ج٢/ص٢١٧، ٢١٨.
(٧١٤) مختار الصحاح ص٦٤٢.
(٧١٥) التحرير والتنوير ج١٧/ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية بيانٌ لحفظ الله - ﷻ - لآياته ووحيه من مكائد الشياطين فقد صدق جلَّ شأنه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وقد خاض المفسرون في ذكر قصّة الغرانيق، وهي موضوعة، لا أرى فائدةً لذكرها[٧١٦].

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «يخبرُ تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأنَّ اللهَ ما أرسلَ قبلَ محمدٍ ﷺ ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: قرأ قراءته، التي يذَكِّرُ بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في قراءته، من طرُقه ومكايده، ما هو مناقضٌ لتلك القراءة، مع أنَّ اللهَ تعالى قد عصمَ الرُّسلَ بما يبلِّغون عن الله، وحفظَ وحيَه أنْ يشتبِه، أو يَختلِط بغيره. ولكنَّ هذا الإلقاءَ من الشَّيطان، غيرُ مستقرٍّ ولا مُستمرّ، وإنَّما هو عارضٌ يعرضُ، ثمَّ يزول، وللعوارضِ أحكامٌ، ولهذا قال: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يزيلُه ويذهبُه ويبطلُه، ويبيِّن أنّه ليسَ من آياته، و﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يُتقِنُها، ويحرِّرها، ويحفظُها، فتبقَى خالصةً من مخالطةِ إلقاءِ الشيطان، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: كاملُ القوةِ والاقتدار، فبكمالِ قوّته، يحفظُ وحيَه، ويزيلُ ما تلقيه الشياطين، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ مواضعَها»[٧١٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أُمْنِيتِهِ﴾ بالتخفيف معنى تلاوته وقراءته ﷺ.

بينما قراءة ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ بالتشديد أفادت تمنِّيه ﷺ إسلام قومه وطاعتهم لله ولرسوله لأنَّ هذه الأمنية هي أحبُّ ما يتمنَّاه ﷺ بشدَّةٍ ويُعلِّقُ أمله بذلك.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان:

---

(٧١٦) راجع: الإسرائيليات والموضوعات ص ٣١٤ - ٣٢٢.

(٧١٧) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

الأول: أنَّ تمنَّى بمعنى: قرأ وتلا ... وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته: إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه. وكون تمنى بمعنى: قرأ وتلا. هو قول أكثر المفسرين.

القول الثاني: أنَّ تمنَّى في الآية من التَّمني المعروف، وهو تمنيه إسلامَ أمته وطاعتهم لله ولرسله، ومفعولُ (ألقَى) محذوفٌ على أنَّ تمنَّى بمعنى: أحبَّ إيمانَ أمّته، وعلَّق أمَلَهُ بذلك، فمفعول (ألقى) يظهر أنَّه من جنس الوساوس، والصدِّ عن دين الله حتى لا يتمّ للنبي ﷺ أو الرسول ما تمنى[718].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الشيطانَ يكيدُ لكلِّ نبيٍّ أو رسولٍ يشتهي شيئاً في نفسه لقومه أو للبشرية جمعاء، فحين يقرأُ ما أُوحِيَ إليه من ربِّه مهما كان قليلاً أو كثيراً، فإنَّه يلقي ما يفسِدُ معنى قراءته أو أمنيتِه، إلاَّ أنَّ الله ـ سبحانه ـ يُبطِلُ ما يُلقي الشيطان ويُبقِي وحيَه محفوظاً كما تعهَّدَ سبحانه، وهو الذي وعدَ رسوله بإظهار دينه وقد أظهره سبحانه كما وعد، فحقّق أمنية نبيّه ﷺ، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿لَهَادي﴾ بإثبات الياء وقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَهَادِ﴾ بحذف الياء وقفاً[719].

(٧١٨) انظر: أضواء البيان ج ٥ / ص ٧٢٧. والمعجم المفصّل ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠. الإسرائيليات والموضوعات ص٣٢٢.

(٧١٩) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٤.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهدايةُ دلالةٌ بلطفٍ»[720].

ثالثاً: التفسير:

بعد أن وصف الله - تعالى - الطائفتين الضالتين فإنَّه يصفُ في هذه الآية الطائفة المؤمنة التي تخشع قلوبها وتطمئنُّ لحكمة الله بفضل هدايته لها.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأما الطائفة الثالثة، فإنَّه يكون رحمةً في حقِّها، وهم المذكورون بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لأنَّ اللهَ منحهُم من العلم، ما به يعرفون الحقَّ من الباطل، والرُّشدَ من الغي، فيميِّزون بين الأمرين، الحقِّ المستقر، الذي يحكمه الله، والباطلِ العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أنَّ الله حكيم، يقيض[721] بعض أنواع الابتلاء، ليُظهرَ بذلك كمائنَ النفوسِ الخيِّرةِ والشِّريرة، ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفعِ المعارض والشُّبه.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخشعَ وتخضعَ، وتسلِّمَ لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بسبب إيمانهم، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعملٍ بمقتضاه، فيثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيتِ اللهِ لعبدِه»[722].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لَهَادي﴾ بإثبات الياء ثبوتَ الذين آمنوا على إيمانهم واستمرارِ الهدايةِ من الله - تعالى - لهم، وديمومَتها بحيثُ تكونُ كاملةً تامَّة.

(٧٢٠) المفردات ص ٨٣٥.

(٧٢١) «قَيَّضَ الله - تعالى - فلاناً لفلان أي: جاءه به وأتاحه له». مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٧٢٢) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

بينما أفادت قراءة ﴿لَهَادِ﴾ بحذف الياء هدايتَه تعالى للذين آمنوا على وجه التَّخصيصِ حيثُ يحذفُ من نفوسهم الشُّبَه خاصَّةً، ويدفعُها عنهم بسرعةٍ ولطف.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكرَ أصلاً عامًّا في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»[٧٢٣].

ويقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وأياً ما كان فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ اعتراض مقرر لما قبله، والمراد بالذين آمنوا المؤمنين من هذه الأمة على تقدير التخصيص، أو المؤمنون مطلقاً على تقدير التعميم، والمراد بالصراط المستقيم: النظر الصحيح الموصل إلى الحقِّ الصريح، أي: إنَّه تعالى لهادي المؤمنين في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض[٧٢٤] والمشكلات التي من جملتها ردّ شبه الشياطين عن آياتِ الله عَزَّ وَجَلَّ»[٧٢٥].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى يَخُصُّ بهدايته المؤمنين من هذه الأمَّة وقد يخصُّ أيضاً المؤمنين من غيرها من الأمم فيهديهم إلى صراطه المستقيم ويدفعُ باستمراريةٍ وسرعةٍ ولطافةٍ ما في نفوسهم من الشُّبَهِ الباطلةِ التي يروِّجُ لها الضالُّون ويُثَبِّتُهم بديمومةٍ على الإيمان الذي تطمئنُّ به قلوبُهم وتخشعُ، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ

(٧٢٣) التعبير القرآني ص٨٠.

(٧٢٤) «دَحَضَتْ حجته: بطلت». مختار الصحاح ص ٢١٨.

(٧٢٥) روح المعاني ج١٧/ص٢٥٩.

مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحج: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿ثُمَّ قُتِّلُوا﴾ بتشديد التاء فيها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ بتخفيف التاء فيها(٧٢٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قتل: أصلُ القتل: إزالةُ الروحِ عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبِر بفعل المُتَوَلِّي؛ لذلك يقالُ: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِر بفوتِ الحياةِ يقالُ: مَوْت»(٧٢٧).

ثالثاً: التفسير:

يتبيَّنُ في هذه الآيةِ فضلُ الهجرةِ في سبيل الله حيثُ ساوَى ربُّ العزَّةِ في الوعد للمهاجرين في سبيله بين من يُقتَل في أثناء هجرته أو جهاده وبين من يموتُ منهم على فراشه فأعدَّ لهم رزقاً كريماً.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: «أي في الجهادِ بحسبما يلوحُ به قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ أي: في تضاعيف المُهاجرة، ومحلُّ الموصول الرَّفعُ على الابتداء وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ جواب لقسم محذوفٍ والجملةُ خبرُه ومن منع وقوعَ الجملةِ القسميَّةِ وجوابِها خبراً للمبتدأ يُضمر قولاً هو الخبرُ والجملةُ محكية. وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ إمَّا مفعول ثانٍ على أنَّه من باب الرَّعي والذِّبحِ أي مَرزوقاً حسناً، أو مصدرٌ مؤكِّدٌ، والمراد به ما لا ينقطعُ أبداً من نعيم الجنَّةِ وإنَّما سوى بينهما في الوعدِ لاستوائهما في القصد. وأصلُ العملَ على أنَّ مراتبَ الحُسنِ متفاوتةٌ فيجوزُ تفاوتُ حال

(٧٢٦) انظر: النشر ج٢/ص٢٤٣. وانظر: البدور الزاهرة ص٢١٤.

(٧٢٧) المفردات ص ٦٥٥. وانظر: أساس البلاغة ص٣٥٤.

المرزوقينَ بحسب تفاوت الأرزاقِ الحسنةِ... ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ فإنَّه يرزق بغير حسابٍ مع أنَّ ما يرزقه لا يقدِرُ عليه أحدٌ غيرُه والجملة اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لما قبله»(٧٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ قتل المشركين للمؤمنين المهاجرين في سبيل الله حال إمساكهم بهم في أثناء الهجرة أو في أثناء مجاهدة الكافرين بعد هجرتهم بزمن.

في حين أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِّلُوٓاْ﴾ بتشديد التاء فيها كثرة القتل وشدَّته حيثُ أكثر ما يخاف منه المهاجر في سبيل الله تعالى هو القتل.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ولما كان المشركون يمنعون بهذه الشبَه وغيرها كثيراً من الناس الإيمان، وكانوا لا يتمكَّنون بها إلا ممن يخالطهم، رغَّبَ سبحانه في الهجرة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ أي: أوقعوا هجرةَ ديارِهم وأهليهم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طريق ذي الجلال والإكرام التي شرَعها، فكانت ظرفاً لمهاجرتهم، فلم يكن لهم بها غرض آخر. ولما كان أكثرُ ما يخاف من الهجرة القتلُ. لقصدِ الأعداء للمهاجر بالمُصادَمة، عند تحقُّق المصادَمة قال معبراً بأداة التراخي إشارةً إلى طولِ العمر وعلو الرتبة بسبب الهجرة: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ أي بعد الهجرة، وألحقَ به مطلقَ الموتِ فضلاً منه فقال: ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ أي من غيرِ قتلٍ، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: الملكُ الأعلَى ﴿رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ من حين تفارقُ أرواحهم أشباحَهم لأنَّهم أحياءٌ عند ربهم، وذلك لأنَّهم أرضَوا اللهَ بما انخلعوا منه مما أثلوه(٧٢٩) طول أعمارهم. وأثله آباؤهم من قبلهم، وأموالهم وأهليهم وديارهم»(٧٣٠).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ من قتلوا من الذين هاجروا في

(٧٢٨) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٩٣ (بتصرف).

(٧٢٩) «التأثُّلُ: اتخاذُ أصلِ مالٍ». مختار الصحاح ص ٦.

(٧٣٠) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٦٧.

سبيل الله سواءً أكانوا كثراً أم قلةً فهم ممَّن وعدهم الله بالرزق الحسن، وهنا يتَّضحُ فضلُ الهجرةِ في سبيل الله حيثُ سوَّى ربُّ العزَّةِ بين الذي يُقتَلُ في أثناء هجرته أو في أثناء جهاده في سبيل الله بعد هجرته، وبين الذي يموتُ بدون قتالٍ لأنَّ كليهما يستويان في قصدِ المهاجرةِ في سبيل الله تعالى، فقد أعدَّ الله لكليهما أجراً ورزقاً كريماً، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] ﴿مَدْخَلاً﴾ بفتح الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُدْخَلاً﴾ بضم الميم[٧٣١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دخل: الدخول: نقيض الخروج ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال يقال: دخل مكان كذا قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] ... فمدخلٌ من دخلَ يدخُلُ ومَدخلٌ من أدخَلَ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ [الحج: ٥٩] وقوله: ﴿مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١] وقرئ بالوجهين»[٧٣٢].

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي ـ رَحِمَهُ اللهُ **ـ:** «ويكون على هذا القول، قوله: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع

---

(٧٣١) انظر: النشر ج٢/ص٢٢٣.

(٧٣٢) المفردات ص ٣٠٩ (بتصرف).

من إرادة الجميع ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿حَلِيمٌ﴾ يعصيه الخلائق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله»(٧٣٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿مَدْخَلاً﴾ أنَّ الله تعالى سيُدخل المؤمنين مكاناً يرضونه وهو الجنة.

بينما تفيدُ قراءة ﴿مُدْخَلاً﴾ أنَّهم ستكونُ لهم مكانةٌ يرضَونها في الجنة التي سيُدخلهم الله ـ تعالى ـ فيها حيثُ رغَدُ العيشِ وهناؤه(٧٣٤).

«ليدخلنهم الله، وكأنهم ضيوفه يوم القيامة، وأكّد ذلك بـ(القسم) و(لامه) و(نون) التوكيد، ﴿مُّدْخَلًا﴾ اسم مكان، وَصَفه بأنهم ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يستطيبون نعيمه، ويفكهون في خيره، وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار»(٧٣٥).

بالجمع بين القراءتين يجتمعُ للمهاجرين في سبيل الله رَغَدُ المكان ورَغَدُ المكانةِ في الجنةِ التي وعدهم الله إيَّاها فينعمون بالمكان الذي هو الجنَّة، وبالمكانةِ السامية التي وعدهم الله بها كما قال سبحانه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٦]، **والله أعلم.**

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالغيب.

---

(٧٣٣) تفسير السعدي ص ٥٤٣.

(٧٣٤) انظر: المعنى اللغوي للموضع نفسه. وحاشية القونوي مج ١٣ / ص١٠٢.

(٧٣٥) زهرة التفاسير مج ٩ / ص ٥٠١٢.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأن مَا تَدْعُونَ﴾ بالخطاب[٧٣٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دعا: الدعاء كالنداء إلا أنَّ النداءَ قد يقال بـ(يا)، أو (أيَا)، ونحو ذلك من غير أنْ يُضَمَّ إليه الاسم، والدعاء لا يكادُ يقالُ إلا إذا كانَ معهُ الاسمُ نحو: يا فلانُ، وقد يُستعملُ كلٌّ واحدٍ منهما موضِعَ الآخر ودعوتُه: إذا سألتُه وإذا استَغَثْتُه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[البقرة: ٦٨] أي: سَلْهُ»[٧٣٧].

ثالثاً: التفسير:

تستنكر هذه الآية على المشركين دعاءَ غيرِ الله ممَّن لا يستحقُّ العبادة من دونه تعالى.

يقول البيضاوي: «﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف بكمالِ القدرةِ والعلم. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابتُ في نفسه الواجبُ لذاته وحدَه، فإنَّ وجوبَ وجودِه ووحدته يقتضيان أنْ يكونَ مبدأً لكلِّ ما يوجَد سواه عالماً بذاته وبما عَدَاه، أو الثابت الإلـهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالماً. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلهاً، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين، وقرئ بالبناء للمفعول، فتكون الواو لـ (ما) فإنه في معنى الآلهة. ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته، أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على الأشياء، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر منه سلطاناً»[٧٣٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يدعوه الكفار من الأصنام

---

(٧٣٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٣٧) المفردات ص ٣١٥.

(٧٣٨) تفسير البيضاوي ص٤٥٨.

والخطاب بالغيب للكفار لتحقيرهم.

بينما تفيد قراءة ﴿وَأَن مَا تَدْعُونَ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتوجيه التهديد مباشرةً للمشركين وإعلامهم أنَّ ما يدعونه من دون الله - تعالى - باطلٌ، وهو يلزمهم بالعقاب الذي يستحقُّونه بسبب كفرهم.

يقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدلُّ على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريِّينَ بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطابِ فيهِ نظرٌ إلى جهةٍ أخرَى وهو توجيه التهديدِ توجيهاً مباشراً لهم»(٧٣٩).

بالجمع بين القراءتين نُقِرُّ لله - تعالى - بكمال القدرة وشمول العلم وأنَّه وحده المستحِقُّ للعبادة وأنَّ كلَّ ما يدعوه المشركون من دونه باطلٌ، فهم يدعون معدوماً باطلَ الألوهية من دون الله العليِّ الكبير، لذا فهم ليسوا حريِّينَ بالخطاب لكنَّ الله - تعالى - يوجِّه التهديد إليهم مباشرةً لدعوتهم غير الله، في حين أنَّه لا شيءَ أعلَى منه شأناً وأكبر منه سلطاناً، ففعلهم هذا مُلزِمٌ لهم بالعقاب، والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿لَرَءُفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بواو بعد الهمزة(٧٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رأف: الرَّأفة: الرَّحمة، وقد رَؤُف فهو رئِفٌ ورؤوفٌ، نحو: يقظٌ

---

(٧٣٩) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨ - ٢٩.

(٧٤٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٢٣.

وحَذِر»[741].

ثالثاً: التفسير:

تُبيِّنُ هذه الآية بعضاً من آيات الله في الكون كتسخير ما في الأرض والسفن التي تجري في البحر ورفع السماء وعدم سقوطها على الأرض رحمةً بالناس.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمةَ ربك السابغة، وأياديه الواسعة، و﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها، ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ أي: وسخَّر لكم الفلك، وهي السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ تحملكم، وتحمل تجاراتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أرحم بُهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريدُ لهم الخير، ويريدون لهم الشر والضر، ومن رحمته، أنْ سخَّر لهم ما سخَّر من هذه الأشياء»[742].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَرَءُفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو تفيد قصر الرأفةِ من الله على المؤمنين به سبحانه دون غيرهم من الناس. بينما قراءة ﴿لَرَءُوفٌ﴾ تفيد تمام رحمته تعالى ورأفته بالمؤمنين وديمومة هذه الرأفة منه بهم.

---

(٧٤١) المفردات ص ٣٧٣.

(٧٤٢) تفسير السعدي ص ٥٤٤.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿لَرَءُوفٌ﴾ أي بما يحفظ من سرائرهم عن الزيغ بإرسال الرسل، وإنزالِ الكتب ونصب المناسك، التي يجمع معظمها البيت الذي بوَّأَهُ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو التوحيد والصلاة والحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة، فإنَّ الرأفةَ: ألطفُ الرحمةِ وأبلغُها، فالمرؤوفُ به تقيمُه عنايةُ الرأفة حتى تحفظ بمسراها في سرِّه ظهورَ ما يستدعي العفو، وتارةً يكون هذا الحفظُ بالقوةِ بنصبِ الأدلَّة، وتارةً يضمُّ إلى ذلك الفعلُ بخلقِ الهدايةِ في القلب، وهذا خاصٌّ بمن له بالمنعمِ نوعُ صلة»(٧٤٣).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ نفي إنزال الله تعالى أي حجة من الحجج على عبادة غيره ـ سبحانه وتعالى ـ والمبالغة في نفي ذلك، حيث إنَّ الله هو الذي يُنعِم على الناس بنعمه الكثيرة، يُديم ويُتمُّ نعمه على المؤمنين منهم بألطف الرحمة وأبلغِها برأفته بهم، وتَقتَصِرُ رحمتُه عليهم بخَلْقِ الهدايةِ في قلوبهم، والله أعلم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: ٧١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿يُنْزِل﴾ بإسكان النون وتخفيف الزَّاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّل﴾ بفتح النون وتشديد الزاي(٧٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«نَزَلَ: النُزولُ في الأصلِ هو انحطاطٌ من علوٍّ. يقالُ: نَزَلَ عن دابَّتِه، ونَزَلَ في مكانِ كَذا: حطَّ رحْلَه فيه وأنزَلَه غيره. قال تعالى: ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا

(٧٤٣) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٧١.

(٧٤٤) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٧.

﴿مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩] ونَزَلَ بكذا وأنزَلَه بمعنى، وإنزالُ الله ـ تعالى ـ نعمَه ونقمَه على الخلق وإعطاؤهم إيَّاها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه، كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]»(٧٤٥).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ الكافرين يعبدون من دون الله ما لا يستحق العبادة فهو بلا حجة ولا يستطيع نصرهم من دون الله تعالى.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصرٍ ينصرُهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم»(٧٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يُنَزِّل﴾ بتشديد الزاي المبالغة في نفي تنزيل أي حجة من الحجج على ما يعبدون من دون الله.

بينما تفيد قراءة ﴿يُنْزِل﴾ عدم إنزال أيّ حجّة من الحجج التي تدعم معبوداتهم من دون الله.

بالجمع بين القراءتين تزولُ أباطيلُ المشركين بعبادةِ ما لم يُنَزِّلُ الله ـ تعالى ـ به ولو حجّةً واحدةً تثبتُ استحقاقَه للعبادةِ، كما أنَّه لا علمَ لهم

---

(٧٤٥) المفردات ص ٧٩٩.

(٧٤٦) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص٢٣٦.

به، ولا يستطيعُ نصرَهم فلا ناصرَ من دون الله تعالى، والله هو الأعلى والأعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَدْعونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالخطاب(٧٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:(٧٤٨).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ ضرب الأمثالِ من أساليب القرآن الكريم التي تُقَرِّبُ الصُّورة إلى ذهنِ السَّامعِ وتوضِّحُ المراد، وفي هذه الآية يضربُ الله مثلاً يُدَلِّلَ على عجزِ الناس عامَّةً، وعجزِ الكفار وما يدعونَه من دون الله ـ تعالى ـ خاصَّة.

يقول النسفي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ بين ﴿مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ﴿يَدَّعُونَ﴾ سهل ويعقوب ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهةً باطلةً ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ (لن) تأكيدُ نفي المستقبلِ وتأكيدُه هنا للدلالةِ على أنَّ خلقَ الذباب منهم مستحيلٌ كأنَّه قال: محالٌ أنْ يخلُقوا. وتخصيصُ الذبابِ لمهانتِه وضعفِه واستقذارِه، وسمِّيَ ذباباً لأنَّه كلَّما ذُبَّ لاستقذاره آبَ لاستكباره، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾: لخلقِ الذباب، ومحلُّه النَّصبُ على الحالِ كأنَّه قيل: مستحيلٌ منهم أنْ يخلقُوا الذبابَ مشروطاً عليهم اجتماعُهم جميعاً لخلقِه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغُ ما أُنزل في تجهيلِ قريشٍ حيثُ وَصَفوا بالإلهيةِ التي تقتضي الاقتدارَ على المقدورات

(٧٤٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٤٨) سبق ص ٢٧٤.

كلِّها والإحاطةَ بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيلَ يستحيلُ منها أنْ تقدِرَ على أقلِّ ما خلقه الله تعالى وأذلِّه لو اجتمعوا لذلك، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ ﴿شَيْـًٔا﴾ ثاني مفعولي ﴿يَسْلُبْهُمُ﴾ ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هذا الخلقُ الأقلُّ الأذلُّ لو اختطفَ منهم شيئاً فاجتمعوا على أنْ يستخلِصوه منه لم يقدروا. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبَه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ أي الصنم بطلب ما سلب منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب»[(٧٤٩)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالغيب أنَّ الخطاب للناس عامَّةً مؤمنين وكفاراً وإخبارهم بأنَّ الكفار غير حريِّين بالخطاب، فهم والذين يدعونهم من دون الله عاجزون مجتمعين عن خلق ذبابٍ أو استنقاذِ ما يسلبهم الذباب إيَّاه.

أمَّا القراءة الثانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ فالمقصود بالناس المخاطبين هم الكفار وحدهم، وقد وجَّه إليهم تهديداً مباشراً من خلال خطابه لهم.

يقول سيد قطب: «إنَّه النداء العام، والنفير البعيد الصدى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.. فإذا تجمَّع الناس على النداء أعلنوا أنهم أمام مثل عام يضرب، لا حالة ولا مناسبة حاضرة: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.. هذا المثل يضع قاعدة، ويقرر حقيقة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾. كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعاة. من أصنام وأوثان، ومن أشخاص وقيم وأوضاع، تستنصرون بها من دون الله، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والجاه. كلهم ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾. والذباب صغير حقير؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا

(٧٤٩) تفسير النسفي ج٣/ص١٦٧.

يقدرون ولو اجتمعوا وتساندوا على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!

وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل. لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة. فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل. ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب! ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري[(٧٥٠)]: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾. والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء أكانت أصناماً أم أوثاناً أم أشخاصاً! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده. وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير. وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس: يسلب العيون والجوارح، وقد يسلب الحياة والأرواح. إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد. ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير!.

وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز. ولو قال: وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها. لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف. والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب!

ويختم ذلك المثل المصور الموحي بهذا التعقيب: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾. ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب!»[(٧٥١)].

ويقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدلُّ على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريِّينَ بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطابِ فيهِ نَظرٌ

(٧٥٠) «زَرَى عليه فِعله: عابه» مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٧٥١) في ظلال القرآن ج ٤/ص٢٤٤٣، ٢٤٤٤.

إلى جهةٍ أخرَى وهو توجيه التهديدِ توجيهاً مباشراً لهم»[٧٥٢].

بالجمع بين القراءتين نسلِّمُ بعجزنا نحن البشر أمام الخالق العظيم، وإن كان الخطاب للكفار خاصةً أم للناس كافَّةً فلا بدَّ للجميع بالتسليم بضعف ما يدعوه الناس من دون الله سواءً أكان ما يدعونه صنماً أم بشراً يُعَظِّمونه فهم جميعاً عاجزون ضعفاء أمام أحقر وأصغر مخلوق من مخلوقات الله وهو الذباب، ولهذا فقد خاطبهم بأسلوب الغيبة تحقيراً لهم، ولكنَّه وجَّه إليهم تهديداً مباشراً يلزمهم بالعذاب في حال عدم رجوعهم إلى الحقِّ واخذ العبرة والعظةِ من المَثَل المضروب لهم ليتفكَّروا فيه فيعلموا عجزهم وعجز ما يدعونه من دون الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: ٧٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بضم حرف المضارعة وفتح الجيم[٧٥٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاتِه كان رُجُوعه أو بجُزءٍ من أجزائه أو بفعل من أفعاله. فالرُّجوع: العَوْدُ والرَّجْعُ: الإعادةُ والرَّجعة، والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٧٥٤].

---

(٧٥٢) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨ ـ ٢٩.

(٧٥٣) انظر: النشر ج٢/ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٧٥٤) المفردات ص ٣٤٢.

ثالثاً: التفسير:

تقرِّرُ هذه الآيةُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يتَّصفُ بالعلم الكامل الشامل كما يتَّصف بالقدرة الكاملةِ المطلقة وإليه مَرجع الأمور كلّها.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «ثم بيَّن سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ أنه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ فقال بعضهم ما تقدم في الدنيا وما تأخر، وقال بعضهم: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أمر الدنيا، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ فقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إشارة إلى العلم التام وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ إشارة إلى القدرة التامة والتفرد بالإلهية والحكم، ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الإقدام على المعصية»(٧٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿تَرۡجِعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ الإشارة إلى علم الله الكامل الشامل وقدرته التامة المطلقة لذا فإنَّ أمور الدنيا والآخرة تعود إليه ـ تعالى ـ فهو الإله الأوحد الذي لا كفء له.

جاء في زهرة التفاسير: «أي أنَّ الأمور كلّها ترجع إليه وحده يوم القيامة»(٧٥٦).

بينما تفيد قراءة ﴿تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ بالبناء للمجهول أنَّ الأمور ترجع إلى الله ـ تعالى ـ بغاية السهولة بوعد فصلٍ لا بدَّ منه، وذلك يوم يتجلَّى ـ سبحانه ـ لفصل القضاء يوم القيامة.

ويقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الذي لا كفْء له، وحده ﴿تُرۡجَعُ﴾ أي: بغايةِ السهولةِ بوعدِ فصلٍ لا بدَّ منه ﴿ٱلۡأُمُورُ﴾ يوم يتجلَّى

---

(٧٥٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص٧٠.

(٧٥٦) زهرة التفاسير مج٩/ ص ٥٠٣٣.

لفصلِ القضاء، فيكونُ أمرُه ظاهراً لا خَفاءَ فيه، ولا يَصْدُرُ شيءٌ من الأشياء إلاَّ علَى وجهِ العدلِ الظَّاهرِ لكُلِّ أحدٍ أنَّه منه. ولا يكونُ لأحدٍ التفاتٌ إلى غيره، والذي هو بهذه الصِّفةِ له أنْ يُشَرِّعَ ما يشاء، وينسخَ من الشُّروع ما يشاء، ويحكمَ بما يريد»[٧٥٧].

بالجمع بين القراءتين تتَجَلَّى حقيقةُ علم الله الكامل الشامل مع قدرته التَّامَّة المطلقة فهو الله الذي لا إله غيره، وليس له كفواً أحد، فلا بد من رجوع الأُمور إليه سبحانه، لذا فهي ترجعُ منقادةً إليه بغاية السهولة ليفصل بين الَخلق فيها بحكمه العادل يوم القيامة، والله أعلم.

(٧٥٧) نظم الدرر ج ٥ / ص١٧٨.

الفصل الرابع

تفسير سورة (المؤمنون)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (المؤمنون).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة (المؤمنون)

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة (المؤمنون)

أولاً: اسم السورة:

الاسم الذي عُرِفت به هذه السورة هو سورة (المؤمنون)، كما جرى على الألسنةِ أنْ يُسَمُّوها سورة (قد أفلَحَ)، كما يسمونها (سورة الفلاح)[٧٥٨].

ثانياً: نوع السورة:

أجمع معظمُ المفسرين على أنَّ سورة (المؤمنون) مكيَّة، وتوقَّفَ بعضُهم في الآية التي ذُكِرت فيها الزَّكاة.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «سورة المؤمنين مكية في قول الجميع»[٧٥٩].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وهي مكيَّةٌ بالاتفاق. ولا اعتدادَ بتوقف من توقَّفَ في ذلك بأنَّ الآيةَ التي ذُكِرَت فيها الزَّكاةُ، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ تعيَّن أنَّها مدنيَّةٌ؛ لأنَّ الزكاة فُرِضَت في المدينة. فالزَّكاةُ المذكورةُ فيها هي الصَّدقةُ، لا زكاةُ النّصبِ المعيَّنةِ في الأموال. وإطلاقُ الزَّكاةِ على الصدقة مشهورٌ في القرآن. قال تعالى:

---

(٧٥٨) انظر: في ظلال القرآن ج٤/ص ٢٤٥٢. والتحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥.

(٧٥٩) زاد المسير ج٣/ص ٢٥٤. وانظر: تفسير القرطبي ج٧/ص ٤٤٩٤. والدر المنثور ج٦/ص ٨٢.

﴿. . . وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ . . .﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] وهي من سورة مكيّة بالاتفاق وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ. . .﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥] ولم تكن زكاةُ النّصب مشروعةً في زمنِ إسماعيل»[٧٦٠].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

هناك خلافٌ بسيط في عدد آيات هذه السورة، فهي في عدِّ الجمهور مائةٌ وسبعَ عشرةَ آية، وعدَّها أهل الكوفة مائةٌ وثماني عشرةَ آية، وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثماني عشرة آية»[٧٦١].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثماني عشرة فالجمهور عدوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ آية وأهل الكوفة عدوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ آية، وما بعدها آية»[٧٦٢].

رابعاً: فضائل السورة:

سورةُ (المؤمنون) تمتازُ بفضائلَ جمّةٍ: فهيَ تثني على المؤمنين، وتنتصرُ لهم من الكافرين الخالدين في النار، الذين كانوا يتّخذون المؤمنين سخريًّا فجزاهم الله جنّته بما صبروا.

«يذكر عن عبد الله بن السائب[٧٦٣]: (قرأ النبي ﷺ (المؤمنون) في

(٧٦٠) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥ ـ ٦.

(٧٦١) تفسير أبي السعود ج٤/ ص ٤٠١. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٦١. والدر المنثور ج٦/ص٨٢.

(٧٦٢) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٦.

(٧٦٣) هو «عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويكنى أبا عبد الرحمن وأمه رملة بنت عروة ذي البردين من بني هلال بن عامر بن=

الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع)»[٧٦٤].

يقول السيوطي - رحمه الله -: «وأخرج البخاري في الأدب المفرد[٧٦٥] عن يزيد بن بابنوس[٧٦٦] قال: قلنا لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلقه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة (المؤمنون) ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ فقرأ حتى بلغ العشر فقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ»[٧٦٧].

وذكر القرطبي - رحمه الله -: «من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: (لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون)[٧٦٨]»[٧٦٩].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

خُتِمت سورة (الحج) بحثِّ المؤمنين على الجهاد والصلاة والزكاة

= صعصعة، أسلم عبد الله يوم الفتح ولم يزل مقيماً بمكة إلى أن مات بها في زمن عبد الله بن الزبير». الطبقات الكبرى ج٥/ص٤٤٥.

(٧٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج١/ص٢٦٨، كتاب: صفة الصلاة، باب: الجمع بين السورتين في الركعة.

(٧٦٥) انظر: الأدب المفرد ج١ / ص١١٥، كتاب: حسن الخلق، باب: من دعا الله أن يحسن خلقه.

(٧٦٦) هو يزيد بن بابنوس، بصري، روى عن عائشة زوج النبي ﷺ، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وروى له البخاري في الأدب، وقال: كان ممّن قاتلوا علياً. انظر: تهذيب الكمال ج٣٢/ص٩٢.

(٧٦٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ج١/ص١١٥/ح٣٠٨ وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وانظر: الدر المنثور ج٦/ص٨٢.

(٧٦٨) أخرجه السيوطي عن ابن عباس في الدر المنثور ج١ / ص٩٣. كما رواه الطبراني (بنحوه) عن ابن عباس رضي الله عنه في المعجم الأوسط ج١/ ص٢٢٤ / ح ٧٣٨. كما ذكره الألباني (بنحوه) عن أبي سعيد رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ ص٢٦٠/ح ٣٧١٤، وقال الألباني: صحيح. وانظر: الفوائد ج١/ ص ١٠٩.

(٧٦٩) تفسير القرطبي ج٧/ ص ٤٤٩٤.

والاعتصام بالله، وابتُدِئت سورة (المؤمنون) بالثناء على المؤمنين الذين التزموا أمور الدين خاصَّةً وعامَّة.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في مناسبة سورة (المؤمنون) مع سورة (الحج): «لمَّا خُتمت (الحجّ) بنداء الذين آمنوا وأمرهم بأمورِ الدين خاصةً وعامَّة، وختمت بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفاً بما ذُكِر، أوجبَ ذلك توقُّعَ المنادين كلَّ خيرٍ، فابتدئت هذهِ بما يُثمرُ الاعتصامَ به سبحانه في الصلاةِ وغيرها، من خلالِ الدِّينِ في الدَّارين، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقُّع: ﴿قد﴾ وهي نقيضةٌ لِما تثْبُتُ المتوقَّع وتقرِّبُ الماضي من الحالِ ولِما تَنفيه، ﴿أَفْلَحَ﴾ أي فازَ وظفر الآن بكلِّ ما يريد، ونالَ البقاءَ الدَّائمَ في الخير، ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وعبَّرَ بالاسم إشارةً إلى أنَّ منْ أقرَّ بالإيمان وعملَ بما أُمِرَ به في آخر التي قبلها، استحقَّ الوصفَ الثابتَ لأنَّه اتقى وأنفقَ ممَّا رُزِقَ فأفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»[٧٧٠].

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

هدفُ (سورة المؤمنون) أنَّها جاءت لتبشِّرَ وتستخرجَ عواطفَ الشُّكر، وتُذَكِّرُ لتؤدِّي دورَها في التَّحذيرِ من طُرُقِ الضلال بالتذكير والتعليم والتربيةِ والتوضيحِ والتنويرِ، وكلُّ ذلك مُقدِّمةٌ للمطالبةِ بكثيرٍ من الأحكامِ الإسلاميَّةِ التي يقتضي القيامُ بها الدخولَ في الإسلام كلِّه[٧٧١].

وقد فصَّل الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ أغراضَ هذه السورة حيثُ يقول: «هذه السورة تدور آيُها حول محورِ تحقيقِ الوحدانيةِ، وإبطالِ الشِّركِ ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، فكان افتتاحُها بالبشارةِ للمؤمنين بالفلاحِ العظيمِ على ما تحلَّوا به من أصولِ الفضائل الروحيةِ والعمليةِ التي بها تَزكيةُ النَّفسِ واستقامةُ السلوك.

(٧٧٠) نظم الدرر ج٥/ص١٨٢. وانظر: التفسير المنير ج١٨/ص٦. وأسرار ترتيب القرآن ص ١١١.

(٧٧١) انظر: الأساس مج٧ / ص٣٦١٣.

وأعقب ذلك بوصف خَلْقِ الإنسانِ، أصلِه ونسلِه الدَّالِّ على تفرُّدِ الله - تعالى - بالإلهيةِ لتفرُّدِه بخلقِ الإنسانِ ونشأتِه ليبتدئَ الناظرُ بالاعتبارِ في تكوينِ ذاتِه، ثم بعدَمِهِ بعدَ الحياة. ودلالةِ ذلك الخَلْقِ على إثباتِ البعثِ بعد المماتِ، وأنَّ اللهَ لم يخلُق الخلقَ سُدىً ولعباً.

وانتقل إلى الاعتبار بخَلق السماوات ودلالتِه على حكمةِ اللهِ تعالى، وإلى الاعتبارِ والامتنانِ بمصنوعاتِ الله تعالى، التي أصلُها الماءُ الذي به حياةُ ما في هذا العالمِ من الحيوانِ والنباتِ وما في ذلك من دقائق الصُّنعِ، وما في الأنعامِ من المنافع ومنها الحَمْل، ومن تسخيرِ المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلاتِ الفكرِ والنَّظر.

وورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان. وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق وما كان من عقاب المكذبين وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا.

وبتنبيه المشركين على أنَّ حالَهم مماثلٌ لأحوالِ الأمم الغابرة وكلمتهم واحدة فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية.

وقد أراهم الله مخائل(٧٧٢) العذاب لعلهم يقلعون عن العناد فأصرُّوا على إشراكهم بما ألقَى الشيطان في عقولهم وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنَّهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت وفي يوم القيامة، وبأنهم عرفوا الرسول ﷺ وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق وما تخلل ذلك من جوامع الكلم.

(٧٧٢) «تَخَيَّلَ له أنه كذا وتَخَايَل أي تشبه يقال تَخَيَّلَهُ فَتَخَيَّلَ له، كما يقال: تصوره، فتصور له، وتبيَّنه فتبيَّن له فتحقق له». مختار الصحاح ص ١٩٦.

وخُتِمت بأمرِ النبيِّ ﷺ أنْ يغُضَّ عن سوءِ معاملتِهم ويدفعَها بالتي هي أحسن، ويسألَ المغفرةَ للمؤمنين، وذلك هو الفلاحُ الذي ابتُدِئَت به السُّورة(٧٧٣).

سابعاً: محور السورة:

محورُ السورة هو الكلامُ في أصول الدِّينِ من وجود الخالق وتوحيدِه وإثباتِ الرِّسالةِ والبعث.

يقول الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «هذه سورة (المؤمنون)... اسمها يدلُّ عليها. ويحدد موضوعها.. فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنبيين؛ وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجي المؤمنين.. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.. ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر.. وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، ويختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.

فهي سورة (المؤمنون) أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته. وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل(٧٧٤).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

مضمون سورة (المؤمنون) هو بيان صفات المؤمنين، وعرض دلائل القدرة والوحدانية، وقصص بعض الأنبياء؛ تسلية لرسول الله ﷺ، وتصوير

---

(٧٧٣) التحرير والتنوير مج٩ /ج١٨ / ص ٦ ـ ٧.

(٧٧٤) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٥٢.

الشدائد والأهوال التي يلقاها الكفار وقت الاحتضار، وفي يوم القيامة، وبيان مصير كلٍّ من المؤمنين والكفار.

يُقسم الشهيد سيد قطب - رحمه الله - سياق السورة إلى أربعة أشواط:

يبدأ **الشوط الأول** بتقرير الفلاح للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾... ويبيِّن صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح.. ويثني بدلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا متوسعاً في عرض أطوار الجنين، مجملاً في عرض المراحل الأخرى.. ثم يتابع خط الحياة البشرية إلى البعث يوم القيامة.. وبعد ذلك ينتقل من الحياة الإنسانية إلى الدلائل الكونية.

فأما **الشوط الثاني** فينتقل من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان. حقيقته الواحدة التي توافق عليها الرسل دون استثناء: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قالها نوح عليه السلام وقالها كل من جاء بعده من الرسل، حتى انتهت إلى محمد ﷺ وكان اعتراض المكذبين دائماً: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ... وكانت العاقبة دائماً أنْ يلجأ الرسل إلى ربهم يطلبون نصره، وأنْ يستجيبَ اللهُ لرسله، فيهلك المكذبين.

والشوط الثالث يتحدث عن تفرق الناس بعد الرسل وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة التي جاءوا بها: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ وعن غفلتهم عن ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من متاع. بينما المؤمنون مشفقون من خشية ربهم، يعبدونه ولا يشركون به، وهم مع ذلك دائمو الخوف والحذر ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

والشوط الأخير يدعهم وشركهم وزعمهم؛ ويتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ أنْ يدفعَ السيئة بالتي هي أحسن، وأنْ يستعيذَ بالله من الشياطين، فلا يغضب ولا يضيق صدرُه بما يقولون.. وإلى جوار هذا مشهد من مشاهد القيامة يصور ما ينتظرهم هناك من عذاب ومهانة وتأنيب.. وتختم السورة بتنزيه الله سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ وبنفي الفلاح عن الكافرين في مقابل تقرير الفلاح في أول السورة للمؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ وبالتوجه إلى الله طلباً للرحمة والغفران: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾[775].

(٧٧٥) انظر: في ظلال القرآن ج٤/ ص٢٤٥٢ ـ ٢٤٥٣.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿لأمانتهم﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ بالألف على الجمع(٧٧٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمن: «(أَمِنَ) بالكسر (أَمَانَةً) فهو (أَمِينٌ) ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمعُ: (أَمَانَاتٌ)»(٧٧٧).

الأمانةُ: حالةٌ في الإنسانِ تَبعثُهُ على حفظِ ما يجبُ عليهِ من حقٍّ لغيرِه، وتمنَعُهُ من إضاعتِه، أو جعلِه لنفعِ نفسِه، وضدّها الخيانة.

(٧٧٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

(٧٧٧) المصباح المنير ص ٢٤.

والأمانةُ من أعزّ أوصافِ البشر، وهي من أخلاقِ المسلمين، وفي الحديث: (لاَ إيمَانَ لِمَنْ لاَ أمان له)(٧٧٨)(٧٧٩).

ثالثاً: التفسير:

يمتدحُ الله ـ تعالى ـ المؤمنينَ بأنّهم يحفظون أماناتهم وعهدهم.

يقول السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ⑧﴾: «أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيامِ بها وتنفيذها، وهذا عامٌّ في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وكذلك العهد، يشملُ العهدَ الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات، والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاءُ بها، ويحرمُ عليه التفريطُ فيها وإهمالُها»(٧٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِأَمانتِهِم﴾ تشير إلى أمانةٍ واحدةٍ تجمع كلَّ ما يحمله المسلم من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فهذه القراءة تعبِّرُ عن جنس الأمانة.

يقول القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الأمانةُ والعهد يجمع كلّ ما يحمله الإنسان

(٧٧٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برواية أنس بن مالك ج٣/ص ١٣٥/ ح ١٢٤٠٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن. وانظر: صحيح ابن حبّان ج١ / ص٤٢٢ / ح ١٩٤. ومسند أبي يعلي ج ٥/ ص٢٤٦ / ح ٢٨٦٣.

(٧٧٩) التحرير والتنوير ج٥/ ص ٢٠٣.

(٧٨٠) تفسير السعدي ص ٥٤٧.

من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والأمانة أعم من العهد وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد»[781].

أمّا القراءة الثانية ﴿لِأَمَٰنَتِهِمْ﴾ فإنّها تتعلّقُ بجميع أمانات المؤمن التي تكون بينه وبين خالقه من العبادات كالصلاة والصوم وغيرها، وما تكون بين العبيد كالودائع وغيرها.

يقول البغوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والأمانات تختلف فتكون بين الله ـ تعالى ـ وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون بين العبيد، كالودائع والصنائع، فعلَى العبد الوفاءُ بجميعها»[782].

بالجمع بين القراءتين تتبلور صورةٌ جميلةٌ للمؤمن الذي يحفظ ويرعى جميع أماناته التي تكون بينه وبين خالقه، والتي تكون بينه وبين الناس، فهو بذلك يحفظُ عهدَه وأمانتَه بحفظِ أمرِ دينِه ودُنياه قولاً وفعلاً، فالأمانةُ جنسٌ واحدٌ لا يقبلُ التجزئةَ ولا التبعيض؛ إمّا أنْ تكون حافظاً للأمانةِ راعياً لها، أو أنْ تكونَ مُضيّعاً لها والعياذُ بالله، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالتوحيد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ بالجمع[783].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صلاة: «الصَّلاةُ: الدُّعاء، والصلاةُ من الله ـ تعالى ـ الرحمةُ، والصلاةُ واحدةُ الصَّلَواتِ المفروضةِ، وهو اسمٌ يوضعُ موضعَ المصدرِ، يقالُ: صَلَّى

(٧٨١) تفسير القرطبي ج٧/ص ٤٤٩٩.

(٧٨٢) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤١٠.

(٧٨٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

صلاةً، ولا يقالُ تَصْلِيَةً»[784].

ثالثاً: التفسير:

لقد امتازت الصلاةُ عن غيرها من العباداتِ بالكثير، ولأهميَّتها فقد فرِضت من الله مباشرةً للنبيِّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ والمعراج بدون وساطة جبريل عليه السلام، لذا فمن صفاتِ المؤمنين أنَّهم على صلواتهم يُحافظون.

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنَّ من صفاتِ المؤمنين المفلحينَ الوارثينَ الفردوس: أنَّهم يحافظونَ على صلواتهم والمحافظةُ عليها تشملُ إتمامَ أركانِها، وشروطها، وسننها، وفعلها في أوقاتِها في الجماعات في المساجد، ولأجلِ أنَّ ذلك من أسبابِ نيلِ الفردوس أَمَرَ تعالى بالمحافظةِ عليها في قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: ٣٤]، وقال فيها أيضاً: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٢ ـ ٢٣]، وذم وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]»[785].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالإفراد معنى المحافظةِ على الصلاةِ فذُكِرَ المصدرُ ويعني المحافظةُ على كلِّ صلاةٍ من الصلواتِ المفروضة.

أمَّا قراءة ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ بالجمع فتفيد المحافظة على أعداد الصلوات كلِّها، وعدم تضييع أيٍّ منها، كما تفيد تعظيم الصلاة وتعظيم من يحافظ عليها، وتعظيم جزائه من الله.

يقول الطاهر بن عاشور: «ثناء على المؤمنين بالمحافظة على

(٧٨٤) مختار الصحاح ص٣٧٥.

(٧٨٥) أضواء البيان ج٥ / ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥.

الصلوات، أي بعدم إضاعتها أو إضاعة بعضها، والمحافظة مستعملة في المبالغة في الحفظ... وجيء بالصلوات بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيصاً على العموم»[786].

ويقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرىء: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ فإن قلت: كيف كرّر ذكر الصلاة أوّلاً وآخراً؟ قلت: هما ذِكران مختلفان فليس بتكرير. وصفوا أَوّلاً بالخشوع في صلاتهم، وآخراً بالمحافظة عليها. وذلك أنْ لا يسهُوْا عنها، ويؤدّوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أنْ تتمّ به أوصافها. وأيضاً فقد وُحِّدَت أولاً ليُفادَ الخشوعُ في جنسِ الصلاة أيِّ صلاةٍ كانت، وجُمِعَت آخراً لتُفادَ المحافظةُ على أعدادها وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنازة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة. وغيرها من النوافل»[787].

ويقول ابن الجزري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: اكتنف قبل وبعد قوله تعالى ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ في هذه السورة من تعظيم الوصف في المتقدّم وتعظيم الجزاء في المتأخِّر فناسب لفظ الجمع، وكذلك قرأ به أكثر القرَّاء، ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد[788].

بالجمع بين القراءتين يستشعرُ المؤمن أهميَّةَ المحافظة على الصلاةِ المفروضة إلى جانب النافلة فبعد ثناء الله ـ تعالى ـ على المؤمنين الخاشعين في صلاتهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٢] **أثنى عليهم مرَّةً أخرى؛ لمحافظتهم على جميع صلواتهم، ممَّا يدلُّ على تفَرُّد الصلاة واختصاصها بما لم يُختَصّ به غيرها من العبادات على الإطلاق، كما يدلُّ على جزيلِ ثوابها، وعظيم صفةِ المحافظةِ عليها، والله أعلم.**

---

(٧٨٦) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٨.

(٧٨٧) الكشاف ج٣/ ص ٢٧. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٣٣٧.

(٧٨٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

٣ - قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وأبو بكر(٧٨٩) ﴿عَظْماً فَكَسَوْنَا العَظْمَ﴾ بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على التوحيد فيهما.

٢ - وقرأهما الباقون ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع(٧٩٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«العَظْمُ: الذي عليه اللحمُ من قَصَبِ الحيوانِ، والجمع أَعْظُمٌ وعِظامٌ»(٧٩١).

ثالثاً: التفسير:

يتجلَّى كمالُ قدرةِ الله، واستحقاقه وحده للعبادة - ﷻ - في أطوار خلقه الإنسان، ونقله له من حالٍ إلى حال، وقد ضَمَّنتُ الموضع الثاني من سورة الحجّ تفصيلاً لأطوار خلق الإنسان كما ذكرها الطاهر بن عاشور(٧٩٢) بما يُغني هنا عن التكرار.

يقول السعدي: «ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: قد سُلَّت، وأُخِذَت من جميع

---

(٧٨٩) هو شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة٩٥هـ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين، وكان من أئمة السنة توفي رحمه الله سنة ١٩٣هـ.

(٧٩٠) انظر: النشر ج٢ / ص٣٢٨.

(٧٩١) لسان العرب ج١٢/ ص ٤٧٧. وانظر: مختار الصحاح ص٤٦٧.

(٧٩٢) انظر: التحرير والتنوير مج٨ /ج١٧ /ص١٩٦ - ٢٠٣.

الأرض، ولذلك جاء بنوعٍ على قدرِ الأرض، منهم الطيِّبُ والخبيث، وبين ذلك، والسَّهل والحَزْن(٧٩٣)، وبين ذلك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: جنس الآدميين ﴿نُطْفَةً﴾ تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿عَلَقَةً﴾ أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوماً من النطفة، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مُضْغَةً﴾ أي: قطعةُ لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾ اللينة ﴿عِظَٰمًا﴾ صلبة، قد تخلَّلت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عماداً للَّحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ نفخَ فيه الرُّوح، فانتقل من كونِه جماداً، إلى أنْ صارَ حيواناً، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالَى وتعاظَم وكَثُرَ خَيرُه، ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑨﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩] فخلقُهُ كلُّه حَسَن، والإنسانُ من أَحسَنِ مخلوقاته، بل هو أحسنُها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [التين: ٤] ولهذا كان خواصُّه أفضلَ المخلوقاتِ وأكملَها»(٧٩٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿عَظْماً فَكَسَوْنَا العَظْمَ﴾ بالإفراد خلقُ الله ـ تعالى ـ لجنس العظام وكِسْوَته لحماً، وقد وحَّدَ نسبةً إلى لفظ إفراد الإنسانِ والنُّطفةِ والعَلَقة.

---

(٧٩٣) «الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض». مختار الصحاح ص١٦٧.

(٧٩٤) تفسير السعدي ص ٥٤٨.

بينما تفيد قراءة ﴿عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ﴾ بالجمع أصل العظام وتعدُّد أنواعها فمنها الدقيقة والغليظة وغيرها، كما أفادت أنَّ هذا أمرٌ عامٌ في جميع النَّاس.

يقول ابن جنّي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في توجيه القراءتين: «أمَّا من وحَّدَ فإنَّه ذهبَ إلى لفظ إفراد الإنسان والنُّطفةِ والعلَقة، ومن جمع فإنَّه أرادَ أنَّ هذا أمرٌ عامٌ في جميع النَّاس»(٧٩٥).

كما جاء في كتاب طلائع البشر: «قُرِىءَ ﴿عَظْماً، العَظْمَ﴾ بفتح العين وسكون الظاء فيهما، وحذف الألف على الإفراد لقصد الجنس.

وقُرِىءَ بكسر العين وفتح الظاء بعدها ألف على الجمع(٧٩٦) لقصد الأنواع، والعظامُ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ وغير ذلك»(٧٩٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يخلق المضغةَ التي هي طورٌ من أطوار خلق الإنسان عظماً مكسوًا لحماً، وأنَّ هذا العظمَ الموجود في كلِّ إنسانٍ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ، وهذا عامٌ في جميع الناس، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾:

١ ـ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿طُورِ سِيْنَاءَ﴾

(٧٩٥) المحتسب ج٢/ص٨٧.

(٧٩٦) المعنى يتطلَّبُ لفظةَ (الجمع) لكنها في كتاب (طلائع البشر) كتبت (الإفراد).

(٧٩٧) طلائع البشر ص١٨٢. وانظر: الموضح ج٢/ص٨٩١. إعراب القراءات السبع ج٢/ص٨٦. الكشف ج٢/ص١٢٦. الحجة في القراءات السبع ص ٢٥٦. الإتحاف ج٢/ص٢٨٢. المستنير ج٢/ص ٩٨. والهادي ج٣/ص٧٤.

بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ بفتحها.

القراءات في ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس ﴿تُنۢبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ بضم التاء وكسر الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ بفتح التاء وضم الباء[٧٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سين: طور سيناء جبل بالشام وهو طور أضيف إلى سيناء وهي شجر وكذا طُورُ سِينِينَ قال الأخفش سينين شجر واحدتها سينينة قال وقرئ ﴿طور سيناء﴾ وسيناء بالفتح والكسر والفتح أجود في النحو، وقال أبو علي[٧٩٩] إنما لم يصرف لأنه جعل اسما للبقعة»[٨٠٠].

تَنْبُتُ: «نَبَتَ الشَّيْءُ يَنْبُتُ نَبْتاً ونَبَاتاً وتَنَبَّتَ»[٨٠١].

تُنبِتُ: «تُنبِتُ فذَهَب كَثيرٌ من النّاس إِلى أَن معناه تُنْبِتُ الدُّهْنَ أَي شَجَرَ الدُّهْنِ أَو حَبَّ الدُّهْنِ»[٨٠٢].

ثالثاً: التفسير:

لقد اختصَّ الله ـ تعالى ـ شجرة الزيتون بما ينفع الناس من زيتها وزيتونها، كما اختصها بمكان منبتها في بقعةٍ مباركةٍ هي طور سيناء.

يقول النسفي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ وهي

---

(٧٩٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

(٧٩٩) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١.

(٨٠٠) مختار الصحاح ص٣٢٦. وانظر: أطلس القرآن ص ١٦٦ ـ ١٦٨. وراجع ص ٣٤ ـ ٣٨ من هذه الرسالة.

(٨٠١) تاج العروس ج ١/ ص٥٨٨.

(٨٠٢) المرجع السابق ج ١/ ص٥٨٩.

شجرة الزيتون ﴿تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾، ﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ و﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾[التين: ٢] لا يخلو إمَّا أنْ يُضافَ الطورُ إلى بقعةٍ اسمها سيناء وسينون، وإما أنْ يكونَ اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرىء القيس، وهو جبلُ فلسطين. و(سِيناء) غيرُ مُنصرفٍ بكلِّ حالٍ، مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة، أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء، ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ قال الزجاج: الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن ﴿تُنۢبِتُ﴾ مكي وأبو عمرو. إما لأنَّ أنبتَ بمعنى نَبَتَ كقوله (حتى إذا أنبت البقل)، أو لأنَّ مفعولَه محذوفٌ أي تُنبِتُ زيتونَها وفيه الدّهن ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ أي إدام لهم. قال مقاتل[٨٠٣]: جعل الله تعالى في هذه إداماً ودهناً، فالإدام الزيتون، والدهن الزيت. وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع»[٨٠٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿طُورِ سِيۡنَاءَ﴾ خروجَ شجرةِ الزَّيتونِ من جبلِ الطُّور المُسَمَّى ﴿طُورِ سِيۡنَاءَ﴾ فهذه القراءة أخبرتنا باسم المكان الذي تَنْبُتُ فيه شجرة الزيتون.

بينما تفيد قراءة ﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ وصفَ البقعةِ التي تخرجُ منها شجرةُ الزيتون بأنَّها بقعةٌ مرتفعةٌ مباركةٌ، كثيرةُ الشجر، حسنةُ المنظر.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي طور سيناء خمسة تأويلات:

أحدها: أنَّ سيناء البركة فكأنه قال جبل البركة.

(٨٠٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي صاحب التفسير: من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها، توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب ج١٠/ص٢٤٩، والأعلام ج٧/ ص ٢٨١.

(٨٠٤) تفسير النسفي ج٣/ص١٧٤ ـ ١٧٥.

الثاني: أنّه الحسن المنظر.

الثالث: أنّه الكثير الشجر...

الرابع: أنّه اسم الجبل الذي كلّم الله عليه موسى.

الخامس: أنّه المرتفعُ مأخوذٌ من السَّناء، وهو الارتفاع. فعلى هذا التأويل يكون اسماً عربياً وعلى ما تقدم من التأويلات يكون اسماً أعجمياً»[٨٠٥].

ويقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ وطور سنين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمّا أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه، كامريء القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فَتَحَ فلم يصرف؛ لأنّ الألف للتأنيث كصحراء. وقيل: هو جبل فلسطين. وقيل: بين مصر وإيلة. ومنه نودي موسى عليه السلام»[٨٠٦].

أمّا قراءة ﴿تُنبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ فقد أفادت إنبات شجرة الزيتون للدهن الذي هو الزيت المُستخرج من ثمرها.

بينما تفيد قراءة ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ نَبْتَ هذه الشجرة ومعها الدُّهن الذي هو زيت الزيتون الذي يحويه ثَمَرُها.

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ الباقون: (تَنبُت) بفتح التاء، وضم الباء مضارع: نبت الثلاثي، وعلى هذه القراءة، فلا إشكال في حرف الباء في قوله: بالدهن أي: تنبت مصحوبة بالدهن الذي يستخرج من زيتونها، وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ففي الباء إشكال، وهو أن أنبت الرباعي يتعدى بنفسه، ولا يحتاج إلى الباء وقد قدمنا النكتة في الإتيان بمثل هذه

(٨٠٥) تفسير الماوردي ج٤ / ص٥٠. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢ / ص ٦٦٠ ـ ٦٦١.

(٨٠٦) الكشاف ج٣/ ٢٩. وانظر: إعراب ثلاثين سورة ص١٢٨.

الباء في القرآن، وأكثرنا من أمثلته في القرآن، وفي كلام العرب في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى ﴿وَهُزِّيَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ...﴾ [مريم: ٢٥]، ولا يخفى أنَّ (أنبت) الرباعي، على قراءة ابن كثير، وأبي عمرو هنا: لازمة لا متعدية لمفعول، وأنبت تتعدى، وتلزم فمن تعديها قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ﴾ [النحل: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩] ومن لزومها قراءة ابن كثير، وأبي عمرو المذكورة... أنبت... لازم بمعنى: نبت، وهذا هو الصواب في قراءة: تنبت بضم التاء. خلافاً لمن قال: إنَّها مضارع أنبت المتعدي، وأنَّ المفعول محذوف: أي تنبت زيتونها، وفيه الزيت»[٨٠٧].

بالجمع بين القراءات الأربع نعرفُ ما اختصَّ الله به شجرة الزيتون حيثُ تَنبُتُ في أرضٍ مرتفعةٍ مباركةٍ كثيرةِ الشجر حسنةِ المنظرِ وهيَ المُسَمَّاة بطور سِيناء، والتي تُنبِتُ ثمر الزَّيتون الذي نستخرجُ منه الدُّهن المعروف بزيت الزيتون. فهذه الشجرة تخرجُ من طور سيناء وتُخرِجُ ثمرَها الذي هو حبُّ الزيتون المليءِ بالزيت، والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب، وشعبة ﴿نَسْقِيكُم﴾ بفتح النون.

٢ ـ وقرأ أبو جعفر ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بالتاء مفتوحة.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿نُسْقِيكُم﴾ بضم النون[٨٠٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(٨٠٧) أضواء البيان ج٥/ ص٧٨٨. وانظر: تاج العروس ج١/ ص ٥٨٩.

(٨٠٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٠٤.

سقي: «س ق ى: السِّقاءُ يكون للبن والماء والقربة تكون للماء خاصة وسَقَاهُ من باب رمى وأسْقَاهُ قال له سقيا وسَقاهُ الله الغيث وأسْقَاهُ والاسم السُّقْيَا بالضم وقيل سَقَاهُ لشفته وأسْقَاهُ لماشيته وأرضه»(٨٠٩).

ثالثاً: التفسير:

نِعَمُ الله ـ تعالى ـ على الإنسان لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ومنها خلقُه الأنعامَ ذات المنافع الكثيرة للناس فمنها نأخذُ اللبن واللحم، ونتَّخذُ بعضها ركوبةً إلى غير ذلك من المنافع.

يقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قرىء: ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك، كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير. وفيها منفعة زائدة، وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها، والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنَّها سفائن البرّ»(٨١٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿نَسْقِيكُم﴾ إرجاع سُقيا اللبن إلى الله تعالى بعظمته فهو الذي خلق هذه الأنعام وهيَّأها لِتُخرجَ لنا اللبن.

وتفيد القراءة الثانية ﴿تَسْقِيْكُم﴾ أنَّ الأنعام هي التي تسقينا اللبن.

يقول الزمخشري: «قرىء: ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام»(٨١١).

وتفيد القراءة الثالثة ﴿نُسْقِيكُم﴾ ديمومة سقيا اللبن من الأنعام فهي تعطينا اللبن باستمرار وبدون انقطاع.

---

(٨٠٩) مختار الصحاح ص ٣٢٦.

(٨١٠) الكشاف ج٣/ ص ٢٩.

(٨١١) المرجع السابق ج٣/ ص ٢٩. (سبق في تفسير الآية).

يقول الخطيب التبريزي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قال قومٌ: سقَى وأسقَى لغتان في معنَى واحد، وقال آخرون: سَقَيْته ناولته شربة، وأسقَيته: جعلتُ له سقياً، وأجازوا القراءة بالضم؛ لأنَّه شربٌ دائمٌ»(٨١٢).

ويقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿نَسْقِيكُم﴾ بفتح النون. . .، والوجه أنَّه من سقاهُ يَسقيهِ، وذلك لما يكون للشفة، قال الله تعالى ﴿. . .وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١] وقرأ الباقون ﴿نُسْقِيكُم﴾ بضم النون، والوجه أنَّه من أسْقَيْتُهُ إذا جعلت له سُقيا، يُقال أسقيتُهُ نهراً إذا جعلتُهُ شِرْباً لهُ، والمعنى أنّا نجعله في كثرته وإدامته كالسُّقيا لكم»(٨١٣).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته خلق للناس الأنعامَ وهيَّأها لتكون مصنعاً يُخرِجُ لهم اللبنَ فتسقيهم منه بكثرةٍ واستمرارِ سُقيا دائمةً إلى ما شاء الله، والله أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء(٨١٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

غير: «غَيْرٌ: بمعنى سِوى»(٨١٥).

---

(٨١٢) المُلَخَّص ص١٤٢.

(٨١٣) الموضح ج٢/ص ٧٣٩. وانظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٤٦١.

(٨١٤) انظر: النشر ج٢/ص٢٧٠.

(٨١٥) مختار الصحاح ص ٤٨٨.

ثالثاً: التفسير:

إنَّ دعوةَ نوحٍ عليه السلام هي دعوة سائر الأنبياء بتوحيد الألوهية، هداية الناس لعبادة الله وحده لينجوا من عذاب النار ويتَّقوها.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «يذكر تعالى رسالةَ عبده ورسوله نوح عليه السلام، أولَ رسولٍ أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصحُّ إلاَّ بإخلاصها. ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فيه إبطالُ ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم لا يزدادون إلا عتواً ونفوراً»[٨١٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ إبطالُ ألوهيةِ غيرِ الله، فتكون كلمة ﴿غَيْرِهِ﴾ صفةً لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ حيثُ إنَّه مجرور بحرف الجر (من) اتباعاً للفظ.

بينما تفيد قراءة ﴿مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ تخصيص الله تعالى بالألوهية، وإثباتها له تعالى وحده، حيثُ إنَّ (من) زائدة، و﴿غَيۡرُهُۥٓ﴾ صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ على أنَّه في محل رفع مبتدأ مؤخر خبره (ما لكم).

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «ودل على الاستغراق بقوله: ﴿مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾»[٨١٧].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «و﴿غَيۡرُهُۥٓ﴾ نعت لـ﴿إِلَٰهٍ﴾. قرأه الجمهور بالرفع على اعتبار محل المنعوت بـ (غير) لأن المنعوت مجرور

(٨١٦) تفسير السعدي ص ٥٥٠.

(٨١٧) نظم الدرر ج ٥ /ص١٩٨

بحرف جر زائد، وقرأه الكسائي بالجر على اعتبار اللفظ المجرور بالحرف الزائد»[٨١٨].

بالجمع بين القراءتين يتضح أنَّ دعوة نوحٍ ﷺ لقومه كدعوة سائر الرسل فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده حيثُ إنَّه لا يوجد لهم إله غيره، وكلِّ الآلهة التي يعبدونها من دونه باطلةٌ، لذا يجب عليهم تخصيص العبادةِ له وحده لأنَّه المستحقُّ لها دون جميع تلك الآلهة الباطلة، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون: ٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كذبوني﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَّبُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم وصلاً ووقفاً[٨١٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب) الكَذِبُ: نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً»[٨٢٠].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ هي دعوةُ نوحٍ ﷺ التي دعاها بعدَ أن استمرَّ يدعو قومه لعبادة الله تسعمائةٍ وخمسين سنة وما آمن معه إلا قليل، بل استمرُّوا في تكذيبه فدعا ربَّه أنْ يؤيده بالنصر الذي لا يكون حقيقةً إلا من عنده سبحانه.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من حكايةِ كلامِ الكَفَرةِ كأنَّه قيل فماذا قال ﷺ بعدما سمع منهم هذه الأباطيلَ؟ فقيل: قال لمَّا رآهم قد أصرُّوا على الكفر والتَّكذيبِ وتمادَوا في

---

(٨١٨) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٤١. وانظر: روح المعاني ج١٨/ص٣٧. وفتح القدير ص١١٨٧. وتفسير النسفي ج٣/ص١٧٥. وتفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٤٠٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٢٧٧.

(٨١٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٨٢٠) لسان العرب ١ / ص ٨٢٧.

الغواية والضَّلالِ حتَّى يئسَ من إيمانهم بالكلِّيةِ وقد أوحى اللهُ إليه أنه لنْ يؤمنَ من قومك إلاَّ مَن قد آمنَ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ بإهلاكهم بالمرَّةِ؛ فإنَّه حكاية إجماليَّةٌ لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إيَّاي، أو بدل تكذيبهم»[٨٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿كذبونِي﴾ التصريح بطلب النصر من الله ـ تعالى ـ مع كمال التجاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لربِّه وإلقائه بنفسه كلِّها بين يديه؛ ليأخذ بيده وينصره على قومه الذين كذَّبوه بشدَّةٍ واستمرار.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أنْ يَلْصَقَ الإنسانُ بمن يحميه ويُلقي بنفسه كلِّها عليه ويستدعي أنْ يلتَجِئَ إلى من ينصُره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً»[٨٢٢].

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿كَذَّبُونِ﴾ الطلب الضمني من الله ـ تعالى ـ بإهلاك الكافرين كليًّا، فقد اختصر الكلام واكتفى بالتصريح الضمني وبأقصر الكلام حيثُ الاجتزاء بالكسرة يدلُّ على الاجتزاء في الكلام.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «فصرَّحَ بالضمير وأظهرَ نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارةِ إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظرٌ جميلٌ، ففي الطلب الصريح صرَّحَ بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يُصَرِّح بالضمير»[٨٢٣].

يقول الرازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أما قوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ففيه وجوه:

---

(٨٢١) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٤١١. وانظر: روح المعاني ج١٨/ص٣٩.

(٨٢٢) التعبير القرآني ص ٨٤.

(٨٢٣) بلاغة الكلمة ص٢٨.

أحدها: أنَّ في نصرِه إهلاكُهم فكأنَّه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إيَّاي.

وثانيها: انصرني بدل ما كذَّبوني كما تقول هذا بذاك، أي: بدل ذلك ومكانه، والمعنى: أبدلني من غمِّ تكذيبهم سلوةَ النَّصر عليهم.

وثالثها: انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]»[٨٢٤].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ نوحاً عليه السلام دعا ربَّه وهو في كمالِ التجائه إليه ليأخذَ بيده وينصره على قومه بعدَ أنْ أوحى إليه ربُّه أنَّه لن يؤمن أحدٌ من قومه بعد ذلك، وكان دعاؤه الله بأن ينصره دعاءً صريحاً شملَ دعاءً ضمنيًا بإنجاز الله ـ تعالى ـ وعده إيَّاه بتعذيب الكفار وإهلاكهم، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ [المؤمنون: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص عن عاصم ﴿مِن كلٍ﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِن كُلِّ﴾ بغير تنوين على الإضافة[٨٢٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كلّ: هي اسمٌ موضوعٌ للاستغراق، وأداةٌ تقتضي الإضافة، وتقع توكيداً وصفة[٨٢٦].

ثالثاً: التفسير:

لمَّا أوحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنوحٍ بأنَّه لن يؤمن من قومه إلاَّ من

---

(٨٢٤) تفسير الرازي ج٢٣/ ص٩٣. وانظر: الكشاف ج٣/ ص٣٠.

(٨٢٥) انظر: النشر ج٢/ص٢٨٨.

(٨٢٦) انظر: الأدوات النحوية ص ١٤٧.

آمن، أمَرَه أنْ يصنعَ الفلكَ وأرسل إليه جبريلَ ليعلِّمه كيف يصنعها، وأمره حين يرى العلامة الموعودة أن يحمل معه في السفينة من كلٍّ نوعٍ من المخلوقات ذكراً وأنثى، كما أمره ألاً يركب فيها غير المؤمنين من قومه وأهله.

يقول البيضاوي ـ رحمه الله ـ: «﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطىء فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب. ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ روي أنَّه قيل لنوحٍ إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة. وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في (هود). ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾. ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كلٍّ أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين، وقرأ حفص: ﴿مِّن كُلٍّ﴾ بالتنوين أي: من كل نوعٍ زوجين واثنين تأكيد. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وأهل بيتك أو من آمن معك. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي: القول من الله ـ تعالى ـ بإهلاكه لكفره، وإنَّما جيء بـ (على) لأنَّ السابق ضارٌّ كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالدعاء لهم بالإنجاء. ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي، ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه»[٨٢٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة التنوين ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين تفيدُ أمرَ الله تعالى لنوحٍ أنْ يحملَ معه في السفينة من كلِّ شيءٍ زوجينِ اثنين، وتكون ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ هنا صفةً لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ تفيد التوكيد كما تفيد هذه القراءة شمول الأمر جميعَ المخلوقات بلا استثناء.

(٨٢٧) تفسير البيضاوي ص٤٦٣.

بينما قراءة ﴿مِن كُلِّ﴾ تفيد أمر الله ـ تعالى ـ لنوح عليه السلام أنْ يحملَ في السفينة اثنين من كلِّ زوجين، أي من كلِّ صنفين، بمعنى واحداً من صنف الذكور وواحداً من صنف الإناث. فتكون هذه القراءة مبينةً لتلك بأنَّ الزوجين من كلِ أمَّةٍ هما من صنفين مختلفين.

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ من كلّ أمتي زوجين، وهما أمة الذكر وأمّة الأنثى، كالجمال، والنوق، والحُصُن والرِّماك ﴿اثْنَيْنِ﴾ واحدين مزدوجين، كالجمل والناقة، والحصان والرَّمَكَة[٨٢٨]: روي أنّه لم يحمل إلاّ ما يلد ويبيض. وقرىء: ﴿مِّن كُلٍّ﴾ بالتنوين، أي: من كل أمّة زوجين. واثنين: تأكيدٌ وزيادةُ بيان»[٨٢٩].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أصدرَ أمرَهُ لنوحٍ عليه السلام بأنْ يحملَ معه من كلِّ أمَّةٍ من المخلوقات زوجين اثنين ذكراً وأنثى بلا استثناء، وذلك حفاظاً على حياة الأجناس جميعها، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩)﴾ [المؤمنون: ٢٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر ﴿أَنزِلْنِي مَنْزِلاً﴾ بفتح الميم وكسر الزَّاي.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزَّاي[٨٣٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«المَنْزِلُ: المَنْهل والدار والمَنْزِلَةُ مثله، والمَنْزِلة أيضا: المرتبة لا تُجمع، واسْتَنْزَل فلان أي: حُطَّ عن مرتبته، والمُنْزَلُ بضم الميم وفتح الزاي

(٨٢٨) «الرَّمَكة بفتحتين: الأنثى من البراذين، وجمعها رِماكٌ». مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٨٢٩) الكشاف ج٣ / ص ٣٠. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٦٣. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١ / ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٨٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

الإنزالُ تقول أَنْزِلْني مُنْزلاً مُباركاً والمَنْزَلُ بفتح الميم والزاي: النُّزُول وهو الحُلول، تقول نَزَلَ يَنْزِل نُزُولاً ومَنْزَلاً وأَنْزَلَهُ غيره واسْتَنْزَلَهُ بمعنى، ونَزَّلَهُ تَنْزِيلاً، والتَّنْزِيلُ أيضاً: الترتيب»[٨٣١].

«النُّزول بالضَّمّ: الحُلول وهو في الأصلِ انحِطاطٌ من عُلو وقد نَزَلَهم ونَزَلَ بهم ونَزَلَ عليهم يَنْزِلُ كَيَضْرِب نُزولاً بالضَّمّ ومَنْزِلاً كَمَقْعَدٍ ومَجْلِسٍ وهذه شاذّة»[٨٣٢].

«نزل: النزول في الأصل هو انحطاط من علو»[٨٣٣].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله - ﷻ - نبيَّه أن يدعوه إذا استوى على ظهر الفلك أن يُنزِلَهُ مكاناً مباركاً ورتبةً مباركةً.

يقول: «ثم أمره تعالى بأَن يحمد ربّه على النجاة من الظلمة، عن استوائه وتمكنه في الفلك، ثم أُمِر بالدعاء في بركة المنزل، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿مَنْزِلا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي وهو موضع النزول، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم ﴿مُنزَلًا﴾ وهو مصدر بمعنى الإنزال بضم الميم وفتح الزاي، ويجوز أَن يراد موضع النزول»[٨٣٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أنزِلْنِي مَنْزِلاً﴾ موضع النزول، بمعنى أن يكون موضع النزول مباركاً.

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ فعل النزول بمعنى أنْ يكونَ فعل النزول مباركاً.

(٨٣١) مختار الصحاح ص ٦٨٨.

(٨٣٢) تاج العروس ج ٨/ ص١٣٣. وانظر: لسان العرب ج١١/ ص ٧٨٢.

(٨٣٣) المفردات ص ٧٩٩.

(٨٣٤) المحرر الوجيز ج٤/ص١٤٢.

يقول الماوردي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: «قراءة الجمهور بضم الميم، وفتح الزاي، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم، وكسر الزَّاي، والفرق بينهما أنَّ المُنزَلَ بالضَّمِّ فعلُ النزول، وبالفتح موضعُ النزول»(٨٣٥).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله - تعالى - يأمرُ نبيَّهُ نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يدعوه حين يستوي على ظهر السفينة أنْ يكون منزله مباركاً فعلاً وموضعاً، أي أن يُباركَ اللهُ مكانَ نزوله وفعل نزوله، والله أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المؤمنون: ٣٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾:

١ - قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بكسر النون.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَنُ ٱعْبُدُوا اللهَ﴾ بضم النون(٨٣٦).

القراءات في ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾:

١ - قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء(٨٣٧).

---

(٨٣٥) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٥٣. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ / ص ٦٢٢.

(٨٣٦) انظر: غيث النفع ص ١٩٥.

(٨٣٧) انظر: النشر ج٢/ص٢٧٠ (سبق في الموضع السادس من هذه السورة، انظر: ص٣٠٨ - ٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أنْ): ﴿إن﴾ في ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يجوز أنْ تكونَ مفسِّرة، وأنْ تكون مصدرية(٨٣٨).

ثالثاً: التفسير:

«﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾ هم: عاد أو ثمود. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ﴾ هو هودٌ أو صالح، وإنَّما جعلَ القولَ موضعَ الإرسال ليدلَّ على أنَّه لم يأتهم من مكانٍ غير مكانِهم وإنَّما أوحِيَ إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾: تفسيرٌ لأرسلنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله»(٨٣٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت (إنْ) هنا مفتوحةً بالاتفاق في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ولها توجيه عند المفسِّرين حيثُ **يقول الألوسي**: «(إنْ) في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ مفسرةٌ لتضمُّن الإرسال معنى القول أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله، وجوز كونها مصدرية ولا مانع من وصلها بفعل الأمر وقبلها جار مقدر أي أرسلنا فيهم رسولاً بأن اعبدوا الله وحده»(٨٤٠).

أما قراءة ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فتفيد أنَّ هذا الدين الحنيف هو دينُ يسرٍ، وليس دين عسر، وهو سهلٌ ميَسَّرٌ على المؤمنين، حيث الكسر لالتقاء الساكنين والكسرة حركةٌ أكثر خفَّةً من الضمّ، فهيَ تعبِّرُ عن التيسير والتسهيل.

بينما تفيد قراءة ﴿أَنُ ٱعۡبُدُوا اللهَ﴾ صعوبةَ عبادةِ الله وحده وثقلَها على نفوس المشركين، حيثُ الضمَّةُ أثقلُ الحركات، وتدلُّ على ما هو ثقيلٌ على النفس.

---

(٨٣٨) البحر المحيط ج٦/ ص٣٧٣.

(٨٣٩) تفسير البيضاوي ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٨٤٠) روح المعاني ج١٨/ص٤٣.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «إنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات، إنَّ النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عَضَلِيٍّ أكثرَ من الكسرة والفتحة، وذلك لأنهَّا لا تُنطَقُ إلا بانضمام الشَّفتين، وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرةُ ولا الفتحةُ إلى ذلك، كما هو ظاهرٌ ومعلوم»[841].

أمَّا فيما تختصُّ بقراءتي ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ و﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ فقد سبقت في الموضع السادس من هذه السورة[842].

بالجمع بين القراءات الأربع تتَّضِحُ دعوةَ جميع الرسل أقوامَهم لعبادة الله وحده فما من إلهٍ غيره لأنَّه الإله الأوحد، وهذه هي الرسالة التي أرسل الله بها رسولاً للذين نجَّاهم الله من الطوفان من قوم نوح عليه السلام، ولكنَّهم لم يتَّعظوا بما حدث لأسلافهم فكان منهم المؤمنون ومنهم الكافرون، وإنَّ من صدَّق الرُّسلَ يؤمن بالله بيُسرٍ وسهولةٍ بينما يكون إيمان الكافرين به عسيراً صعباً ثقيلاً على نفوسهم، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ﴾ بكسر التاء منهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بفتحها فيهما[843].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هيهات: هيهات كلمة تستعمل لتبعيد الشيء، يقال: هيهات هيهات وهيهاتاً ومنه قوله ﷻ: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ قال الزجاج:

---

(٨٤١) بلاغة الكلمة ص١١٤.

(٨٤٢) انظر: ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ من هذه الرسالة.

(٨٤٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

البعد لما توعدون. . . وقال الفسوي[٨٤٤]: هيهات بالكسر جمع هيهات بالفتح»[٨٤٥].

«و(هيهات) كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضاً. وقرأها الجمهور بالفتح. وقرأها أبو جعفر بالكسر. وتدل على البعد. وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية أو ثلاثاً كما جاء في الشعر.

واختلف فيها أهي فعل أم اسم؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن (هيهات) اسم فعلٍ للماضي من البُعد، فمعنى هيهات كذا: بعُد. فيكون ما يلي (هيهات) فاعلاً. وقيل هي اسم للبُعد»[٨٤٦].

ثالثاً: التفسير:

إنَّ من أسباب ضلال الناس ما يعدهم الشيطان به ويُمَنِّيهم من طول الأمل، وعدم إمكان البعث، كما يجعل كبراءهم دعاةً إلى جهنَّم يصدُّون المؤمنين عن سبيل الهدى بتثبيطهم وتعجيزهم.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في بيان هذه الآية: «وهذا خبر من الله ـ جلّ ثناؤه ـ عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً مخرجون أحياءً من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن»[٨٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءةُ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بالفتح على الإفراد معنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ كلِّ إنسان بعد موته.

---

(٨٤٤) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١. وعبارته: ألا ترى أن من فتح هيهات في الواحد قال في جمعه: هيهات فكسر فجعله في كسر التاء في جمعه بمنزلة ما كان الواحد منه منصوباً. انظر: المفردات ص ٨٤٨.

(٨٤٥) المفردات ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨. وانظر: تفسير البيضاوي ص ٤٦٤.

(٨٤٦) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥٤ (بتصرف بسيط).

(٨٤٧) تفسير الطبري ج١٨/ص٢٤.

بينما تفيدُ قراءة ﴿هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ﴾ بالكسر على الجمع بمعنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ جميع الخلائق بعد موتها.

يقول ابن جنّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أمّا الفتح ـ وهي قراءة العامة ـ فعلى أنَّه واحد، وهو اسم سُمِّيَ به الفعل في الخبر، وهو اسم (بعُدَ)، ومن كسر فقال: (هيهاتِ) منوناً فهو جمع هيهات أو غير منوَّن»[٨٤٨].

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الكفَّارَ يستبعدون أمرَ بعثِهم بعد الموتِ استبعاداً تاماً، بمعنى قولهم: إنَّه يستحيلُ بعثُكم جميعاً بعدَ الموت، كما يستحيلُ بعثُ أيٍّ منكم بعدَ موته، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [المؤمنون: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كَذَّبُونِي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَّبُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم وصلاً ووقفاً[٨٤٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب): الكَذِبُ نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً»[٨٥٠].

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي أيُّها المُحسِنُ إليّ بإرسالي إليهم وغيره من أنواع التربية ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ عليهم أي: أوقع لي النصر ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾»[٨٥١].

---

(٨٤٨) المحتسب ج٢/ص٩١. وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص١٤٣.

(٨٤٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٨٥٠) لسان العرب ج ١ /ص٨٢٧.

(٨٥١) نظم الدرر ج٥/ص٢٠٠.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقةُ بين القراءتين تبيِّنُ التجاء نبيِّ الله هود عليه السلام لربِّه وإلقائه بنفسه كلِّها بين يدي خالقه يسأله بموجز الكلام صراحةً أنْ ينصُرَهُ على قومه الذين كذَّبوه، كما يسأله ضمناً أنْ يهلكَ المكذِّبين من قومه[٨٥٢].

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الأصحاب[٨٥٣] ﴿تَتْرَا﴾ بالإمالة.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿تَتْرَا﴾ بغير تنوين[٨٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«﴿تَتْرَى﴾: بَعْضُها على إثْرِ بعضٍ تُجْرَىٰ ولا تُجْرَىٰ»[٨٥٥].

«قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: متواترين يتبع بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: منقطعين بين كل اثنين دهر طويل وهذا تأويل من قرأ بالتنوين»[٨٥٦].

---

(٨٥٢) راجع الموضع السابع من هذه السورة في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون : ٢٦]، وذلك ص٣١٠ ـ ٣١٢.

(٨٥٣) الأصحاب هم: حمزة والكسائي وخلف.

(٨٥٤) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٨. وانظر: البدور الزاهرة ص٢١٧.

(٨٥٥) غريب القرآن ص٢٦٥.

(٨٥٦) تفسير الماوردي ج ٤ /ص٥٤.

ثالثاً: التفسير:

يقيمُ الله الحجَّةَ على الناس فيرسل إليهم الرسل متتابعين فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ويقول: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «﴿تترى﴾ فعلى: الألف للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة. وقرىء: ﴿تترىً﴾ بالتنوين، والتاء بدل من الواو، كما في: تولج...، أي: متواترين واحداً بعد واحد، من الوتر وهو الفرد: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة: ٣٢] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف/ ١٠١] لأنَّ الإضافة تكون للملابسة، والرسول ملابس المرسل، والمرسل إليه جميعاً بالملابسة، ﴿فَأَتْبَعْنَا﴾ الأمم أو القرون ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أخباراً يُسْمَرُ بها ويُتَعَجَّبُ منها الأحاديث: تكون اسمُ جمعٍ للحديث. ومنه: أحاديثُ رسولِ الله ﷺ. وتكون جمعاً للأحدوثة: التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة. وهي: مما يتحدّث به الناس تلهياً وتعجباً، وهو المراد ههنا»(٨٥٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين تتابع الرسل المكلّفين بالدعوة إلى الله من الله لأقوامهم بعضهم على إثر بعض.

كما تفيد قراءةُ ﴿تَتْرا﴾ بالإمالة، تقارب زمن كلِّ رسولٍ من سلفه فكان بعضهم يدعو بشريعة من سبقهم، ولا يلزم أنْ يكونَ كلٌّ منهم له رسالة.

بينما تفيد قراءة ﴿تَتْرَا﴾ أنَّ الرُّسل التي كانت تأتي بشرائع جديدة كانت منقطعة متفاوتة حيثُ كان بين كلِّ اثنين منهما دهرٌ طويل.

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ أي بعد إنشاء كل قرن منهم

(٨٥٧) الكشاف ج٣ / ص ٣٢ ـ ٣٣ (بتصرف بسيط).

وطول إمهالنا له، ومن هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة، وأضاف الرسل إليه لأنه في مقام العظمة وزيادة في التسلية فقال: ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي واحداً بعد واحد؛ قال الرازي: من وتر القوس لاتصاله»(858).

يقول الشوكاني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ثمَّ بيَّنَ سبحانه أنَّ رُسُلَه كانوا بعد هذه القرون متواترين، وأنَّ شأنَ أُمَمِهم كان واحداً في التكذيب لهم فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها بمعنى: أنَّ إرسال كلِّ رسولٍ متأخرٌ عن إنشاء القرن الذي أرسل إليه، لا على معنى أنّ إرسال الرسل جميعاً متأخر عن إنشاء تلك القرون جميعاً، ومعنى ﴿تَتْراً﴾: تتواتر واحداً بعد واحد ويتبع بعضهم بعضاً، من الوتر وهو الفرد. قال الأصمعي: واترت كتبي عليه: أتبعت بعضها بعضاً إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة. وقال غيره: المتواترة المتتابعة بغير مهلة. قرأ ابن كثير وابن عمرو ﴿تترىً﴾ بالتنوين على أنَّه مصدر. قال النحاس: وعلى هذا يجوز ﴿تِترى﴾ بكسر التاء الأولى؛ لأن معنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: واترنا، ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي متواترين»(859).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ لم يترك أمَّةً بدون أنْ يبعث فيها رسولاً يدعوهم لعبادة الله وحده، لذا فقد أرسلَ الله ـ تعالى ـ الرسل الذين منهم من كان يدعو إلى شريعة من قبله وهؤلاء كانوا متتابعين تتقارب أزمانهم، ومنهم الرسل الذين كان الله ـ تعالى ـ يرسلهم بشرائع جديدة فهؤلاء كانوا منقطعين؛ حيث كان يمضي بين كلِّ اثنين منهم دهراً طويلاً، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٠].

(٨٥٨) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢٠١.

(٨٥٩) فتح القدير ص١١٨٩.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وعاصم ﴿رَبْوَةٍ﴾ بفتح الرَّاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رُبْوَةٍ﴾ بضم الرَّاء(٨٦٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«والرَّبْوُ والرَّبْوَةُ والرُّبْوَةُ والرِّبْوة والرَّباوة والرُّباوة والرِّباوَة والرَّابِيَة والرَّباةُ كلُّ ما ارْتَفَعَ من الأَرض»(٨٦١).

«والرَّبوة بضم الراء وفتحها: مكانٌ من الأرض مرتفعٌ دون الجُبيل»(٨٦٢).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ خلقَ عيسى عليه السلام بلا أبٍ يعَدُّ معجزةً لا يقدِرُ عليها إلاّ الله الذي خلقَ آدمَ بلا أمٍّ ولا أب، وفي هذه الآيةِ يُخْبِرُ الله ـ تعالى ـ عن عيسى وأمِّه حيثُ أسكنهما أرضاً مرتفعةً ذات فسحةٍ وزرعٍ وماءٍ معين.

وبيان ذلك: قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ «يعني: أنزلناهما إلى ربوة، وذلك أنَّ مريم لمّا ولدت عيسى عليه السلام همَّ قومها أن يرجموها، فخرجت من بيت المقدس إلى أرض دمشق، والربوة: المكان المرتفع.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يعني: أرضاً مستوية، ومعين يعني: الماء الجاري الطاهر، وهو مفعول من العين، وأصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط . . . الربوة هي دمشق، ويقال هي بيت المقدس؛ لأنَّها أقرب إلى السموات من سائر الأرض، ويُقال إنَّها الرملة وفلسطين»(٨٦٣).

---

(٨٦٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٣٢.

(٨٦١) لسان العرب ج ١٤/ ص٣٧٧.

(٨٦٢) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٦٧.

(٨٦٣) تفسير السمرقندي ج٢/ ص ٤١٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر العلماءُ أنَّ العلاقةَ بين قراءتي ﴿رَبْوَةٍ﴾ و﴿رُبْوَةٍ﴾ هي علاقةٌ لغويةٌ حيثُ: ﴿رَبْوَةٍ﴾ لغةُ تميم، و﴿رُبْوَةٍ﴾ لغةُ قريش[864].

قلتُ: بالنظر من زاوية اللغةِ فإنَّهُ يُقالُ لكلِّ ما ارتفع من الأرضِ (ربوة)، ويجوز في الرَّاء الحركات الثلاث[865]، إلاَّ أنَّه جاءت في هذه الكلمة قراءتان صحيحتان وهما: قراءتا ﴿رَبْوَةٍ﴾ و﴿رُبْوَةٍ﴾ وذلك بأثقلِ الحركات وأخفِّها للراء.

وحيث إنَّ الضَّمَّة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات[866]؛ فذلك يُشعِرُ بأنَّ مريم وابنها عليهما السلام كانا في ظروف صعبة، وسهل الله ـ تعالى ـ لهما الأمر وظروف المعيشة.

وبالنظر من زاوية أخرى فقد جعل الله ـ تعالى ـ مريم وابنها عليهما السلام آيةً للناس حيثُ إنَّ عيسى عليه السلام جاء بلا أبٍ، ورغمَ أنَّ مريم العذراء كانت من بيت إيمانٍ وتقوى، إلاَّ أنه كانَ يسود مجتمع بني إسرائيل آنذاك من الفساد ما لا يعلمه إلاَّ الله، وكان لا بدَّ من إخفاءِ عيسى عليه السلام خوفاً من أنْ يقتلوه، لذا كانت عنايةُ الله ـ تعالى ـ التي تعهدت مريم وابنها عليهما السلام بالرعاية، وكان المسكنُ الذي اختاره الله لهما والذي يُشعرُ بالأمان ويُسَرِّي عن النفس، ويتوفَّرُ فيه المأكلُ والمشرب.

وباعتبار كلِّ ما سبق فإنَّ القراءة الأولى ﴿رُبْوَةٍ﴾ بفتح الرَّاء تفيدُ تيسير اللهِ تعالى هذا المكان لمريم وابنها عليهما السلام وكونه منبسطاً في ذاته ويجري الماء فيه تحت أشجار النخيل التي يمتاز ثمرها بأنَّه الغذاء الوحيد

(٨٦٤) انظر: الكشف ج١/ص٣١٣. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٩٢٣.

(٨٦٥) انظر: لسان العرب ج١٤/ ص ٣٧٧. والتحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ ص٦٧.

(٨٦٦) انظر: بلاغة الكلمة ص١١٤، وقد ورد مفصلاً في الموضع الأول من سورة (طه) ص ٣١.

الذي يغني عن كلِّ ما سواه من الغذاء، وكون المكانِ مرتفعاً يجعله يُشعِرُ بالأمانِ، من حيث ارتفاعه وكونه كاشفاً للمنطقةِ المحيطةِ به.

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿رُبْوَةٍ﴾ ارتفاع المكانِ حيثُ يحتاجُ كلُّ مكانٍ مرتفعٍ إلى جهدٍ في صعوده، كما تفيدُ أنَّ مريم ـ عليها السلام ـ كانت في شدَّةٍ ووضعٍ صعبٍ عليها بسبب حملها بعيسى من غير أبٍ، على غير عادة البشر، حيثُ الضمَّةُ أثقلُ الحركاتِ وتُعَبِّرُ عن الثِّقَلِ والصعوبة.

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى تعهَّدَ مريمَ وابنها عليهما السلام بالرعايةِ فخَفَّفَ عنهما ما بهما من شدَّة، ويَسَّرَ لهما (رُبوةً) على رغمِ كونها مرتفعةً وتحتاجُ جهداً لصعودها فإنَّها لارتفاعها تكشفُ ما حولها، وتُشْعِرُ بالأمان، كما أنَّها منبسطةٌ في ذاتها، وكانت ذات ثمرٍ وماءٍ جارٍ، فكان هذا المكان الذي آواهما الله ـ تعالى ـ إليه، مُهَيَّأً لحياتهما فيه من جميع النواحي، والله أعلم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيُّون[٨٦٧] ﴿وإِنَّ﴾ بكسر الهمزة وتشديد النون.

٢ ـ قرأ ابن عامر ﴿وأَنْ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف النون.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وأَنَّ﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون[٨٦٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إنَّ): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي:

التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿... إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

(٨٦٧) هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: البدور الزاهرة ص٩.

(٨٦٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨. والبدور الزاهرة ص٢١٧.

(أَنَّ): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيها:

أن تكون حرف تأكيد، والأصحّ أنَّها فرع المكسورة، وأنَّها موصول حرفي.

(أنْ): بالفتح والتخفيف، ذكر لها السيوطي ثمانية أوجه ثالثها:

أن تكون مفسرة بمنزلة: (أي)[٨٦٩].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ فيها القول للرسل بأنَّ أمتهم واحدة وربهم الذي يعبدونه واحدٌ سبحانه.

يقول البيضاوي: «﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ولأن ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ والمعلل به ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، أو واعلموا أن هذه، وقيل إنه معطوف على ﴿مَا تَعۡمَلُونَ﴾ وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ ملتكم ملة واحدة أي متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب ﴿أُمَّةٗ﴾ على الحال. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة»[٨٧٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿وَإِنَّ﴾ استئناف الكلام بالقول للرسل إنَّ أمتكم أمَّةً واحدة، أو عطف هذا القول لهم على ما سبق لهم من القول.

وتفيدُ قراءة ﴿وَأَنْ﴾ معنى الصلة أي: هذه أمتكم أمَّةً واحدة.

ويقول البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ قرأ أهل الكوفة: «وإن» بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف ابن عامر

(٨٦٩) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٨٧٠) تفسير البيضاوي ص ٤٦٥.

النون وجعل «إن» صلة، مجازة: وهذه ﴿أُمَّتُكُمْ﴾»[٨٧١].

بينما تفيد قراءة ﴿وأَنَّ﴾ معنى اللام.

يقول أبو العباس بن يزيد المبرِّد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فأمَّا قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ فإنَّما المعنى معنى اللام، والتقدير: ولأنَّ هذه أمَّتُكم أمَّةً واحدة، وأنا ربُّكم فاعبدون»[٨٧٢].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وتأكيد الكلام بحرف (إن) على القراءات كلها للردِّ على المشركين من أمم الرسل أو المشركين المخاطبين بالقرآن»[٨٧٣].

بالجمع بين القراءات الثلاث نجدُ في الآيةِ استئنافَ القول للرسل وتأكيد كونهم أمَّةً واحدةً، وأنَّ ربَّهم واحدٌ يعبدونه، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿تُهْجِرون﴾ بضم التاء وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم[٨٧٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

هَجَرَ: «الهَجْرُ ضد الوصل وبابه نصر وهِجْرَاناً أيضاً والاسم الهِجْرةُ والمُهَاجَرَةُ من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية والتَّهَاجُرُ التقاطع والهَجْرُ بالفتح أيضا الهذيان»[٨٧٥].

---

(٨٧١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٠. وانظر: التحرير والتنوير مج٩/ج١٨ / ص٦٩ ـ ٧٠.

(٨٧٢) المقتضب ج٢/ص٣٤٦.

(٨٧٣) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨ / ص٧٠.

(٨٧٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٨٧٥) مختار الصحاح ص ٧٠٥. وانظر: لسان العرب ج ٥ /ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في الآيةِ تقريعٌ للمشركين حيثُ يفتخرون بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقُوَّامُه، ثمَّ يستكبرون عن آياتِ ربِّهم فيهجرونها ويهجرون نبيَّهم، ويسمرون حول الكعبةِ فيذكرون النبيَّ والقرآن بكلامٍ يطعنُ فيهما.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ:** «﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي بالبيتِ الحرام أو بالحَرَم. والإضمارُ قبل الذِّكرِ لاشتهارِ استكبارِهم وافتخارِهم بأنَّهم خُدَّامهُ وقُوَّامُه أو بكتابي الذي عبر عنه آياتي على تضمينِ الاستكبارِ معنى التَّكذيبِ أو لأنَّ استكبارَهم على المُسلمين قد حدثَ بسببِ استماعِه. ويجوزُ أنْ تتعلَّق الباء. بقولهِ تعالى: ﴿سَٰمِرًا﴾ أي تسمرُون بذكرِ القُرآنِ وبالطَّعنِ فيه حيثُ كانُوا يجتمعونَ حولَ البيتِ باللَّيلِ يسمرُون وكانت عامَّة سمرِهم ذكرَ القُرآن وتسميته سِحْراً وشِعْراً. والسَّامرُ كالحاضرِ في الإطلاقِ على الجمعِ وقيل هو مصدرٌ جاء على لفظِ الفاعلِ. وقُرِىء سَمَراً وسُمَّاراً. وأن تتعلق بقولهِ تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الهَجَر بالفتح بمعنى الهَذَيانِ أو التَّركِ، أي: تهذُون في شأنِ القُرآنِ أو تتركونَه، أو من (الهُجْر) بالضَّمِّ وهو الفُحشُ ويؤيِّدُه قراءةُ (تُهجِرون) من أهجرَ في منطقهِ إذا أفحشَ فيه. وقُرِىء (تهجِّرون) من (هجَّر) الذي هو مبالغةٌ في (هجَر) إذا هذَى»[٨٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تُهْجِرون﴾ أنَّكم تهذون، وتأتون ما لا خيرَ فيه من الكلام.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ:** «وحجَّةُ من ضمَّ الجيم أنَّه جعله من الهُجرِ وهو الهذيان، وما لا خير فيه من الكلام»[٨٧٧].

---

(٨٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٤٢٤. وانظر: التفسير الوسيط ج٢ / ص ١٧٠٣ ـ ١٧٠٤.

(٨٧٧) الكشف ج٢/ص١٢٩. وانظر: الموضح ج٢/ص٨٩٧. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٥٣٥.

وأفادت قراءة ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أنَّكم تقاطعون آيات الله، وتُعرِضون عنها، ولا تؤمنون بها.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والوجهُ أنَّ المراد أنَّكم كنتم تَهْجُرُونَ آياتي وما يُتْلَى عليكم من القرآن فتعرضون عن سماعها والإيمان بها، وهو من الهَجْرِ بفتح الهاء وهو القطيعة. ويجوز أنْ يكون من الهُجْر أيضاً، فقد يُقال: هَجَرَ في مرضه إذا هذَى يَهْجُرُ»[878].

بالجمع بين القراءتين ينكشف أمر الكفَّار الذين كانوا يتفاخرون بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقوَّامه، فقد كانوا يسمرون حوله ليطعنوا في آياتِ الله ورسوله بكلامِ لا خيرَ فيه كالهذيانِ، ثمَّ يقاطعون رسولَ الله كما يقاطعون القرآن، فيهجُرونه ولا يؤمنون به، فكانوا يسمرون بقول الفاحش والسوء، ويسمرون بما يجعلهم يهجرون الإيمان بالقرآن، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿خَرْجاً فَخَرْجُ﴾ بفتح الخاء وإسكان الرَّاء فيهما.

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَرَاجًا فَخَرَاج﴾ بفتح الخاء والرَّاء وألف بعدها.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿خَرْجًا﴾ بفتح الخاء وإسكان الرَّاء، و﴿فَخَرَاجُ﴾ بفتح الخاء والرَّاء وألف بعدها[879].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الخَرْجُ والخَرَاجُ الإتاوة وجمع الخرج أخْرَاجٌ وجمع الخراج أخْرِجَةٌ

---

(٨٧٨) الموضح ج٢/ص ٨٩٧. وانظر: الكشف ج٢/ص١٢٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٥٣٥.

(٨٧٩) انظر: النشر ج٢/ص٣١٥.

كزمان وأزمنة وأخَارِيجُ أيضاً، قلت: وقُرئ قوله تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وأم تسألهم خراجاً، وكذا قوله تعالى ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] وخراجاً»[٨٨٠].

«الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج»[٨٨١].

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾: «أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد أنَّك تسألُهم على الإجابة أجراً ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يتكلَّفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [هود: ٢٩] أي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنَّما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال»[٨٨٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿خَرْجاً فَخَرْجُ﴾ مقارنة عطاءِ قليل منهم بعطاء الله ـ تعالى ـ والغرضُ توبيخُ المشركين بسؤالٍ يستنكرُ عليهم أنَّهم لا يؤمنون بسبب طلبكَ منهم قليلَ العطاء فعطاءُ ربِّكَ خير.

وتفيدُ قراءةُ ﴿خَرَاجاً فَخَرَاج﴾ عدم إيمانهم خوفاً من إتاوةٍ تلزمهم بها، فما جعله الله لك من الثواب خير.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿خَرْجًا﴾ و﴿فَخَرَاجُ﴾ خوف المشركين من سؤالك إياهم

---

(٨٨٠) مختار الصحاح ص١٩٦.

(٨٨١) تفسير الرازي ج٢٣/ ص١١٢.

(٨٨٢) تفسير السعدي ص ٥٥٦.

عطاءً قليلاً فإنَّ ما جعله الله لك عطاءً كثيراً دائماً لك منه خيرٌ.

«لذلك حسنت قراءة من قرأ ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يعني أم تسألهم على هدايتهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير»(٨٨٣).

يقول الخطيب التبريزي: «قيل: هما لغتان مثل قولك: الحصْدُ والحصاد، وقيل: الخراج لما يخرج من الفرائض في الأموال، والخرج المصدر، ويقال: من قرأ بغير ألف أراد: جُعلاً(٨٨٤)، ومن قرأ بالألف أراد: عطاءً(٨٨٥)»(٨٨٦).

يقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فهو انتقال إلى توبيخ آخر، وغير للخطاب لمناسبته ما بعده، وكان المراد أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة ﴿خَرْجًا﴾، أي: جعلاً، فلأجل ذلك لا يؤمنون بك، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله ـ تعالى ـ في الدنيا والعقبى خير من ذلك لسعته ودوامه وعدم تحمل منة الرجال فيه، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تعليل الحكم وتشريفه ﷺ ما لا يخفى.

و﴿الخرج﴾ بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله تعالى، وكذا على ما قيل من أنَّ الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك واللزوم بالنسبة إليه تعالى إنَّما هو لفضل

---

(٨٨٣) تفسير الرازي ج٢٣/ ص١١٣.

(٨٨٤) «الجُعْلُ بالضم: ما جعل للإنسان من شيء على فعل». مختار الصحاح ص١١٩.

(٨٨٥) «عطا: أعطاهُ مالاً، والاسم: العطاء، واسْتَعْطَى وتَعَطَّى: سأل العَطاءَ، ورجل مِعْطَاءٌ: كثير الإعْطاءِ، وامرأة مِعْطاءٌ أيضاً». مختار الصحاح ص٤٦٧.

(٨٨٦) المُلَخَّص ص٢٢٦.

وعده ﷺ، وقيل الخرج أعم من الخراج وساوى بينهما بعضهم»[887].

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يوبِّخُ المشركين ويستنكرُ عليهم عدم إيمانهم بالتعريض ببخلهم، ويُخفِّفُ عن نبيِّه وحبيبه محمد ﷺ بأنّه لا يطلبُ منهم القليل من العطاء ولا الكثير ولا يُلزمهم بشيءٍ من ذلك مقابل دعوتهم للإيمان لأنّه ﷺ لا يرجو منهم شيئاً بل يرجو العطاء الكثير الدائم من ربِّه ـ سبحانه ـ والذي هو خيرٌ من عطائهم، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ دوري الكسائي ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بالإمالة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بغير إمالة[888].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«طغا: طَغَا يطْغَى بفتح الغين فيهما ويطْغُو طُغْياناً وطُغْوَانا أي: جاوز الحد، وكلّ مجاوزٍ حدّه في العصيان طَاغٍ، وطَغِيَ بالكسر مثله، وأطْغَاهُ المالُ: جعله طَاغِياً»[889].

ثالثاً: التفسير:

يُبيِّنُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ طبيعة المشركين التي تأبى عليهم إلاّ التمادي في الكفر والطغيان ما داموا في رغد العيش، وهم يتملَّقون النبي ﷺ ليدعو الله لهم بأنْ يكشف ما بهم من ضرٍّ بسبب القحط، فإذا عادوا لرغد العيشِ عادوا لاستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

يقول النسفي ـ رحمه الله ـ: «والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو

(٨٨٧) روح المعاني ج ١٨/ص ٨٠. وانظر: تفسير البيضاوي ص ٤٦٧.

(٨٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٩.

(٨٨٩) مختار الصحاح ص٤٠٣.

القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه»[٨٩٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ـ بالإمالة ـ ميل المشركين عن الحق بظلمهم وكفرهم، واستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

وتفيد قراءة ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ـ بالألف المدِّيةِ بغير إمالةٍ ـ استمرارهم في ضلالهم، ومداومتهم على الكفر والعناد ومعاداةِ النبي ﷺ.

يقول البقاعي: «أي عادلون متنحُّون مائلون مُنحرِفون في سائرِ أحوالهم سائرون على غيرِ منهج أصلاً، بل خبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط وأن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة.

ولما وُصِفوا بالميل، وكان ربما قال قائل: إنَّ جؤارَهم المذكور آنفاً سلوكٌ في الصراط، بيَّنَ ألاّ اعتداد به لعروضه فقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ أي عاملناهم معاملة المرحوم في إزالةِ ضرره وهو معنى ﴿وَكَشَفْنَا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ وهو الذي عرَضَ جؤارَهم بسببه ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي تمادوا تمادياً عظيماً ﴿في طغيانهم﴾ الذي كانوا عليه قبل الجؤار وهو إفراطهم في منابذة الحق والاستقامة»[٨٩١].

بالجمع بين القراءتين تظهر طبيعة المشركين التي تأبى إلاّ الميل والانحراف عن الحقّ، والاستمرار والتمادي في الضلال وعداوة النبيّ، ولكون هذه طبيعتهم فهم يتحوَّلون عنها فيتملَّقون النبيّ ﷺ لإصابتهم بالقحط، فإذا رحمهم الله فكشف عنهم ما أصابهم من ضرٍّ فسيرجعون لطبيعتهم الدائمة، والله أعلم.

(٨٩٠) تفسير النسفي ج٣/ ص١٨٦.
(٨٩١) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢﴾ [المؤمنون: ٨٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أَءِذا، أَءِنَّا﴾:

١ ـ قرأ نافع، والكسائي، ويعقوب ﴿أَءِذا، إِنّا﴾ بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَءِذا، أَءِنّا﴾ بالاستفهام فيهما[٨٩٢].

القراءات في ﴿مِتۡنَا﴾:

١ ـ قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿مِتۡنَا﴾ بكسر الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُتۡنَا﴾ بضمّ الميم[٨٩٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(موت): المَوْتُ ضدُّ الحياة، ماتَ يمُوت ويَمَاتُ أيضاً فهو مَيِّتٌ ومَيْتٌ مُشدداً ومُخففاً، وقومٌ مَوْتَى وأَمْواتٌ ومَيِّتُون ومَيْتُون مشدَّداً ومُخففاً، ويستوي فيه المُذكر والمُؤنث، قال الله تعالى: ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ ولم يقل مَيِّتةً، والمَيْتَةُ ما لم تلحقه الذَّكاة[٨٩٤] والمُوَاتُ بالضمّ: الموت، والمَوَاتُ بالفتح: ما لا روحَ فيه»[٨٩٥].

ثالثاً: التفسير:

تجسِّدُ هذه الآيةُ موقف الكفّار من البعث، وإنكارهم له واستبعادهم إيّاه.

---

(٨٩٢) البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٨٩٣) انظر: في هامش القرآن ص٣٤٧.

(٨٩٤) «والذكاء: الذبح». لسان العرب ج١٤/ ص ٣٥٦.

(٨٩٥) مختار الصحاح ص ٦٤٢.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتجّ به عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم: (قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً) يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا (أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن»[٨٩٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿أَءِذا، إِنَّا﴾ الاستفهامَ الإنكاريُّ للبعث، والتعجُّب من إمكانية حدوثه.

وتفيدُ قراءة ﴿أَءِذا، أَءِنَّا﴾ إنكارَ البعثِ واستبعادَهم له.

بينما تفيدُ قراءة ﴿مِتْنَا﴾ مفارقة الروح للجسد حيثُ يصبحُ الجسد جثّةً لا روح فيها.

كما تفيدُ قراءة ﴿مُتْنَا﴾ حدوث الموت وحدوث البلَى بعده .

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري النفي، حسن بعده كل الحسن قوله: ﴿بل﴾ وعدل إلى أسلوب الغيبة للإيذان بالغضب بقوله: ﴿قَالُوا﴾ أي هؤلاء العرب ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من قوم نوح ومن بعده؛ ثم استأنف قوله: ﴿قَالُوٓا﴾ أي منكرين للبعث متعجبين من أمره: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا﴾ أي: بالبلَى بعد الموت ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ثم أكّدوا الإنكارَ بقولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي من باعثٍ ما»[٨٩٧].

بالجمع بين القراءات الأربع يُخبرُ الله ـ تعالى ـ عن الكفار إنكارَهم للبعث، وتأكيدَ إنكارَ البعث بأسلوبِ الاستفهام الإنكاريّ، فهم يُنكرون البعثَ

---

(٨٩٦) تفسير الطبري ج١٨/ص٥٥.

(٨٩٧) نظم الدرر ج ٥ / ص٢١٧.

ويتعجَّبون منه حيثُ يُنكرون إعادة الروح إلى الجسد بعدما أصبح جثّةً لا روح فيها ويتعجّبون من ذلك، وهم يُنكرون البعث، ويستبعدون عودة الحياةِ إلى الجسد بعد ما فارقته فأصبح بالياً، والله أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٥]

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ :

١ ـ قرأ البصريان ﴿سيقولون اللهُ﴾ بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيها ورفع الهاء من الجلالة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ بغير ألف وخفض الهاء[٨٩٨].

القراءات في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

١ ـ قرأ حفص والأخوان وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال[٨٩٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«ذكر: الذِّكْرُ الحِفظُ للشيء تَذْكُرُه، والذِّكْرُ أيضاً: الشيء يجري على اللسان، والذِّكْرُ جَرْيُ الشيء على لسانك»[٩٠٠].

ثالثاً: التفسير:

في الآية تبكيتٌ للكفار؛ لكونهم على رغم أنَّهم يعلمون علماً يقينيًا أنَّ الله هو خالق السماوات والأرض، إلاَّ أنهم يتجاهلون ذلك وينسونه بعبادة الأصنام فيشركون به سبحانه.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من

(٨٩٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٨٩٩) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩٠٠) لسان العرب ج ٤ / ص ٣٥٦.

المخلوقاتِ تغليباً للعُقلاءِ على غيرِهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابُه محذوفٌ ثقةً بدلالة الاستفهامِ عليه أي إنْ كنتُم تعلمون شيئاً فأخبرونِي به، فإنَّ ذلك كافٍ في الجوابِ. وفيه من المُبالغةِ في وضوحِ الأمرِ وفي تجهيلِهم ما لا يَخفى أو إنْ كنتُم تعلمون ذلكَ فأخبرونِي وفيه استهانةٌ بهم وتقريرٌ لجهلِهم ولذلك أخبرَ بجوابهم قبل أنْ يُجيبوا حيثُ قيل: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأنَّ بديهةَ العقلِ تضطرُّهم إلى الاعترافِ بأنَّه تعالى خالقُها. ﴿قُلْ﴾ أي عندَ اعترافِهم بذلك تبكيتاً لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي أتعلمون ذلكَ أو تقولون ذلكَ فلا تتذكَّرون أنَّ مَن فطرَ الأرضَ وما فيها ابتداءً قادرٌ على إعادتها ثانياً فإنَّ البَدْءَ ليس بأهونَ من الإعادةِ بلِ الأمرُ بالعكس في قياس العقولِ. وقُرىء تتذكَّرون على الأصل»[901].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد تكرر قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه الآية: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وفي الآيتين ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

ففي الآية الأولى جاء الجوابُ في قراءة الجمهور موافقٌ للفظ السؤال، وفي قراءة البصريَّيْن موافقٌ لمعنى السؤال.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير. والتقرير هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين، وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشركَ، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي.

ولكونه مراداً به الإلجاء إلى الإقرار كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول محقّقاً لا محيص عنه، إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تبكيتاً لهم، لأنّ الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجّة مقدّرة فيه

(901) تفسير أبي السعود ج٤/ ص٤٢٩.

محاورة وليس هو محاورة حقيقية. وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلّم واحد. فهؤلاء القوم المقدّر إلجاؤهم إلى الجواب سواء أنصفوا فأقرّوا حقّيّة الجواب أم أنكروا وكابروا فقد حصل المقصود من دمغهم بالحجّة. وهذا أسلوب متّبع في القرآن، فتارة لا يذكر جواباً منهم كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا و. . .قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، وتارة يذكر ما سيجيبون به بعد ذكر السؤال منسوباً إليهم أنّهم يجيبون به ثم ينتقل إلى ما يترتّب عليه من توبيخ ونحوه، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥]»(٩٠٢).

أمّا في الآيتين الأخريين فالتوجيه كالآتي:

تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾ المبادرة بالجواب باللفظ بما يتفق مع السؤال، وذلك لأنّهم ملزمون بقوله، لذا فقد أجابوا به إلزاماً.

بينما تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إجابة المشركين بما يقتضيه معنى السؤال، حيث سيتكلّمون ويجيبون: هي لله.

يقول ابن الجوزي: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿لِلَّهِ﴾ بغير ألف هاهنا، وفي اللّذَين بعدها بألف. وقرأ الباقون: ﴿لِلَّهِ﴾ في المواضع الثلاثة. وقراءة أبي عمرو على القياس. قال الزجاج: ومن قرأ: ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾ فهو جواب السؤال، ومن قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ فجيّد أيضاً، لأنك إذا قلتَ؛ مَنْ صاحبُ هذه الدار؟ فقيل: لزيد، جاز، لأن معنى (مَن صاحب هذه الدار؟): لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ»(٩٠٣).

(٩٠٢) التحرير والتنوير ج ٤ / ص ١٥٠.

(٩٠٣) زاد المسير مج٣/ص٢٦٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢/ ص٣٠٠ ـ ٣٠٢.

أمّا قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فتفيدُ عدم تذكُّرهم لما فيه خفاء الدلالة وما يحتاجُ منهم التأمُّلَ والتفكُّرَ فيه من مخلوقات الله في الكون ولو لوقتٍ قصير.

بينما قراءة ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ تفيدُ عدم تذكُّرهم ما هو ظاهر الدلالة في هذا الكون مثل الظواهر الكونية الواضحة والأحداث العظيمة ذات الأثر الطويل، كما لا يتذكَّرون ما يعلمون تفاصيله من مخلوقاتِ الله في الكون المحيط بهم.

يقول الطاهر بن عاشور: «ووقعت جملة ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ جواباً لإقرارهم واعترافهم بأنها لله. والاستفهام إنكاري إنكار لعدم تذكرهم بذلك، أي تفطن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالإلهية. وخصَّ بالتذكر لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر»(٩٠٤).

ويقول الدكتور فاضل السامرّائي: «إنَّ القرآن يحذفُ من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلاّ لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال:

إنَّه يحذفُ من الفعل للدلالة على أنَّ الحَدَثَ أقلُّ ممَّا لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطعُ من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحَدَث، أو يحذفُ منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل»(٩٠٥).

بالجمع بين القراءتين يظهر في الآية توبيخٌ من الله ـ تعالى ـ للمشركين حيثُ يعلمونَ أنَّ الله ـ تعالى ـ هو خالق السموات والأرض ومن فيهن، ولكنَّهم على رغم ذلك يُشركون به سبحانه، وقد فرغت عقولهم عن تذَكُّر أيٍّ مما في الكون، سواءً أكانَ ظاهرَ الدلالةِ أم خفيَّها، وسواءً أكان ذا أثرٍ قريبٍ أم بعيد، لذا فإنَّ الله تعالى ـ يدمغهم بالحجَّةِ ويلزمهم الجواب، والله أعلم.

---

(٩٠٤) التحرير والتنوير مج٩ / ج١٨ / ص١٠٩.

(٩٠٥) بلاغة الكلمة ص١١.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس ﴿بِيَدِهِ﴾ بحذف الصلة من الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بإثبات الصلة من الهاء[٩٠٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يد: اليَدُ أصلها يَدْيٌ على فعْل ساكنة العين؛ لأن جمعها أَيْدٍ ويُدِي[٩٠٧].

اليَدُ النِّعمةُ، واليَدُ القُوَّةُ، واليَدُ القُدْرة، واليَدُ المِلْكُ، واليَدُ السُلْطانُ، واليَدُ الطاعةُ، واليَدُ الجَماعةُ[٩٠٨].

ثالثاً: التفسير:

تثبتُ هذه الآيةِ لله ديمومةَ الملكوت والقدرة وتنفيهما عن كلِّ ما سواه ﷻ.

يقول الألوسي: «﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر؛ وصيغة الملكوت للمبالغة في الملك فالمراد به الملك الشامل الظاهر، وقيل: المالكية والمدبرية، وقيل: الخزائن ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي يمنع من يشاء ممن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يمنع أحد منه جل وعلا أحداً، وتعدية الفعل بعلى لتضمينه معنى النصرة أو الاستعلاء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم على ما مرّ»[٩٠٩].

---

(٩٠٦) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩٠٧) انظر: مختار الصحاح ص ٧٤٥.

(٩٠٨) انظر: لسان العرب ج ١٥/ ص ٤٩٣.

(٩٠٩) تفسير الألوسي ج١٨/ص٨٧.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بالاجتزاء بالكسرةِ بغير صلة ملكوت الله ـ تعالى ـ لكلِّ ما لم يُذكر، وآيات قدرة الله الخفيَّةِ، وانتفاء فعل الملكوت والقدرة عن كلِّ أحدٍ سواه تعالى بما يفيدُ العموم مع الاختصار.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وبني فعل ﴿يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كل فاعل فيفيد العموم مع الاختصار.

ولما كان تصرف الله هذا خفياً يحتاج إلى تدبر العقل لإدراكه عُقب الاستفهام بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كما عَقَّبَ الاستفهامَ الأولَ بمثله حثًّا لهم على علمِه والاهتداءِ إليه»[(٩١٠)].

وتفيدُ قراءةُ ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بإثبات الصلة من الهاء ملكوت الله لكلِّ ما ذُكِرَ من آيات قدرة الله ـ تعالى ـ وإثبات ملكوته لكلِّ شيءٍ بتفاصيله وجزئيَّاته، وديمومة ملكوته عَجَّلَ.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممَّا ذُكر وما لم يُذكرْ أي ملكه التَّامُّ القاهرُ وقيل: خزائنُه»[(٩١١)].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ ملكوت الله ـ تعالى ـ شاملٌ لكلِّ شيءٍ ممَّا ذُكِرَ وممَّا لم يُذكَر، كما تتَّضح دلائلُ قدرته الشاملةِ المطلقةِ بما يفيدُ العمومَ مع الاختصار، بديمومةٍ وخلود، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ برفع الميم.

---

(٩١٠) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١١٢.

(٩١١) تفسير أبي السعود ج٤/ ص٤٢٩.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بكسر الميم[٩١٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَلِم الشيء بالكسر يعلمه عِلْماً: عَرَفَه»[٩١٣].

ثالثاً: التفسير:

تقرِّر هذه الآية نفي الشريك عن الله، وذلك باتصاف الله ـ ﷻ ـ بكمال العلم وشموله، فقد علا وعَظُمَ سبحانه عمّا يشركونه به.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أنَّ المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبّه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله»[٩١٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ القراءةُ الأولى ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أنَّ الله المُنزَّه عن الولد والشريك يَتَّصفُ بكمال العلم وشموله، فبعد تنزيهه سبحانه عن الولد والشريك، استأنف الكلام بوصفه تعالى بالعلم الكامل الشامل، بما يُثبتُ له هذه الصفة على الدوام؛ لتعبيره بالاسم الذي يفيدُ الثبوت[٩١٥].

---

(٩١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩١٣) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٩١٤) تفسير السعدي ص ٥٥٨.

(٩١٥) انظر: التعبير القرآني ص٢٢.

بينما تفيدُ القراءة الثانية ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ تنزيه الله الذي يتَّصفُ بكمال العلم وشموله عن الولد والشريك، ليزول التوهم بأنَّه قد يكون عدم علم من كلِّ إله من الآلهة المتعدِّدة بما يملكه الإله الآخر فلا يحدثُ علوٌّ من أحدهما على الآخر فوصف نفسه سبحانه بكمال العلم وشموله لدفع مثل هذا التوهم.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وإنما أتبع الاستدلال على انتفاء الشريك بقوله: ﴿عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المراد به عموم العلم، وإحاطته بكل شيء كما أفادته لام التعريف في ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ من الاستغراق الحقيقي، أي عالم كل مغيب وكل ظاهر، لدفع توهم أنْ يقال: إنَّ استقلال كلّ إله بما خلق قد لا يفضي إلى علو بعض الآلهة على بعض، لجواز أنْ لا يعلم أحد من الآلهة بمقدار تفاوت ملكوته على ملكوت الآخر فلا يحصل علو بعضهم على بعض لاشتغال كل إله بملكوته. ووجه الدفع أنَّ الإله إذا جاز أنْ يكون غير خالق لطائفة من المخلوقات التي خلقها غيره لئلا تتداخل القُدَر في مقدورات واحدة لا يجوز أن يكون غير عالم بما خلقه غيره لأن صفات العلم لا تتداخل، فإذا علم أحد الآلهة مقدار ملكوت شركائه فالعالم بأشدِّية ملكوته يعلو على من هو دونه في الملكوت. فظهر أنَّ قوله ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ من تمام الاستدال على انتفاء الشركاء، ولذلك فرع عنه بالفاء قوله ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ برفع ﴿عَالِمُ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف وهو من الحذف الشائع في الاستعمال إذا أريد الإخبار عن شيء بعد أن أجريت عليه أخبار أو صفات.

وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بجر ﴿عَالِم﴾ على الوصف لاسم الجلالة في قوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

و(ما) مصدرية. والمعنى: فتعالى عن إشراكهم، أي هو أعظم من أن

يكون موصوفاً بكونه مشارَكاً في وصفه العظيم، أي هو منزه عن ذلك»(٩١٦).

بالجمع بين القراءتين ننزِّهُ الله الذي يتَّصفُ بكمال العلم وشموله عن الشريك والولد، وليزول التوهم بأنَّه قد يكون عدم علم منه تعالى بما يملكه إله آخر فلا يحدثُ علوٌّ من أحدهما على الآخر لعدمِ علم أحدِهما بالآخر، وصفَ نفسَه سبحانَه بكمالِ العلمِ وشمولِه لدفعِ مثلِ هذا التَّوهُّم، وليؤكِّد سبحانه بأنَّهُ وحده صاحبُ الملكوتِ المتفرِّدِ به وبشموليةِ العلم وديمومته له سبحانه في ملكوته.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿أَن يَحْضُرُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم(٩١٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حضر: الحُضورُ نقيض المَغيب والغَيْبةِ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضوراً وحِضَارَةً»(٩١٨).

ثالثاً: التفسير:

هذا أمرٌ من الله لنبيِّه ﷺ بالتعوذِ به ـ سبحانه وتعالى ـ من شياطين الإنس والجن.

يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أُمر عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنْ يعوذَ به تعالى من حضورِهم بعد ما أُمر بالعوذِ به من همزاتِهم؛

(٩١٦) التحرير والتنوير مج٩/ ج١١٦/١٨ ـ ١١٧. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٩١٨.

(٩١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩١٨) لسان العرب ج٤/ ص ٢٢٩.

للمبالغة في التَّحذيرِ من مُلابستهم. وإعادةُ الفعلِ مع تكريرِ النِّداءِ، لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بالمأمورِ به، وعرضِ نهايةِ الابتهالِ في الاستدعاءِ، أي: أعوذُ بك مِن أنْ يحضرونِي ويحومُوا حولي في حالٍ من الأحوالِ. وتخصيصُ حالِ الصَّلاةِ وقراءةِ القُرآنِ كما رُوي عن ابنِ عبَّاسٍ ﷺ. وحالِ حلولِ الأجلِ كما رُوي عن عكرمةَ[٩١٩] رَحِمَهُ اللهُ لأنَّها أحرى الأحوالِ بالاستعاذةِ منها»[٩٢٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿أَن يَحْضُرُوني﴾ التعوُّذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم، بلفظِ المبتهل إلى ربِّه المكرر لندائه.

يقول الزمخشري: «أُمِرَ بالتعوّذ من نخساتهم بلفظِ المُبتَهِلِ إلى ربِّه، المُكرِّرِ لندائه، وبالتعوّذ من أنْ يحضُروه أصلاً ويحوموا حوله»[٩٢١].

ويقول الطاهر بن عاشور في بيان معنى الآية: «أو يكون أمره بالتعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم. قال في «الشفاء»: الأمة مجتمعة (أي مجمعة) على عصمة النبي ﷺ من الشيطان لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس»[٩٢٢].

وتفيدُ قراءة ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ الاستعاذةَ بالله من أنْ يحضرَني الشيطانُ في أمرٍ من أموري كائناً ما كان من جميع الشؤون في جميع الأوقات.

يقول الشنقيطي: «والظاهر في قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً

(٩١٩) هو عكرمة القرشى الهاشمى، أبو عبد الله المدنى، مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، توفي سنة ١٠٤هـ وقيل بعد ذلك بالمدينة. انظر: الأعلام ج٤/ ص ٢٤٤.

(٩٢٠) تفسير أبي السعود ج٤/ص٤٣١.

(٩٢١) الكشاف ج ٣ / ص ٤٢. وانظر: تفسير النسفي ج٣/ ص١٩٠.

(٩٢٢) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢١.

ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] أم كان عند حضور الموت، أم غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى»[٩٢٣].

ويقول الطاهر بن عاشور: «وأما قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ فهو تعوذ من قربهم؛ لأنَّهم إذا اقتربوا منه لحقه أذاهم».

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يأمر نبيَّه ﷺ أن يعوذَ بالله من شياطين الإنس والجن بلفظ المبتهل إلى ربِّه، المكرَّرِ لندائه، ليحصل له استمرار السلامة وديمومتها من أنْ يحضروه في أيِّ أمرٍ من أموره في أي وقتٍ من الأوقات، والله أعلم.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿رَب ٱرْجِعُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم[٩٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(رجع): رَجَعَ الشيء بنفسه من باب جلس، ورَجَعَهُ غيره من باب قطع وهُذيل تقول أرْجَعَهُ غيره بالألف، وقوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١] أي: يتلاومون والرُّجْعَى الرجوع وكذا المَرْجِعُ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهو شاذ لأن المصادر

(٩٢٣) أضواء البيان ج ٥/ ص٨١٩.

(٩٢٤) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

من فَعَل يَفْعِل إنما تكون بالفتح وفلان يُؤمن بالرَّجْعَةِ أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت»[٩٢٥].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تُصوِّرُ حالَ من تشغله أمور دنياه عن آخرته، فيُفاجأُ بملائكةِ الموتِ تَنزِعُ روحَه من جسدِه، فيتمنَّى رجوعه للدنيا.

يقول الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال: ـ لعظيم ما يعاين مما يَقْدم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ يقول: كي أعملَ صالحاً فيما تركتُ قبل اليوم من العمل، فضيعتُه، وفرّطتُ فيه»[٩٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿رَب ٱرْجِعُوني﴾ لجوء الكافر إلى ربِّه وهو في أشدِّ حالات ضعفه وخوفه وندمه، حين يعلم أنَّ حقيقةَ وجوده وحياته في الدنيا انتهت، وأنَّه سيحاسب على ما اقترفت يداه.

يقول الشهيد سيّد قطب: «إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال. وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان!»[٩٢٧].

ويقول الشوكاني: «والمراد بمجيء الموت: مجيء علاماته ﴿قَالَ رَبِّ

---

(٩٢٥) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٩٢٦) تفسير الطبري ج١٨/ ص٦٠.

(٩٢٧) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٨٠. وانظر: تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٨. وزاد المسير مج٣/ص٢٧٠.

﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ أي قال ذلك الواحد الذي حضره الموت تحسراً وتحزناً على ما فرط منه: رب ارجعون، أي ردّوني إلى الدنيا، وإنما قال: ارجعون بضمير الجماعة لتعظيم المخاطب. وقيل: هو على معنى تكرير الفعل، أي: ارجعني ارجعني ارجعني، ومثله قوله: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق : ٢٤]... معناه ألق ألق... وقيل: إنهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم: ربّ، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ﴿ارجعون لَعَلّي أَعْمَلُ صالحاً﴾ أي: أعمل عملاً صالحاً في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير»[(٩٢٨)].

كما تفيدُ ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ تمنّي الرجوع بسرعةٍ لعمل الأعمال الصالحةِ فقط، وقصر هَدَفِ الرجوع لأجلها فقط ولو لمدَّةٍ قصيرةٍ، حيثُ الاجتزاء بالكسرة يفيد الاجتزاء في الكلام[(٩٢٩)].

بالجمع بين القراءتين يتّضحُ في الآيةِ تحذيرٌ لكلِّ من كان طويل الأمل في هذه الحياة، فظنَّ أنَّ الموت سيمهله إلى أن يحقِّقَ آمالَه وطموحاته الدنيويةِ ثمَّ يعملُ لأخراه، فإذا الموت يأتي بغتةً حيثُ لا يبقِي أمامه مُتَّسعٌ من الوقت لأيِّ شيء، ولا يستطيعُ الرجوعَ للدنيا ولو التجأَ إلى الله، وابتهلَ إليه بالدعاء والرجاء لأجلِ العملِ الصالحِ فقط، والله أعلم.

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون[(٩٣٠)] ويعقوب ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ﴾ بإسكان الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَعَلِّيَ أَعۡمَلُ﴾ بفتح الياء[(٩٣١)].

(٩٢٨) فتح القدير ص١١٩٩. (بتصرف).

(٩٢٩) انظر: التعبير القرآني ص٨٠.

(٩٣٠) هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

(٩٣١) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠. والبدور الزاهرة ص٢١٨.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(لعل): لَعَلَّ كلمة شكٍّ وأصلها علَّ واللام في أولها زائدة ويُقال لَعَلِّي أفعل ولَعَلَّني أفعل بمعنى»[٩٣٢].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تعليلٌ لطلبِ الرجوع إلى الدنيا عند الموت، وذلك رجاء العمل الصالح فيها وتدارك ما فات بسبب الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

يقولُ أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أي في الإيمان الذي تركتُه لم ينظمه في سلك الرَّجاءِ كسائر الأعمالِ الصَّالحةِ بأنْ يقولَ لعلِّي أُومنُ فأعملَ الخ، للإشعارِ بأنَّه أمرٌ مقرَّرُ الوقوعِ غنيٌّ عن الإخبارِ بوقوعِه قطعاً فضلاً عن كونِه مرجوَّ الوقوعِ أي لعلي أعملُ في الإيمانِ الذي أتى به البتةَ عملاً صالحاً وقيل: فيما تركتُهَ من المالِ أو من الدُّنيا»[٩٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿لَعَلِّي أَعۡمَلُ﴾ بإسكان الياء التجاء الكافر إلى الله وخشيته وخوفه منه بعد أنْ انكشفت الغشاوة التي كانت تغطِّي عينيه فيها ورأى مقعده الأُخرَويّ من النار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلِّم، لأنَّه مقام التجاء وخوف وخشية»[٩٣٤].

كما تفيدُ ﴿لَعَلِّيَ أَعۡمَلُ﴾ بفتح الياء السرعةَ في تعليل الغرض من طلب الرجوع للدنيا.

يقول الفخر الرازي: «وجملة الترجي في موضع العلة لمضمون

(٩٣٢) مختار الصحاح ص ٦١٢.

(٩٣٣) تفسير أبي السعود ج٤/ص٤٣٢.

(٩٣٤) التعبير القرآني ص٨٤، وقد ذُكر سابقاً، انظر: ص٨٥.

﴿ٱرۡجِعُونِ﴾»(٩٣٥).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الكافرَ يلجأُ إلى الله عند موته، ومعرفة مقامه في الآخرة، فيطلب منه ويرجوه أنْ يُرجِعَهُ للدنيا معلِّلاً بسرعةِ سببَ طلبِه برجاءِ العملِ الصالحِ في الدنيا وتداركِ ما فاتَه، والله أعلم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس، وأبو عمرو ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بإدغام الباءين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بإظهار الباءين(٩٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نسب): النَّسَبُ واحد الأنساب، والنُّسْبَةُ بكسر النون وضمها مثله، ورجلٌ نَسَّابَةٌ أي: عالمٌ بالأنسابِ، والهاء للمُبالغة في المدح، وفُلان يُنَاسِبُ فلاناً فهو نَسِيبُهُ أي: قريبِه، وبينهما مُنَاسَبَةٌ أي مُشاركة، ونَسَبْتُ الرجلَ: ذكرتُ نَسَبه، وبابه نَصَرَ، ونِسْبَةً أيضاً بالكسر، وانْتَسَبَ إليك أي: ادَّعى أنَّه نسيبُك»(٩٣٧).

ثالثاً: التفسير:

تحذِّرنا هذه الآية من هول يوم القيامة حيثُ لا تُرْتَجَى قرابةٌ ولا ينفعُ نسب.

يقول ابن كثير: «يخبر تعالى أنَّه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والدٌ لولدِه، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا

(٩٣٥) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢٣.

(٩٣٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٣٧) مختار الصحاح ص ٦٨٨.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ﴾ [المعارج: ١٠ ـ ١١] أي: لا يسألُ القريبُ قريبَه وهو يبْصِرُه، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]»(٩٣٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة الجمهور ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإظهار الباءين على الأصل ثبوتُ النسب في الحقيقة يوم القيامة لأنَّ الله إذا أعاد الخلائقَ فالأنساب ثابتة، لأنَّ المُعَادَ هو الولد والوالد.

بينما تفيدُ القراءةُ الأخرَى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإدغام الباءين نسيانَ الرجلِ ولده ووالده، بمعنى انشغال كلِّ إنسانٍ بنفسه عن أقرب الناس إليه، فلا تفاخر بالأنسابِ ولا تعاطُفَ بينها ولا تراحم مهما كانت شدَّةُ قرابتها، وذلك كنايةٌ عن الخوف الشديد الذي يَشغلُ كلَّ إنسان بنفسه.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ في معنى القراءتين:

«أما قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فمن المعلوم أنه سبحانه إذا أعادهم فالأنساب ثابتة لأن المعاد هو الولد والوالد، فلا يجوز أن يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه. وذلك من وجوه:

أحدها: أن من حق النسب أنْ يقعَ به التعاطف والتراحم، كما يقال في الدنيا: أسألك بالله والرحم أنْ تفعلَ كذا. فنفَى سبحانه ذلك من حيث إنَّ كلَّ أحدٍ من أهلِ النَّار يكون مشغولاً بنفسه، وذلك يمنعه من الالتفات إلى النسب، وهكذا الحال في الدنيا لأنَّ الرجلَ متى وقعَ في الأمرِ العظيمِ من الآلام ينسَى ولدَه ووالده.

(٩٣٨) تفسير ابن كثير ج٣/ص٤٢٨.

وثانيها: أنَّ من حقِّ النسبِ أنْ يحصلَ به التفاخرُ في الدنيا، وأنْ يسألَ بعضَهم عن كيفيةِ نسبِ البعض، وفي الآخرة لا يتفرَّغون لذلك.

وثالثها: أنْ يجعل ذلك استعارة عن الخوف الشديد فكل امرىء مشغول بنفسه عن بنيه وأخيه وفصيلته التي تؤويه فكيف بسائر الأمور»[٩٣٩].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الأنساب يوم القيامةِ تبقى في الحقيقةِ وينتفي حكمها من تعاطفٍ وتراحمٍ وتفاخر، فالله يبعثُ الناس يوم القيامةِ ولداً ووالداً، لكنَّ أهوال القيامة تبعثُ على الخوف الشديد الذي يُنسي الرجلَ أقرب الناسِ إليه؛ لانشغاله بنفسه ومآله عمَّا سواهما، والله أعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين والقاف وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف[٩٤٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(شقا): الشَّقَاءُ والشَّقَاوَةُ بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة ﴿شِقَاوَتُنَا﴾ بالكسر وهي لغة وقد شَقِيَ شَقَاءً وشِقَاوةً بالكسر أيضاً وأشْقَاهُ الله فهو شَقِيٌّ بيِّن الشِّقْوَةِ بالكسر وفتحه لغة»[٩٤١].

ثالثاً: التفسير:

لا يملك الكافر يوم القيامة إلا الندم وكلمات الاعتذار التي لا تنفعهم

(٩٣٩) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٩٤٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٤١) مختار الصحاح ص ٣٥٤.

ولا تغني عنهم شيئاً.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوةُ الناشئةُ عن الظلم والإعراضِ عن الحق، والإقبالِ على ما يَضُر، وتركِ ما ينفع، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ في عملهم، وإن كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه»[٩٤٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بدون ألف حدوثُ الشِّقوة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها، فكان حالهم الشقاء في الدنيا، وهو شقاءٌ لا يُذْكرُ بالنسبة لشقاء الآخرة.

وتفيدُ قراءةُ ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بالألف ديمومة الشقاوة لهم في الدارين حيث إنَّ الشِّقوةَ الحاصلةَ لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها تبعتهم في أخراهم حيثُ آلوا إلى هذا المصير المخزي فلازمتهم الشَّقاوة في الدَّار الآخرة، وهذه هي الشقاوة العُظمَى.

يقول الطاهر بن عاشور في معنى القراءتين: «مُثِّلَت حالة اختيارهم لأسباب الشقوة بدل أسباب السعادة بحالة غائرة بين السعادة والشقاوة على نفوسهم. وإضافة الشقوة إلى ضميرهم لاختصاصها بهم حين صارت غالبة عليهم.

والشِّقوة بكسر الشين وسكون القاف في قراءة الجمهور. وهي زنة الهيئة من الشقاء. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿شَقاوتنا﴾ بفتح الشين وبألف بعد القاف وهو مصدر على صيغة الفعالة مثل الجزالة والسذاجة. وزيادة قوله ﴿قَوْمًا﴾ على أنَّ الضلالةَ من شيمتهم، وبها قوام قوميتهم»[٩٤٣].

ويقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ ملكتنا من قولك

---

(٩٤٢) تفسير السعدي ص ٥٦٠.

(٩٤٣) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢٨.

غلبني فلان على كذا إذا أخذه منك، والشقاوة سوء العاقبة، قرىء: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ و﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وكسرها فيهما، . . .الشقوة من الشقاء كجرية الماء، والمصدرُ: الجَرْي، وقد يجيء لفظُ فعلِه، والمرادُ به الهيئة والحال، فيقولُ جلسةً حسنةً وركبةً وقعدةً وذلك من الهيئة، وتقول: عاشَ فلانُ عيشةً طيبةً، ومات ميتةً كريمةً، وهذا هو الحالُ والهيئة، فعلَى هذا المرادُ من الشقوةِ حالُ الشَّقاء»(٩٤٤).

بالجمع بين القراءتين نستشعرُ خوفَ الكافر وخشيته وحزنَه وندمَه وحسرته حيثُ يعترفُ بأنَّ اختياره أسبابَ الشَّقاءِ في الدنيا أشقاهُ فيها شقاءً بسيطاً لا يساوي إلاَّ شيئاً هيِّناً إذا قيسَ بالشقاء الذي عقَّبَ عليه بسبب ذلك الاختيار، ولازمه في الآخرةِ؛ ليحصلَ له الشَّقاءَ الذي ما بعدَه شقاء، وعندها لا ينفعه ندمٌ ولو عضَّ على أصابعه حتَّى تقطَّعت جميعاً، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿وَلاَ تُكَلِّمُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم(٩٤٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«كلم: الكلام القول، معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة»(٩٤٦).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تمثِّلُ الرَّدَّ النهائي على تضرُّع الكفار من ربِّ العالمين الذي له الكلمةُ الأولى والأخيرة في مصير أولئك الكفرة.

---

(٩٤٤) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢٤. وانظر: الكشاف ج٣ / ص٤٤.

(٩٤٥) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩٤٦) لسان العرب ج ١٢ / ص٦١٧ ـ ٦١٨.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي»(٩٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿وَلاَ تُكَلِّمُوني﴾ منعُ الله ـ تعالى ـ الكفَّارَ من الكلامِ عن تفاصيلِ مسبِّباتِ شقاوتهم التي جعلت مآلهم إلى النار، وطلبهم الرجوعَ إلى الدنيا مؤكِّدين صلاحهم حال عودتهم إليها.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ زجْرَ الله للكفَّار عن الكلامِ البتَّة، فكانَ آخر ما قالوه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

يقول النسفي ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت ذلة وهوان ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير»(٩٤٨).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ زجَرَ الكفَّارِ في هذه الآية عن الكلام البتَّةِ قليله وكثيره، ممَّا يدلِّلُ على شدَّةِ غضبِ الله ـ تعالى ـ على الكفارِ وعلمه تعالى أنَّهم لو ردُّوا إلى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه، والله أعلم.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١١٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ بإظهار الذال والتاء

---

(٩٤٧) تفسير ابن كثير ج٣/ ص٤٣٠.

(٩٤٨) تفسير النسفي ج٣/ ١٩٢. وانظر: تفسير الماوردي ج ٤/ ص٦٨.

بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ بإدغام الذال في التاء[٩٤٩].

القراءات في﴿سِخْرِيًّا﴾:

١ ـ قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف ﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِخْرِيًّا﴾ بكسر السين[٩٥٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: «الاتّخاذُ افتعال من الأخذ إلا أنه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا تَخِذَ يتخذ»[٩٥١].

(سخرياً): هزءاً، وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء، والمضموم من التسخير والخدمة[٩٥٢].

«والسُّخْرَةُ: ما تسَخَّرْتَ من دابَّة أَو خادم بلا أَجر ولا ثمن ويقال سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وذللته»[٩٥٣].

«السُّخْرِيُّ: بالضَّمِّ ما كان من جهةِ السُّخْرة، والسِّخْريُّ بالكسر: ما كان من الهُزؤ»[٩٥٤].

ثالثاً: التفسير:

يؤنّبُ الله ـ ﷻ ـ الكفَّارَ على ما فعلوه بالمؤمنين حين تشاغلوا

---

(٩٤٩) انظر: النشر ج٢ / ص١٥.

(٩٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٥١) مختار الصحاح ص٨.

(٩٥٢) الكليات ص ٥٢١.

(٩٥٣) انظر: لسان العرب ج٤/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٩٥٤) معاني القرآن للنحاس ج٢/ ص ٧٨٩. وانظر: القراءات وأثرها في معاني العربية ج١/ ص ٤٥٨.

بالسُّخريةِ منهم وتسخيرهم واستعبادهم عن ذكر الله تعالى.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ أي اسكتُوا عن الدُّعاءِ بقولكم: ربنا الخ، لأنَّكم كنتُم تستهزئُون بالدَّاعينَ بقولهم: ربنا آمنا الخ، وتتشاغلُون باستهزائِهم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾ أي الاستهزاءُ بهم ﴿ذِكۡرِي﴾ من فرطِ اشتغالِكم باستهزائِهم ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ وذلك غايةُ الاستهزاءِ»[955].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ القراءةُ ﴿فَٱتَّخَذتُّمُوهُمۡ﴾ بإدغام الذال في التاء اتخاذُ الكفَّارِ للمؤمنينَ ـ وإن كانت لهم بهم قرابةٌ ونسب ـ سِخريًا في مجالسِ نجواهم، وسُخرياً باستعبادهم لهم بما لا يطيقون.

وتفيدُ قراءةُ ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ بإظهار الذال والتاء قصدَ الكفَّار السُّخريةَ من المؤمنين واستعبادَهم وفعلَ ذلك بالضعفاء علناً أمام الناس.

يقول ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ قال الزجاج: الأجودُ إدغامُ الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئتَ أظهرتَ، لأنَّ الذالَ من كلمةٍ والتاءَ من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد»[956].

أمَّا قراءة ﴿سُخۡرِيًّا﴾ فتفيدُ السُّخرة والعبودية أي تسَخِّروهم وتستعبدوهم.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿سِخۡرِيًّا﴾ الهزء أي تستهزئون بهم.

يقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «السخريّ ـ بالضم والكسر ـ: مصدر سخر كالسخر، إلاَّ أنَّ في ياء النسب زيادةُ قوّةٍ في الفعل، كما قيلَ: الخصوصيةُ في الخصوص. وعن الكسائي والفراء: أنَّ المكسور من الهزء،

---

(955) تفسير أبي السعود ج٤/ ص ٤٣٣.

(956) زاد المسير مج ٣/ ص ٢٧٢.

والمضموم من السخرة والعبودية، أي: تسخروهم واستعبدوهم»(٩٥٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ عَجَّلَ ـ يُوَبِّخُ الكفَّار بسبب إذلالهم للمؤمنين وتسخيرهم لهم واستهزائهم بهم حتَّى اتخذوهم في مجالس نجواهم موضوعاً للاستهزاء بهم، واتخذوهم في استعبادهم لهم سُخْرةً أمامَ الناس، غيرُ عابئينَ بأيِّ رابطةِ صلةٍ من قرابةٍ ونحوها، حتَّى أصبح كلُّ ذلك شغلَهم فنسَوا ذكرَ الله تعالى وهم يضحكون منهم، والله أعلم.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ بفتح الهمزة(٩٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:(٩٥٩).

ثالثاً: التفسير:

يبشِّرُ الله ـ تعالى ـ المؤمنين بما أعدَّ لهم من النعيم جزاءَ صبرهم فكانوا هم الفائزين بنعيم الجنَّة.

يقول الفخر الرازي: «بيَّن سبحانه ما يستلزم في الكفَّار الأسف والحسرة بأن وصف ما جازى به أولئك المؤمنين فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي (إِنَّهم) بالكسر والباقون بالفتح، فالكسرُ استئنافٌ أي: قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم أحسن الجزاء، والفتح على أنَّه في موضعِ المفعولِ الثاني من

(٩٥٧) الكشاف ج٣/ ص ٤٤. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٦٠٧ ـ ٦١١.

(٩٥٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٩٥٩) سبق المعنى اللغوي للأدوات (إنَّ) و(أنَّ) انظر: ص٣٣.

جزيت، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً بإضمارِ الخافضِ، أي: جزيتُهم الجزاءَ الوافرَ لأنَّهم هم الفائزون»[960].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ أنَّ الله - تعالى - جزى المؤمنين فوزَهم، والفوزُ هو نيْلُ المطلوبِ الأعظم، أي ينالون كلَّ ما يطلبونه.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ أنَّ الله جزى المؤمنين جنَّته بما صبروا، وأكَّدَ إنَّهم هم الفائزون بمنطوق الآيةِ ممَّا يشيرُ بمفهوم الآيةِ إلى أنَّ الكفار هم الخاسرون.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ حمزة والكسائي: إنهم هم الفائزون بكسر همزة إن، وعلى قراءتهما فمفعول جزيتهم: محذوف: أي جزيتهم جنتي إنهم هم الفائزون، وعلى هذه القراءة فإن لاستئناف الكلام، وقرأ الباقون: أنهم هم الفائزون. بفتح همزة أن، وعلى قراءة الجمهور هذه فالمصدر المنسبك، من أن وصلتها: مفعول به لجزيتهم: أي جزيتهم فوزهم كما لا يخفى. والفوز نيل المطلوب الأعظم»[961].

بالجمع بين القراءتين توضِّح الآية بشارةً للمؤمنين بالتأكيد على فوزهم وعلى نيلهم المطلوب الأعظم في الجنَّةِ، ولا شيء أعظم عندَ أهل الجنةِ من رؤيةِ الله تعالى، والله أعلم.

٣١ - قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في﴿قَٰلَ كَمۡ﴾:

---

(٩٦٠) تفسير الرازي ج ٢٣ / ص ١٢٥ - ١٢٦. (بتصرف بسيط).

(٩٦١) أضواء البيان ج ٥/ص٨٢٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢/ ص ٦٥ - ٦٦. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٨٩٣.

١ ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿قُلْ كَمْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قَلَ كَمْ﴾ بألف على الخبر[٩٦٢].

القراءات في ﴿لَبِثْتُمْ﴾:

١ ـ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿لَبِثتُمْ﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء[٩٦٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لبث: «اللَّبْث واللَّبَاثُ: المُكْثُ»[٩٦٤].

ثالثاً: التفسير:

إنَّ السؤال في هذه الآيةِ ليس الغرضُ منه معرفةَ مدَّةِ مكث الكفار في الدنيا ولكن الشعور باستقصار مدَّةِ مكثهم في الأرض حيثُ كانوا يظنُّونَ أنَّه لا حياةَ إلاَّ فيها، وأنَّه بعد الموت يدوم الفناء، فكان هذا السؤال تبكيتاً وتوبيخاً لهم.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ويظنون أنَّه بعد الموتِ يدومُ الفناءُ ولا إعادة، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنَّها دائمةٌ، وهم فيها مُخَلَّدون سألَهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تنبيهاً لهم على أنَّ ما ظنُّوه دائماً طويلاً، فهو يسيرٌ بالإضافةِ إلى ما أنكروه، فحينئذٍ تحصلُ لهم الحَسرةُ على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا، من حيث أيقنوا خلافَه، فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا»[٩٦٥].

---

(٩٦٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٩٦٣) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٩.

(٩٦٤) لسان العرب ج ٢ /ص٢٠٥.

(٩٦٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿قُلْ كَمْ﴾ الأمرُ للمَلَكِ أو بعضُ رؤساءِ أهلِ النار، بسؤالِ الكفَّارِ عن مدَّةِ مكثِهم في الأرض.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿قَالَ كَمْ﴾ الإخبارَ بأنَّ الله ـ تعالى ـ قال لهم وهو أعلمُ بما لبثوا، وإنَّما السؤالُ لاستصغارِ أمرِ الأرضِ، واستقصار أيامهم فيها. وإنهم ليحسون اليوم بقصر تلك الحياة وضآلتها. وإنهم ليائسون ضيقو الصدور، لا يعنيهم حسابها وعدتها(٩٦٦).

أمَّا قراءة ﴿لَبِثتُّمْ﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً فإنَّها تفيدُ قصر مدَّةِ مكث الكفار في الأرض، بالقياس مع مدَّة حياتهم في النار.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء، أنَّهم مكثوا في الأرضِ المدَّةَ التي قضَى الله لهم أنْ يحيَوها بتمامِها، ولم يُنقَصوا منها شيئاً.

يقول الزمخشري: «﴿قَالَ﴾ في مصاحف أهل الكوفة. وقل: في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام؛ ففي ﴿قَالَ﴾ ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وفي ﴿قُل﴾ ضمير الملَك أو بعضِ رؤساءِ أهلِ النار.

استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها. أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالّهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها»(٩٦٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يتبين في الآيةِ تحذيرٌ للكفار من الاغترار بالدنيا؛ لأنَّ حياتَهم فيها قصيرةٌ مهما طالت وسيوبِّخهم ربهم فيسألهم وهم في النار عن مدَّةِ مكثهم فيها، ولكنَّهم على رغم أنَّهم مكثوا فيها عمرهم

(٩٦٦) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٨٢.

(٩٦٧) الكشاف ج٣ /ص٤٤.

بكامله إلاَّ إنَّهم سيجدون هذه الحياة قصيرةً جداً بالقياس إلى خلودهم في النار، والله أعلم.

٣٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلِ﴾ بالنقل[٩٦٨].

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلِ﴾ بغير نقل[٩٦٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:[٩٧٠].

ثالثاً: التفسير:

يجيبُ الكفارُ في هذه الآيةِ على السائلِ عن مدَّةِ مكثهم في الأرضِ بأنَّهم لم يمكثوا فيها إلاَّ يوماً أو بعضَ يوم، ولكونهم في ضيقٍ لا يقدرون معه على العدِّ والحساب ينقلون السؤال للعادِّين من البشرِ أو الملائكة.

يقول البيضاوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنَّها كانت أيامَ سرورهم وأيام السرور قصار، أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها، أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرىء ﴿العَادِينَ﴾ بالتخفيف أي الظلمة فإنَّهم يقولون ما نقول، و﴿العَادِينَ﴾ أي القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون»[٩٧١].

---

(٩٦٨) سبق التعريف بالنقل في الموضع العاشر من سورة الأنبياء، انظر: ص ١٦٢.

(٩٦٩) انظر: النشر ج١/ص٤١٤، ج٢/ص٣٣٠.

(٩٧٠) سبق المعنى اللغوي لـ (سأل). انظر ص١٦٢.

(٩٧١) تفسير البيضاوي ص٤٦٩.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿فَسَل﴾ بالنقل سرعة نقل السؤال للملائكةِ الذين يُحصونَ أعمارَ العباد، ويُحصون أعمالهم.

يقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرئ: ﴿فسل العادّين﴾ والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلاّ أنا نستقله ونحسبه يوماً أو بعض يوم؛ لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها (كم هي) فَسَلْ من فيه أنْ يعدّ، ومن يقدر أنْ يلقي إليه فكرَه. وقيل: فَسَلِ الملائكةَ الذين يعدّون أعمارَ العبادِ ويحصون أعمالَهم. وقرىء: ﴿العَادِينَ﴾ بالتخفيف أي: الظلمة فإنهم يقولون كما نقول. وقرئ: ﴿العَادِينَ﴾ أي: القدماء المُعَمَّرين، فإنَّهم يستقصِرونها»[972].

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿فَسْـَٔلِ﴾ بغير نقل التدقيق في السؤال، وأنَّ السؤال على ظاهره، وكأنَّهم بعثوا ويظنُّون أنَّ الدنيا ما زالت باقية.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأما قولهم: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ فهو اعترافٌ بأنَّهم لم يضبطوا مدةَ مكثهم، فأحالوا السائلَ على من يضبط ذلك من الذين يظنونهم لم يزالوا أحياء لأنهم حسبوا أنهم بعثوا والدنيا باقية، وحسبوا أن السؤال على ظاهره فتبرأوا من عهدة عدم ضبط الجواب»[973].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكفار في الآخرةِ يكونون في كربٍ شديدٍ وحالٍ يُرثَى لها حيثُ لا يستطيعون تقديرَ مدَّةَ مكثهم في الدنيا، فيحيلون السائلَ لهم عنها إلى العادين المختصِّينَ بهذا العمل في الدنيا حيثُ يظنُّونَ أنَّهم بُعثوا والحياةُ كما هي والسؤال على ظاهره أو إحالته إلى الملائكةِ الذين يحسبون أعمار العباد، ويحصون أعمالهم، والله أعلم.

---

(٩٧٢) الكشاف ج ٣/ص٤٤.

(٩٧٣) التحرير والتنوير مج٩/ ج١٨/ ص١٣٢.

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَالَ إِنْ﴾:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي ﴿قَالَ إِنْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قَالَ إِنْ﴾ بألف على الخبر[٩٧٤].

القراءات في ﴿لَّبِثْتُمْ﴾:[٩٧٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:[٩٧٦].

ثالثاً: التفسير:

يصَدِّقُ الله ـ ﷻ ـ الكفار فيما قالوه عن مدَّةِ مكثهم في الأرضِ بقوله لهم إنَّهم لم يمكثوا في الأرض إلاَّ قليلاً لو أنَّهم يعلمون مدَّةَ مكثهم في الدنيا.

يقول البغوي: «﴿قَالَ إِن لَبِثْتُمْ﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًاۖ﴾ سمَّاه قليلاً لأنَّ الواحدَ وإنْ طالَ مكثُه في الدنيا، فإنَّه يكون قليلاً في جنبِ ما يلبث في الآخرة، لأنَّ لبثه في الدنيا وفي القبر متناهٍ، ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قدر لبثكم في الدنيا»[٩٧٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿قُلْ إِنْ﴾ بغير ألف على أمر من يؤمر بسؤالهم.

وتفيدُ قراءةُ ﴿قَالَ إِنْ﴾ على الإخبار عن السائل.

---

(٩٧٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.
(٩٧٥) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٩.
(٩٧٦) سبق في الموضع الحادي والثلاثين من هذه السورة، انظر: ص٣٦٠.
(٩٧٧) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٣٢.

أمّا قراءةُ ﴿لَبِتُّم﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً فتفيدُ أنَّهم شعروا بقصر مدَّةِ مكثهم في الدنيا.

بينما قراءةُ ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء فإنَّها تفيدُ مدةَ مكثهم في الأرضِ بتمامها على حقيقتها.

بالجمع بين القراءات الأربع يتمُّ إخبار الكفار ـ من السائل الذي يؤمر بسؤالهم عن مدة مكثهم ـ بأنَّهم على رغم حياتهم في الدنيا المدةَ التي قدَّرها الله لهم لم يشعروا أنَّهم مكثوا في الأرضِ إلاَّ قليلاً[٩٧٨]، والله أعلم.

---

(٩٧٨) راجع الموضع الحادي والثلاثين من هذه السورة ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

الفهارس

وتشتمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

ـ أ ـ

٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات ـ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ـ حقَّقه وقدَّمَ له: الدكتور محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) ـ للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي المتوفي سنة١١١٧هـ ـ تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط (١٤٠٧هـ /١٩٨٧م).

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ط٤(١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٥ ـ إتمام الأعلام ـ لنزار أباظة ومحمد المالح: دار الفكر ـ ط٢[بدون تاريخ طبع].

٦ ـ الأحرف السبعة للقرآن ـ لأبي عمرو الداني ـ تحقيق: د. عبد المهيمن طحان ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ط١ (١٤٠٨هـ).

٧ ـ الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ـ للدكتور حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية بيروت ـ ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

٨ ـ أحكام القرآن ـ لمحمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٤٠٠).

٩ ـ الأدوات النحوية في كتب التفسير ـ للدكتور: محمود أحمد الصغير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) - للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت: ٩٨٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

١١ - أساس البلاغة - للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨ هـ - تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة - بيروت - ط (١٣٣٩هـ / ١٩٧٩م).

١٢ - الأساس في التفسير - لسعيد حوى: دار السلام - ط٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١٣ - الأسامي والكنى - لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني - تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع - مكتبة دار الأقصى - الكويت - ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

١٤ - أسباب النزول (دراسة جامعة لأقوال الأئمة: القرطبي، وابن كثير، والواحدي - للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبي الفضل السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - ط١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

١٥ - أسباب النزول - للإمام علي بن أحمد، أبي الحسن الواحدي، ت: ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ط(١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

١٦ - أسرار ترتيب القرآن - للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة - القاهرة - [بدون تاريخ طبع].

١٧ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - للشيخ الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة - مكتبة السنة - القاهرة - ط٤ (١٤٠٨).

١٨ - أسماء القبائل وأنسابها - للعلامة السيد مُعِزّ الدين محمد المهدي الحسيني الشهير بالقزويني - شرح وتحقيق: كامل سليمان الجبوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

١٩ - الاشتقاق - لأبي بكر محمد الحسن بن دُريد - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط١ (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٢٠ - أضواء على علم القراءات - للدكتور: إسماعيل نواهضة (جامعة القدس) - مجلة الإسراء - العدد ٨ (١٩٩٧م / رمضان - شوال ١٤١٧هـ) ص٣٨ - ٤٢.

٢١ - أطلس القرآن (أماكن - أقوام - أعلام) - للدكتور شوقي أبو خليل: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١ (٢٠٠٠م)، إعادة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

٢٢ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - للدكتور عبد السلام اللوح: مكتبة آفاق للطباعة والنشر - غزة - فلسطين - ط٢ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٣ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - لمصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٣(٢٠٠٥م /١٤٢٥هـ).

٢٤ - إعراب القراءات السبع وعللها - لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي، ت: ٣٧٠هـ - حقّقه وقدّم له: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م).

٢٥ - إعراب القرآن الكريم وبيانه - للأستاذ محيي الدين الدرويش: دار اليمامة، دار ابن كثير - دمشق، بيروت - ط٧ (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م).

٢٦ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لأبي عبد الله الحسين بن خالويه: المكتبة الثقافية - بيروت - ط (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م).

٢٧ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي: دار العلم للملايين - بيروت - ط٥ (١٩٨٠م).

٢٨ - الإقناع في القراءات السبع - للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفي سنة٥٤٠هـ - حقّقه وعلّق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٢٩ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري: دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٣٠ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٣١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) - للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي - تصحيح: محمد سالم محيسن - مكتبة الجمهورية العربية - مصر.

— ب —

٣٢ - بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت: ٣٧٥هـ - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٣٣ - البحر المحيط - لأبي حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان - دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٣٤ - البداية والنهاية - لأبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: دار أبي حيان - القاهرة - ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٣٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني - دار الفكر - ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٣٦ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة - لعبد الفتاح القاضي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ط١(١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

٣٧ - البرهان في علوم القرآن - للشيخ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت - ط (١٣٩١هـ).

٣٨ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي - تحقيق: محمد علي النجار - لجنة إحياء التراث الإسلامي - ط٢ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٣٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - لجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية - بيروت - [بدون تاريخ طبع].

٤٠ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار - عمّان - ط١ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٤١ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات، وكثرة الطرق والروايات - لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي، ت: ٤٤٠هـ: ضمن كتاب: **أربعة كتب في علوم القرآن** - للمهدوي ولابن برّي وللصفاقُسي ولمجهول - تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن - عالم الكتب - بيروت - ط١ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

ـ ت ـ

٤٢ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ط١ (١٣٠٦ هـ).

٤٣ - التاريخ الكبير - لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق: السيد هاشم الندوي - دار الفكر - [بدون تاريخ طبع].

٤٤ ـ تاريخ بغداد ـ لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٤٥ ـ التأنيث في اللغة العربية ـ لإبراهيم إبراهيم بركات ـ المكتبة العلمية بالمنصورة ـ ط(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٤٦ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ت: ٨١٥ ـ تحقيق: الدكتور فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ القاهرة ـ ط١ (١٩٩٢م).

٤٧ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ـ للإمام محمد بن محمد بن الجزري ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ط(٢٠٠٤م).

٤٨ ـ التحديد في الإتقان والتجويد ـ لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، ت: ٤٤٤هـ ـ دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد ـ مكتبة دار الأنبار ـ العراق ط١ (١٤٠٧هـ /١٩٨٨م).

٤٩ ـ التحرير والتنوير ـ للطاهر بن عاشور: دار سحنون ـ تونس ـ ط (١٩٩٧م).

٥٠ ـ تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) ـ لعلوي السقّاف: دار الهجرة ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٢ هـ / ١٩٩١م).

٥١ ـ تذكرة الحفاظ ـ للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، ت: ٧٤٨ هـ ـ صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي ـ دار الفكر العربي.

٥٢ ـ تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي ـ حلب ـ ط١ (١٣٦٩هـ).

٥٣ ـ التعبير القرآني ـ للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمّان ـ ط١ (١٩٩٨م).

٥٤ ـ تعدد قراءات القرآن وما يتعلق بها ـ لفضيلة الأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري ـ إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم ـ مجلة الأزهر: يصدرها: مجمع البحوث الإسلامية ـ السنة٧٦ ـ جزء ٦ / أغسطس (٢٠٠٣م) ـ ص٨٥٧.

٥٥ ـ التعديل والتجريح، لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح ـ لسليمان بن خلف بن سعد أبي الوليد الباجي ـ تحقيق: د. أبو لبابة حسين ـ دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٥٦ ـ تفسير ابن أبي زمنين (وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام) ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، ت: ٣٩٩هـ ـ تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

٥٧ ـ تفسير ابن عربي ـ للشيخ محيي الدين بن عربي، ت: ٦٣٨هـ ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

٥٨ ـ تفسير الجلالين ـ لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ [بدون تاريخ طبع].

٥٩ ـ تفسير سفيان الثوري ـ للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي / ت: ١٦١هـ ـ راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٦٠ ـ تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعيًا) ـ لمحمد عبد الكريم أحمد الحسن ـ (رسالة ماجستير) إشراف فضيلة الدكتور محمد أبو زور ـ الجامعة الإسلامية ـ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٦١ ـ تفسير الشعراوي ـ للشيخ محمد متولي الشعراوي ـ راجع أصله وخرَّج أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ـ أخبار اليوم ـ ط (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٦٢ ـ التفسير الكامل (وهو تفسير آي القرآن الكريم) ـ لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرَّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ت: ٧٢٨ ـ جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: أبي سعيد عمر بن غرامة العَمروي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٦٣ ـ التفسير الكبير ـ للإمام العلامة تقيّ الدين بن تيمية، ت ٧٢٨ ـ تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٦٤ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ـ للفخر الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ ط٢ [بدون تاريخ طبع].

٦٥ ـ تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) ـ للشيخ الإمام سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام السُّلمي الدمشقي الشافعي، ت: ٦٦٠ هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٦ ـ تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) ـ للأستاذ عبد الله علي الملاحي ـ إشراف الدكتور: مروان أبو راس ـ الجامعة الإسلامية ـ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٦٧ ـ تفسير القرآن العظيم ـ للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ ـ تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط١(١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٨ ـ تفسير القرآن الكريم ـ للدكتور عبد الله شحاتة: دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ [بدون تايخ طبع].

٦٩ ـ التفسير القرآني للقرآن ـ لعبد الكريم الخطيب: دار الفكر العربي ـ [بدون تاريخ طبع].

٧٠ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ للدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر ـ دمشق ـ ط ١ (١٩٩١م).

٧١ ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ـ للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠ ـ تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعّار ـ دار النفائس ـ ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٧٢ ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ لفضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر: مطبعة السعادة ـ ط (١٤٠٥٥هـ/ ١٩٨٥م).

٧٣ ـ التفسير الوسيط ـ للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٧٤ ـ تقريب التهذيب ـ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ـ تحقيق: محمد عوامة ـ دار الرشيد ـ سورية ـ ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٧٥ ـ تهذيب الآثار (الجزء المفقود) ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ ـ تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١(١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٧٦ ـ تهذيب التهذيب ـ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي: دار الفكر ـ بيروت ـ ط١(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٧٧ ـ تهذيب الكمال ـ ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي ـ تحقيق: د. بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٧٨ ـ التوجيه اللغوي لقراءة عاصم ـ للدكتور صبري المتولّي ـ أجازه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط (١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م).

٧٩ ـ التوقيف على مهمّات التعاريف (معجم لغوي اصطلاحي) ـ لمحمد عبد الرؤوف المناوي ـ تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط ١ (١٩٩٠م)، إعادة: (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٨٠ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ـ لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ ط (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

ـ ث ـ

٨١ ـ الثقات ـ لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

ـ ج ـ

٨٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ ـ قدّم له: الشيخ خليل الميس ـ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م).

٨٣ ـ جامع الصحيح المختصر ـ للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٨٤ ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ [بدون تاريخ طبع].

٨٦ ـ الجرح والتعديل ـ لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٢٧١هـ/١٩٥٢م).

٨٧ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـ للإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ـ حققه وخرّج أحاديثه ووثّق أصوله أبو محمد الغُماري الإدريسي الحسني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٨٨ ـ الجوهر المصون في رواية قالون ـ للعالم العلاّمة المُحقق السيِّد هادي بن حسن بن عبد الرحمن ابن حسن السَّقَّافِ العَلَويّ (١٢٦٦ ـ ١٣٢٩هـ) ـ دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

ـ ح ـ

٨٩ ـ حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي ـ للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفي سنة ١٠٩٦هـ على تفسير البيضاوي الإمام أبي سعيد ناصر عبد الله بن عمر بن محمد المتوفي سنة ٦٩١هـ ـ ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٩٠ ـ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ـ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ومعه حاشية ابن التمجيد ـ ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: عبد الله محمود محمد عمر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٩١ ـ حجة القراءات ـ لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبي زرعة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)

٩٢ ـ الحجة للقراء السبعة (أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد) لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ت: ٣٧٧هـ ـ حقّقه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي ـ راجعه ودقّقه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق ـ دار المأمون للتراث ـ ط١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢ م).

٩٣ ـ الحجة في القراءات السبع ـ للإمام ابن خالويه ـ تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٩٤ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ للحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ (١٣٨٧هـ /١٩٦٧م).

٩٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٤ (١٤٠٥هـ).

٩٦ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ـ للشيخ عبد الرزاق البيطار ـ تحقيق: محمد البيطار ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

— خ —

٩٧ ـ الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٢هـ).

— د —

٩٨ ـ دراسات في فقه اللغة ـ للدكتور صبحي الصالح: دار العلم للملايين بيروت ـ ط٩ (١٩٨١م).

٩٩ ـ دراسة الصوت اللغوي ـ للدكتور: أحمد مختار عمر: عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط٢ (١٩٨١م).

١٠٠ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: دار الجيل ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

١٠١ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

١٠٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ لعبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٩٩٣م).

١٠٣ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيميّة ـ للدكتور محمد السيد الجليند: مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٦هـ /١٩٨٦ م).

١٠٤ ـ دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري ـ جمع وتصنيف وتحقيق: الدكتور: عبد الرحمن عميرة ـ عالم الكتب ـ ط١ ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

١٠٥ ـ دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ـ للدكتور خالد قاسم بن دومي: عالم الكتب الحديث ـ إربد ـ الأردن ـ ط١(٢٠٠٦م).

١٠٦ ـ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٣ [بدون تاريخ طبع].

— ر —

١٠٧ ـ روح البيان في تفسير القرآن ـ للإمام الشيخ إسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلْوَتي البروسوي، ت: ١١٢٧هـ ـ ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٠٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت: ١٢٧هـ ـ قرأه وصحّحه: محمد حسين العرب ـ دار الفكر ـ بيروت.

١٠٩ ـ الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ـ بحث للأستاذ الدكتور: علي محمد حسن العماري ـ رئيس التحرير: الدكتور: علي أحمد الخطيب ـ الأزهر ـ ط (١٤١٧هـ).

ـ ز ـ

١١٠ ـ زاد المسير في علم التفسير ـ للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: ٥٩٧ ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١١١ ـ زهرة التفاسير ـ للإمام الجليل محمد أبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ: دار الفكر العربي ـ القاهرة [بدون تاريخ طبع].

ـ س ـ

١١٢ ـ السراج المنير (تفسير القرآن الكريم) ـ للإمام الشيخ خطيب الشربيني: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ [بدون تاريخ طبع].

١١٣ ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المُنتهي للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصِح العذري البغدادي ـ إشراف: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

١١٤ ـ سلامة الحرف من الزيادة والحذف ـ للدكتور حسن فضل عباس ـ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت ـ السنة الرابعة ـ العدد التاسع (١٤٠٨هـ/ ديسمبر ١٩٨٧م) ص ٣١.

١١٥ ـ سنن أبي داوود ـ لسليمان بن الأشعث أبي داوود السجستاني الأزدي: دار الفكر ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت ـ والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١١٦ ـ سنن النسائي الكبرى ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: دكتور: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١١٧ ـ سير أعلام النبلاء ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ (١٤١٣هـ).

ـ ش ـ

١١٨ ـ شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى ـ للدكتور يحيى القاسم ـ مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، السلسلة أ: العلوم الإنسانية والاجتماعية (موضوع العدد: اللغة العربية) مجلة علمية محكمة ومفهرسة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ـ جامعة مؤتة / الأردن ـ (رجب ١٤١٤هـ/ كانون أول ١٩٩٣م) ـ المجلد ٨/ العدد٦/ ص١٦٤.

١١٩ ـ شبهات حول القراءات القرآنية ـ للدكتور: فضل عباس ـ مجلة دراسات: (العلوم الإنسانية: مجلة متخصصة ومحكّمة تصدر عن الجامعة الأردنية) ـ مجلد ١٥ ـ عدد٣ ـ رجب (١٤٠٨هـ) ـ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

١٢٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفي سنة ١٠٨٩هـ ـ دار الفكر. [بدون تاريخ طبع].

١٢١ ـ شرح ابن عقيل ـ لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، ت: ٧٦٩هـ على ألفية الإمام إبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، ت: ٦٧٢هـ ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١٢٢ ـ شرح التصريح على التوضيح ـ للشيخ العلامة خالد بن عبد الله الأزهري على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري: دار إحياء الكتب العربية [بدون تاريخ طبع].

١٢٣ ـ شرح الرضي على الكافية ـ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ـ جامعة قاريونس ـ ط (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

١٢٤ ـ شرح المفصل ـ لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ت: ٦٤٣هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

١٢٥ ـ شرح ديوان الفرزدق ـ لإيليا الحاوي: دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط١ (١٩٨٣م).

١٢٦ ـ الشعراوي . . . أنا من سلالة البيت ـ لسعيد أبي العينين ـ دار أخبار اليوم ـ ط٥.

١٢٧ ـ الشيخ كشك في رحاب الوفاء والرثاء ـ لمحمد عبد الله السمان ـ مكتبة الصحافة للطباعة والنشر.

ـ ص ـ

١٢٨ ـ صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان ـ لمحمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

١٢٩ ـ صحيح الترغيب والترهيب ـ لمحمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط٥ [بدون تاريخ طبع].

١٣٠ ـ صحيح مسلم ـ للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري ـ تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٣١ ـ صفوة التفاسير ـ للشيخ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١(١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

١٣٢ ـ صور من سور القرآن الكريم ـ لعبد الكريم خلف الحمصي ـ سوريا ـ (١٩٥٠م).

ـ ض ـ

١٣٣ ـ الضعفاء الكبير ـ لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ـ تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ـ دار المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).

ـ ط ـ

١٣٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي ـ تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح الحلو ـ دار إحياء الكتب العربية.

١٣٥ ـ الطبقات الكبرى ـ لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري: دار صادر ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٣٦ ـ طبقات المدلسين ـ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ـ تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي ـ مكتبة المنار ـ عمان ـ ط١(١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م).

١٣٧ ـ طبقات المفسرين ـ لأحمد بن محمد الأدنروي ـ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط١ (١٩٩٧م).

١٣٨ ـ طبقات المفسرين ـ للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ت ٩٤٥ ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٢(١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

١٣٩ ـ طبقات المفسرين ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ [مجلد واحد] ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط ١ (١٣٩٦هـ).

١٤٠ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لأبي بكر محمد بن الحسين الزبيدي الأندلسي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٤١ ـ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ـ لمحمد الصادق قمحاوي ـ مكتبة العلم والإيمان ـ ط١ [بدون تاريخ طبع].

ـ ع ـ

١٤٢ ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ـ للإمام الحافظ ابن العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ: دار العلم للجميع ـ [بدون تاريخ طبع].

١٤٣ ـ علم القراءات (نشأته ـ أطواره ـ أثره في العلوم الشرعية) ـ للدكتور نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ـ تقديم: سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ـ مكتبة التوبة ـ الرياض ـ ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٤٤ ـ العين ـ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرّائي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

ـ غ ـ

١٤٥ ـ غاية النهاية في طبقات القرّاء ـ للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ـ عني بنشره: ح. برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م).

١٤٦ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد ـ للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت: ٧٢٨ هـ ـ ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

١٤٧ ـ غريب الحديث ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ تحقيق: محمد عبد المعيد خان ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١(١٣٩٦م).

١٤٨ ـ غريب القرآن وتفسيره ـ لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك الزيدي المتوفي سنة ٢٣٧هـ ـ حقّقه وعلّق عليه: محمد سليم الحاج ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٤٩ ـ غيث النفع في القراءات السبع لعلي النّوري الصفاقسي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

ـ ف ـ

١٥٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط (١٣٧٩هـ).

١٥١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير [مجلد واحد] ـ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني: دار ابن حزم ـ ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٥٢ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ت: ١٢٠٤هـ: مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٥٣ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) ـ للمنتجب حسين ابن أبي العز الهمذاني، ت: ٦٤٣هـ ـ تحقيق: الدكتور فهمي حسين النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ الدوحة [بدون تاريخ طبع].

١٥٤ ـ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر ـ للفقير محمد إبراهيم محمد سالم (تحريراً وجمعاً): [بدون ناشر] ـ ط (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

١٥٥ ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي ـ مطبعة فضالة ـ المغرب ـ ط (١٤١٥ هـ/١٩٩٥م).

١٥٦ ـ فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ـ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ ـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٥٧ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: دار المغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

١٥٨ ـ الفوائد ـ لتمام بن محمد الرازي، أبي القاسم ـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٢هـ).

١٥٩ ـ في رحاب التفسير ـ للشيخ عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث ـ [بدون تاريخ طبع].

١٦٠ ـ في ظلال القرآن ـ لسيد قطب: دار الشروق ـ بيروت ـ ط٩(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

١٦١ ـ في قراءات القرآن ـ لعبد الحليم النجار: مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ مايو(١٩٤٨م) ـ مجلد ١٥ ـ رقم العدد ١ ـ ص١٢٢.

١٦٢ ـ في هامش القرآن الكريم: القراءات العشر المتواترة ـ فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه ـ إشراف محمد كريم راجح، شيخ الإقراء في الديار الشامية ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

— ق —

١٦٣ ـ القاموس المحيط ـ للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: ٨١٧هـ ـ تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

١٦٤ ـ قبض العلماء ـ لطارق ديلواني ـ مجلة المنبر الإسلامية ـ مجلة فلسطينية ـ عدد ٢٥ / ص ٣٩.

١٦٥ ـ القراءات (أحكامها ومصدرها) ـ لشعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ـ جدة ـ السنة الثانية ـ ١٤٠٢هـ ـ العدد ١٩.

١٦٦ ـ القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) ـ لعبد الهادي الفضلي: دار القلم ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٦٧ ـ القراءات القرآنية ـ للدكتور: أحمد محمد القضاة ـ مجلة الآفاق (جامعة الزرقاء ـ الأردن) ـ سنة١/ ربيع ثان (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ـ عدد١ ـ ص ٤١.

١٦٨ ـ القراءات القرآنية (تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها) لعبد الحليم بن محمد الهادي قابه ـ إشراف ومراجعة وتقديم: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١(١٩٩٩م).

١٦٩ ـ القراءات القرآنية (في ضوء علم اللغة الحديث) ـ للدكتور عبد الصبور شاهين: مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ التقديم بتاريخ: نوفمبر (١٩٦٦هـ).

١٧٠ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للدكتور: فضل حسن عباس، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع (١٩٨٧م).

١٧١ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) ـ لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد السّتّار فتح الله سعيد ـ جامعة أم القرَى (١٤١٢هـ) ـ دار الهجرة لنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

١٧٢ ـ القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ـ لعبد العال سالم مكرم: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

١٧٣ ـ القراءات وأثرها في علوم العربية ـ للدكتور محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٨هـ /١٩٩٨م).

١٧٤ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ـ للدكتور فضل حسن عباس: مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع (١٩٨٧م).

١٧٥ ـ القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها ـ لراضي نواصرة: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ إربد ـ الأردن ـ ط (٢٠٠٣م).

١٧٦ ـ القواعد والإشارات في أصول القراءات ـ لأحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي أبو العباس ـ تحقيق: د. عبد الكريم محمد الحسن بكار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ (١٤٠٦هـ).

ــ ك ــ

١٧٧ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ـ لمحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي ـ تحقيق: محمد عوامة ـ دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ـ ط١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٧٨ ـ كتاب سيبويه ـ لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ـ عالم الكتب ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٧٩ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: ٥٣٨هـ: دار الفكر ـ.

١٨٠ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ٤٣٧هـ ـ تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، و ط٥(١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

١٨١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ لإسماعيل باشا البغدادي الشهير بالقسطنطيني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٤هـ).

١٨٢ ـ الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ـ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوي، ت: ١٠٩٤هـ ـ قابله على نسخة خطيّة، وأعدَّه للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

١٨٣ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٩٨٩م).

١٨٤ ـ الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف ـ لمحمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري المعروف بالحداد، ت: ١٣٥٧هـ: [يلي كتاب التجديد في الإتقان والتجويد ـ لأحمد محمود عبد السميع الحفيان] ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

١٨٥ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ـ للشيخ نجم الدين الغزي: دار الفكر.

ـ ل ـ

١٨٦ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت.

١٨٧ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ للإمام عزّ الدين بن الحسين علي بن محمد بن محمد بن الأثير، ت: ٦٣٠ هـ ـ تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد ـ مطبعة دار التأليف ـ مصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٨٨ ـ لب الألباب في تحرير الأنساب ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

١٨٩ ـ لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ـ حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر ـ راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ (٢٠٠٢م/ ١٤٢٤هـ).

١٩٠ ـ اللغات في القرآن (رواية ابن سحنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ تقديم وتحقيق وتعليق: دكتور توفيق محمد شاهين: مكتبة وهبة ـ ط١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

ـ م ـ

١٩١ ـ ما انفرد به كل من القرّاء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ـ للدكتور عبد القادر الهَيْتي: منشورات دار قان يونس ـ بنغازي ـ ط١ (١٩٩٦م).

١٩٢ ـ مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان: مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط٣(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

١٩٣ ـ المبصر لنور القرآن ـ لنائلة هاشم صبري: مطبعة الرسالة المقدسية ـ القدس ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٩٤ ـ مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة معمر بن المثنى التَّيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ ـ عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٩٥ ـ المجتبى من السنن ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ـ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ط٢ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٩٦ ـ مجلة دراسات (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) ـ للدكتور: فضل حسن عباس: المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع (١٩٨٧م).

١٩٧ ـ مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية (ظاهرة المد والياء: فتحها وحذفها في قراءة «ورش عن نافع» دراسة فونولوجية تحليلية وصفية) ـ للباحثة: إيمان «محمد أمين» خضر الكيلاني: المجلد الواحد والثلاثون ـ العدد الثالث (٢٠٠٤م).

١٩٨ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن ـ للفضل بن الحسن الطبرسي: منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

١٩٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٢هـ).

٢٠٠ ـ مجمل اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ت: ٣٩٥هـ ـ دراسة وتحقيق: زهير بن المحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٢٠١ ـ المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ لابن جني ـ تحقيق: علي النجدي ناصف، ود.عبد الفتاح شلبي ـ القاهرة [بدون ناشر] ـ ط (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

٢٠٢ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: ٥٤٦ ـ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م).

٢٠٣ ـ مختار الصحاح ـ لمحمد بن أبي بكر الرازي ـ تحقيق: محمود خاطر ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ط (١٤١٥ هـ/١٩٩٥م).

٢٠٤ ـ مختصر ابن كثير ـ لمحمد علي الصابوني: دار الصابوني ـ مدينة نصر ـ الطبعة السابعة [بدون تاريخ طبع].

٢٠٥ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٢٠٦ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق: فؤاد علي منصور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٩٩٨هـ).

٢٠٧ ـ المستدرك على الصحيحين ـ لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٢٠٨ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير ـ للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢٠٩ ـ مسند أبي يعلي ـ لأحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلي الموصلي ـ تحقيق: حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م).

٢١٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني: الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة [بدون تاريخ طبع].

٢١١ ـ المسند الصحيح من أسباب النزول ـ لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

٢١٢ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ـ المكتبة العلمية بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٢١٣ ـ المصنف الحديث في أسباب النزول ـ لعبد الله إسماعيل عمّار إمام وخطيب مسجد النور بالبريج: إعداداً وتحقيقاً ـ مكتبة آفاق للطباعة والنشر ـ غزة ـ فلسطين ـ ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

٢١٤ ـ المصنف في الأحاديث والآثار ـ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ـ تحقيق: كمال يوسف الحوت ـ مكتبةالرشد ـ الرياض ـ ط ١ (١٤٠٩هـ).

٢١٥ ـ مشاهير علماء الأمصار ـ لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: م.فلايشهمر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٥٩هـ).

٢١٦ ـ المصباح المنير ـ للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٢١٧ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل ـ للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البَغَوي، ت: ٥١٦هـ ـ تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

وبنفس الترقيم طبعة أخرى: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢١٨ ـ معاني الأبنية في العربية ـ للدكتور فاضل صالح السامرّائي: المكتبة الوطنية ـ بغداد ـ ط١ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

٢١٩ ـ معاني القراءات ـ لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد المتوفى ٣٧٠هـ ـ تحقيق ودراسة: عيد مصطفى درويش، وعوض بن حمد القَوزي ـ ط١(١٤١٤هـ /١٩٩٣م).

٢٢٠ ـ معاني القرآن ـ للأخفش سعيد بن مَسْعَدة البَلخي المجاشعي ـ دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٢٢١ ـ معاني القرآن ـ لأبي جعفر النحاس ـ تحقيق: الدكتور يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٢٢٢ ـ معاني القرآن ـ لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٢٣ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار الفكر العربي [بدون تاريخ طبع].

٢٢٤ ـ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ـ للشيخ كامل سلمان الجبوري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢٢٥ ـ المعجم الأوسط ـ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ ط (١٤١٥هـ).

٢٢٦ ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ـ تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٠هـ).

٢٢٧ ـ معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ـ لسميح عاطف الزين ـ الدار الأفريقية العربية ـ لبنان ـ ط (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢٢٨ - معجم الشعراء المخضرمين والأمويين - للدكتورة عزيزة فوال بابتي - دار صادر - بيروت - ط١ (١٩٩٨م).

٢٢٩ - المعجم الكبير - لسليمان بن أحمد بن أيوب، أبي القاسم الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط ٢ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٢٣٠ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي - تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - ط٣ (١٤٠٣هـ).

٢٣١ - المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم - للدكتور: محمد ألتونجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٣٢ - معجم المؤلفين (تراجم مُصَنِّفي الكتب العربية) - لعمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي - بيروت - [بدون تاريخ طبع].

٢٣٣ - المعجم الوسيط - قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون: المكتبة الإسلامية - تركيا - ط٢(١٩٧٢م).

٢٣٤ - معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار - للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ (١٤٠٤هـ).

٢٣٥ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط٢ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨).

٢٣٦ - المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم - للدكتور عبد الرحمن الجمل: ط٢ (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٢٣٧ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - لجمال الدين بن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١هـ - تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - راجعه: سعيد الأفغاني - دار الفكر - بيروت - ط٥ (١٩٧٩م).

٢٣٨ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - لأبي العلاء الكرماني المتوفي بعد ٥٦٣هـ - دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الكريم مصطفى مدلج - تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد - دار ابن حزم - ط١(١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٣٩ - مفردات ألفاظ القرآن - للعلامة الراغب الأصفهاني - تحقيق: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - ط ٣ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٤٠ - المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز - للدكتور فضل عباس: مجلة

دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) الجامعة الأردنية ـ عمان ـ المجلد الحادي عشر ـ العدد الرابع ـ (صفر ١٤٠٥هـ / تشرين ثاني ١٩٨٤م).

٢٤١ ـ المقتضب ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: ٢٨٥هـ ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ وزارة الأوقاف ـ لجنة التراث الإسلامي ـ القاهرة ـ ط (١٣٩٩هـ).

٢٤٢ ـ المقتطف من عيون التفاسير ـ لمصطفى الحصن المنصوري ـ تحقيق: محمد علي الصابوني ـ دار السلام ـ ط١ (١٤١٧هـ).

٢٤٣ ـ مقدمة ابن خلدون ـ للإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ تحقيق: درويش الجويدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ط٢ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢٤٤ ـ الملخص في إعراب القرآن ـ لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي ـ تحقيق: د. يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

٢٤٥ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ للشيخ عبد العظيم الزرقاني ـ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١(١٩٩٦م).

٢٤٦ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ـ للإمام محمد بن الجزري ـ تفضل بقراءته بعد طبعه: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٢٤٧ ـ من القرية إلى العالمية ـ لمحمد محجوب حسن ـ مكتبة التراث الإسلامي.

٢٤٨ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) ـ للدكتور: عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل ـ إشراف: الدكتور فضل حسن عباس ـ الجامعة الأردنية ـ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٢٤٩ ـ منهج الشعراوي في التفسير (رسالة ماجستير) ـ لإبراهيم عيسى إبراهيم صيدم ـ إشراف: الدكتور عصام العبد زهد ـ الجامعة الإسلامية بغزة ـ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٢٥٠ ـ منهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره: في رحاب التفسير (رسالة ماجستير) ـ لسمر عمر محمد الصفدي ـ إشراف: الدكتور مروان أبو راس ـ الجامعة الإسلامية بغزة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٥١ ـ موسوعة القبائل العربية ـ بحوث ميدانية وتاريخية لمحمد سليمان الطيب: دار الفكر العربي ـ ط١ (١٩٩٥هـ / ١٤١٦م).

٢٥٢ ـ الموضح في وجوه القراءات وعللها ـ للإمام ابن أبي مريم ـ تحقيق: د. عمر الكبيسي ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ـ ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

ـ ن ـ

٢٥٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ لجمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي ـ تعليق: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

٢٥٤ ـ النسب ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الدرع ـ تقديم: الدكتور سهيل زكار ـ دار الفكر ـ ط ١ (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٢٥٥ ـ النشر في القراءات العشر ـ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٥٦ ـ نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم (نظرياً وتطبيقياً) ـ لسامي محمد هشام حريز: دار الشروق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ ط١ (٢٠٠٦م).

٢٥٧ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ ـ خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٢٥٨ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ـ للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٢٥٩ ـ النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني ـ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر ـ ط ٣ [بدون تاريخ طبع].

٢٦٠ ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي) ـ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: ٤٥٠هـ ـ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٢٦١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٢٦٢ ـ النهر المارد من البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ت: ٧٥٤هـ ـ تقديم وضبط: بوران وهَدْيان الضناني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

ـ هـ ـ

٢٦٣ ـ الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) ـ للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت.

٢٦٤ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ـ للإمام جلال الدين السيوطي: دار المعرفة ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

ـ و ـ

٢٦٥ ـ وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ـ للدكتور محيي الدين رمضان: دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١(١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

٢٦٦ ـ الوافي (معجم وسيط للغة العربية) ـ للشيخ عبد الله البستاني: مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ط (١٩٨٠ م).

٢٦٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لإبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: ٦٨١هـ ـ تحقيق: الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ [بدون تاريخ طبع].

مواقع إلكترونية:

* شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موقع الإسلام سؤال وجواب.
* www.iu.sa/magazine/. ـ Google ٣٧ / ٥٧. html

مكتبات إلكترونية مساعدة:

- المكتبة الشاملة ١.
- المكتبة الشاملة ٢.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

